سلسلة نصوص تراثية للباحثين (١٣٦)

آل تيمية

في مصنفات آل السبكي

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل

بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها

وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

١. "الدِّينِ إبْرَاهِيمَ أَحَدِ الْمَوْقُوفِ عَلَيْهِمْ وَأَنَّ صَلَاحَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ عُثْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ أَخُو حُلَّةَ لِأَبَوَيْهَا تُوُفِّيَ بَعْدَ أُمِّهِ شَامْ خَاتُونَ وَثَبَتَ إقْرَارُ إبْرَاهِيمَ وَسَلِيمٍ؛ لِأَنَّهُ لَا دَافِعَ لَهُمَا فِي ذَلِكَ عَلَى قَاضِي الْقُضَاةِ جَمَالِ الدِّينِ الزَّرْعِيِّ الشَّافِعِيِّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ.

وَصُورَةُ الْفَتَاوَى الَّتِي تَمَسَّكَ بِهَا ابْنُ الْمَجْدِ شَرْحُ كِتَابِ الْوَقْفِ ثُمَّ قَالَ فَهَلْ يُصْرَفُ شَيْءٌ مِنْ نَصِيبِ أَحَدٍ مِنْ الْأَرْبَعَةِ الْمَوْقُوفِ عَلَيْهِمْ إلَى غَيْرِ ذُرِّيَّتِهِ أَمْ لَا، وَيَكُونُ نَصِيبُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ الْأَرْبَعَةِ مُنْحَصِرًا فِي ذُرِّيَّتِهِ فَكَتَبَ ابْنُ جَمَاعَةَ نَصِيبُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ الْأَرْبَعَةِ بَعْدَهُ لِمَنْ يُوجَدُ مِنْ أَوْلَادِهِ وَإِنْ سَفَلَ وَلَا يُصْرَفُ شَيْءٌ مِنْهُ إلَى غَيْرِهِمْ مَعَ وُجُودِهِمْ وَالْحَالَةُ هَذِهِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ.

كَتَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إبْرَاهِيمَ الشَّافِعِيُّ وَكَذَلِكَ عَلَيْهِ الْمَالِكِيُّ وَالْحَنْبَلِيُّ.

(وَالْجَوَابُ) مِنْ وَجْهَيْنِ: (أَحَدُهُمَا) أَنَّهُ لَمْ يُبَيِّنْ فِي الِاسْتِفْتَاءِ صُورَةَ الْوَاقِعَةِ الْمَحْكُومِ فِيهَا فَالْأَجْوِبَةُ صَحِيحَةٌ بِاعْتِبَارِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى.

وَأَمَّا إذَا وَصَلَ مِنْ نَصِيبِ أَحَدِ الْأَرْبَعَةِ شَيْءٌ إلَى ذُرِّيَّتِهِ ثُمَّ مَاتَ عَنْ أُخْتٍ فَلَمْ يَسْأَلْ عَنْهَا وَلَمْ تَتَضَمَّنْهَا أَجْوِبَتُهُمْ، وَالتَّمَسُّكُ بِإِطْلَاقِ أَجْوِبَتِهِمْ فِيهَا تَلْبِيسٌ وَلَوْ قَالُوهُ لَمْ يُسْمَعْ مِنْهُمْ.

وَهَذَا هُوَ الْجَوَابُ الثَّانِي، وَأَكْثَرُ أَجْوِبَةِ الْبَاقِينَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ إلَّا جَلَالَ الدِّينِ الْقَزْوِينِيَّ فِيهَا فِي الِاسْتِفْتَاءِ وَرُزِقَ عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ وَمُحَمَّدٌ وَالَّتِي رُزِقَ إبْرَاهِيمُ شَامْ خَاتُونَ عَنْ وَلَدَيْهَا يُوسُفَ وَحُلَّةَ ثُمَّ مَاتَ عَنْهَا وَعَنْ أَوْلَادِهِ الثَّلَاثَةِ ثُمَّ مَاتَتْ حُلَّةُ عَنْ بِنْتٍ ثُمَّ مَاتَ يُوسُفُ عَنْ أُخْتِهِ مِنْ أَبِيهِ وَبِنْتِ أُخْتِهِ فَإِلَى مَنْ يَنْتَقِلُ نَصِيبُهُ وَلَيْسَ مِنْ نَسْلِ إبْرَاهِيمَ أَحَدٌ أَقْرَبُ إلَى يُوسُفَ مِنْ بِنْتِ حُلَّةَ.

فَكَتَبَ جَلَالُ الدِّينِ: يَنْتَقِلُ مِنْ نَصِيبِ يُوسُفَ مَا انْتَقَلَ إلَيْهِ عَنْ أَبِيهِ إلَى أُخْتِهِ لِأَبِيهِ فَإِنَّهَا فِي دَرَجَتِهِ وَمَا انْتَقَلَ عَنْ أُمِّهِ إلَى بِنْتِ أُخْتِ حُلَّةَ. وَالْحَالَةُ مَا ذُكِرَ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ.

كَتَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَأَفْتَى ابْنُ تَيْمِيَّةَ مِثْلَهُ عَلَى وَاحِدَةٍ مِثْلِهَا.

وَكُتِبَتْ فَتْوَى أُخْرَى قَرِيبٌ مِنْهَا وَلَكِنْ لَمْ يُحَرَّرْ فِيهَا التَّصْوِيرُ جَيِّدًا.

وَكَتَبَ عَلَيْهَا ابْنُ الْكَنْبَانِيِّ أَنَّهُ انْتَقَلَ مَا كَانَ يَسْتَحِقُّهُ يُوسُفُ إلَى أُخْتِهِ غَازِيَةَ دُونَ بِنْتِ أُخْتِهِ وَدُونَ بَنِي عَمِّهِ لَا يُنْقَضُ حُكْمُ الْحَاكِمِ بِهَذَا الِانْتِقَالِ وَالْحَالَةُ هَذِهِ وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

وَوَافَقْته أَنَا فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَمَحْمُودٌ الْأَصْبَهَانِيُّ." (١)

٢. "وَحِينَئِذٍ نَقُولُ لَهُ: عَفَا اللَّهُ عَنْك هَذَا الْمَنْقُولُ فِي الْمَذَاهِبِ خِلَافُ مَا قُلْت وَلَمْ نَعْلَمْ فِيهِ خِلَافًا. وَقَوْلُهُ قَطُّ.

قُلْنَا كَلَامُ النُّحَاةِ إنَّ قَطُّ إنَّمَا تَكُونُ فِي الْمَاضِي فَلَا يَصِحُّ كَلَامُهُ إلَّا إنْ تَأَوَّلْنَا لَهُ لَا يُعْلَمُ فِي مَعْنًى لَمْ يُعْلَمْ وَمَا ذَكَرَهُ عَنْ ابْنِ الْمَاجِشُونِ فِي الْوَاضِحَةِ هُوَ الْمَعْلُومُ مِنْ غَيْرِهِ. وَكَذَا مَا ذَكَرَهُ عَنْ بَعْضِ فُقَهَاءِ أَهْلِ

(١) فتاوى السبكي، السبكي، تقي الدين ١٨٥/٢

زَمَانِهِمْ. وَقَوْلُ ابْنِ رُشْدٍ: إنَّهُ خَطَأٌ صُرَاحٌ. لَيْسَ بِصَحِيحٍ وَلَا بَأْسَ أَنْ يُقَابَلَ بِمِثْلِهِ، وَقَوْلُ ذَلِكَ الْفَقِيهِ إنَّ لَفْظَةَ " ثُمَّ " تَقْتَضِي التَّعْقِيبَ كَأَنَّهُ يُرِيدُ التَّرْتِيبَ فَإِنَّ التَّعْقِيبَ لِلْفَاءِ لَا لِثُمَّ.

وَقَوْلُهُ دُونَ خِلَافٍ قَدْ قَدَّمْنَا مَا فِيهِ، ثُمَّ مَسْأَلَةُ مَالِكٍ إذَا سُلِّمَتْ لَهُ وَقْفٌ عَلَى بَنِينَ أَرْبَعَةٍ مُعَيَّنِينَ وَقَدْ قُلْنَا إنَّ الْأَوْلَادَ إذَا سُمُّوا يَأْتِي فِيهِمْ الْخِلَافُ كَزَيْدٍ وَعَمْرٍو فَلَيْسَتْ كَمَسْأَلَتِنَا وَهِيَ وَقْفٌ عَلَى الْأَوْلَادِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ جِهَةٍ مَحْضَةٍ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ رُشْدٍ الْمُشَارُ إلَيْهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ الْمَذْكُورِ فِي رَجُلٍ تَصَدَّقَ عَلَى بَنَاتِهِ فَإِذَا انْقَرَضَ بَنَاتُهُ فَلِذُكُورِ وَلَدِهِ نَسْلُ ذَلِكَ لَهُنَّ كُلِّهِنَّ وَلَهُ وَلَدٌ ذُكُورٌ فَقَالَ وَلَدُ وَلَدِهِ يَدْخُلُ دَخَلُوا.

فَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي غَيْرِ مَسْأَلَتِنَا لَكِنَّهُ أُعْتُبِرَ فِي السُّؤَالِ فِي انْقِرَاضِ الْبَنَاتِ جَمِيعِهِنَّ وَالْبَنَاتُ جِهَةٌ كَالْأَوْلَادِ وَالسُّؤَالُ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ فَإِنْ كَانَ انْقِرَاضُ كُلِّهِنَّ لَا يُعْتَبَرُ لَمْ لَا يُنْكِرُهُ وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَهُوَ إمَامُ الْمَالِكِيَّةِ فِي كِتَابِهِ الْكَافِي: وَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ فِي حَبْسِهِ عَلَى وَلَدٍ ثُمَّ عَلَى وَلَدِ الْوَلَدِ لَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ الْوَلَدِ مَعَ وَلَدِ الْأَعْيَانِ حَتَّى يَنْقَرِضُوا وَهَذَا نَصٌّ فِي الْمَسْأَلَةِ.

فَإِنْ كَانَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَهُوَ الَّذِي عَنَاهُ ابْنُ رُشْدٍ بِقَوْلِهِ: بَعْضُ فُقَهَاءِ زَمَانِنَا.

فَلَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ وَيَكْفِي قَوْلُهُ وَقَوْلُ ابْنِ الْمَاجِشُونِ وَعَدَمُ خِلَافِ غَيْرِهِمَا مَعَ قَوْلِ أَهْلِ الْمَذَاهِبِ الثَّلَاثَةِ وَلِنَكْتَفِ مِنْ كَلَامِ الْمَالِكِيَّةِ بِهَذَا.

كَتَبْته لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ الْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَحَضَرْتُ فَتْوَى لِابْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَنْبَلِيِّ فِيمَنْ وَقَفَ عَلَى أَوْلَادِهِ ثُمَّ أَوْلَادِ أَوْلَادِهِ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ عَنْ غَيْرِ وَلَدٍ انْتَقَلَ نَصِيبُهُ لِمَنْ فِي دَرَجَتِهِ فَمَاتَ وَاحِدٌ عَنْ وَلَدٍ فَأَفْتَى أَنَّ نَصِيبَهُ لِوَلَدِهِ وَذَكَرَ أَنَّ فِي مَذْهَبِهِ فِي ذَلِكَ وَجْهَيْنِ وَأَنَّ فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ وَجْهًا مُخَرَّجًا.

وَقَدْ غَلَطَ عَلَى مَذْهَبِهِ وَمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَأَظُنُّ الْحَامِلَ لَهُ عَلَى غَلَطِهِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ صَدْرُ كَلَامٍ." (١)

٣. "الرَّافِعِيُّ عَنْ أَبِي الْفَرَجِ السَّرَخْسِيِّ فَإِنَّهُ يُوهِمُ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ مَسْأَلَةِ زَيْدٍ وَعَمْرٍو ثُمَّ الْفُقَرَاءِ وَمَسْأَلَةِ الْأَوْلَادِ ثُمَّ أَوْلَادِهِمْ، وَآخِرُ كَلَامِ الرَّافِعِيِّ يُبَيِّنُ مُرَادَهُ فَالْغَلَطُ مِنْ عَدَمِ تَأَمُّلِهِ وَأَظُنُّ الْحَامِلَ لَهُ عَلَى غَلَطِهِ عَلَى مَذْهَبِهِ قَوْلُ ابْنِ حَمْدَانَ الْحَنْبَلِيِّ فِي الرِّعَايَةِ فِيمَا إذَا وَقَفَ عَلَى ابْنَيْهِ ثُمَّ عَلَى أَوْلَادِهِمَا ثُمَّ الْفُقَرَاءِ فَمَاتَ أَحَدُهُمَا هَلْ سَهْمُهُ لِأَخِيهِ أَوْ لِوَلَدِهِ.

قَالَ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ فَقَوْلُهُ يَحْتَمِلُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِمَنْقُولٍ عِنْدَهُ وَلَيْسَ هُوَ مَسْأَلَتَنَا فَإِنَّ ابْنَيْهِ بِالنِّسْبَةِ لِنِسْبَةِ زَيْدٍ أَوْ عَمْرٍو لِأَنَّ الْمُثَنَّى يَبْعُدُ جَعْلُهُ جِهَةً فَيَحْتَمِلُ الْوَجْهَيْنِ بِخِلَافِ الْأَوْلَادِ؛ لِأَنَّ الْجَمْعَ الْمُعَرَّفَ يُسْتَعْمَلُ جِهَةً كَالْفُقَرَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ حَلَفَ لَا يَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ حُمِلَ عَلَى الْجِنْسِ بِخِلَافِ لَا يَتَزَوَّجُ امْرَأَتَيْنِ.

---

(١) فتاوى السبكي، السبكي، تقي الدين ٢/٢٠٩

وَأَطَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي أَمْثِلَةِ مُقَابَلَةِ الْجَمْعِ بِالْجَمْعِ وَلَسْنَا فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَذْكُرْ مِثَالًا وَاحِدًا مِمَّا فِيهِ عَطْفٌ كَمَسْأَلَتِنَا مَعَ وُجُودِهِ فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا الرَّجُلُ كُنْت رَدَدْت عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ فِي إنْكَارِهِ السَّفَرَ لِزِيَارَةِ الْمُصْطَفَى – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَفِي إنْكَارِهِ وُقُوعَ الطَّلَاقِ إذَا حُلِفَ بِهِ ثُمَّ ظَهَرَ لِي مِنْ حَالِهِ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ لَيْسَ مِمَّنْ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي نَقْلٍ يَنْفَرِدُ بِهِ لِمُسَارَعَتِهِ إلَى النَّقْلِ لِفَهْمِهِ كَمَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَلَا فِي بَحْثٍ يُنْشِئُهُ لِخَلْطِهِ الْمَقْصُودَ بِغَيْرِهِ وَخُرُوجِهِ عَنْ الْحَدِّ جِدًّا، وَهُوَ كَانَ مُكْثِرًا مِنْ الْحِفْظِ وَلَمْ يَتَهَذَّبْ بِشَيْخٍ وَلَمْ يُرْتَضْ فِي الْعُلُومِ بَلْ يَأْخُذُهَا بِذِهْنِهِ مَعَ جَسَارَتِهِ وَاتِّسَاعِ خَيَالٍ وَشَغَبٍ كَثِيرٍ، ثُمَّ بَلَغَنِي مِنْ حَالِهِ مَا يَقْتَضِي الْإِعْرَاضَ عَنْ النَّظَرِ فِي كَلَامِهِ جُمْلَةً.

وَكَانَ النَّاسُ فِي حَيَاتِهِ اُبْتُلُوا بِالْكَلَامِ مَعَهُ لِلرَّدِّ عَلَيْهِ وَحُبِسَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَوُلَاةِ الْأُمُورِ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ مَاتَ.

وَلَمْ يَكُنْ لَنَا غَرَضٌ فِي ذِكْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ؛ لِأَنَّ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ وَلَكِنْ لَهُ أَتْبَاعٌ يَنْعَقُونَ وَلَا يَعُونَ وَنَحْنُ نَتَبَرَّمُ بِالْكَلَامِ مَعَهُمْ وَمَعَ أَمْثَالِهِمْ وَلَكِنَّ لِلنَّاسِ ضَرُورَاتٍ إلَى الْجَوَابِ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ كَهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَإِنَّ بَعْضَ الْحَنَابِلَةِ تَبِعُوهُ فِيمَا قَالَهُ مِنْ تَقْسِيمِ دَلَالَةِ " ثُمَّ " عَلَى التَّرْتِيبِ إلَى مَا يَحْتَمِلُ مُقَابَلَةَ الْجُمْلَةِ بِالْجُمْلَةِ وَمُقَابَلَةَ الْأَفْرَادِ بِالْأَفْرَادِ ثُمَّ زَادَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ عَلَى الِاحْتِمَالِ فَأَفْتَى فِي تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ بِاسْتِحْقَاقِ الْوَلَدِ مِنْ غَيْرِ بَيَانٍ لِتَرْجِيحِ أَحَدِ الِاحْتِمَالَيْنِ وَالتَّرْجِيحُ إنَّمَا يَكُونُ بِدَلِيلٍ.

وَظَنَّ أَنَّ الْمَفْهُومَ مِنْ تَقْيِيدِ كَوْنِهِ مَاتَ عَنْ." (١)

٤. "غَيْرِ وَلَدٍ أَنَّ الْوَلَدَ يَسْتَحِقُّ وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِمَنْطُوقٍ وَلَا مَفْهُومٍ وَلَمْ يَتَبَيَّنْهُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ لِذَلِكَ وَلَا لِمَا يَدْفَعُهُ أَوْ يَقْبَلُهُ ثُمَّ زَادَ هَذَا الَّذِي تَبِعَهُ عَلَى ابْنِ تَيْمِيَّةَ بِمَا لَمْ يَتَنَبَّهْ ابْنُ تَيْمِيَّةَ إلَيْهِ فَقَالَ: إنَّ نَصِيبَ أَحْمَدَ يَنْتَقِلُ لِمَحْمُودٍ وَنَصِيبَ مَحْمُودٍ يَنْتَقِلُ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدِ بْنِ صَدَقَةَ وَسَنَعْرِضُ لِذَلِكَ.

فَقُلْت لَهُ هَذَانِ الْوَجْهَانِ اللَّذَانِ نَقَلَهُمَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ عَنْ غَيْرِ مَذْهَبِهِ فِي ابْنٍ وَهَذَا الْمَعْنَى مِنْ كُتُبِكُمْ لَمْ يَذْكُرْ خِلَافًا وَخَرَّجَ أَنَّهُ لَا يُعْطَى لِأَحَدٍ مِنْ أَوْلَادِ الْأَوْلَادِ حَتَّى يَنْقَرِضَ الْأَوْلَادُ وَمَا دَامَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ لَا يَسْتَحِقُّ أَحَدٌ مِنْ أَوْلَادِ الْأَوْلَادِ.

فَقَالَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ لَا نَرَاهَا إلَّا فِي الْمُغْنِي وَالْمُغْنِي لَعَلَّهُ أَخَذَهَا مِنْ الشَّامِلِ مِنْ كُتُبِ أَصْحَابِكُمْ.

قُلْت سُبْحَانَ اللَّهِ شَخْصٌ حَنْبَلِيٌّ يُضِيفُ عَلَى مَذْهَبِهِ يَأْخُذُ مِنْ كُتُبِ الشَّافِعِيَّةِ ثُمَّ أَخْرَجْتُ النَّقْلَ مِنْ الْمُجَرَّدِ لِلْقَاضِي أَبِي يَعْلَى وَالْمُسْتَوْعِبِ وَالْفُصُولِ لِابْنِ عَقِيلٍ كَمَا فِي الْمُغْنِي فَهَذِهِ أَرْبَعُ أُمَّهَاتٍ مِنْ كُتُبِ الْحَنَابِلَةِ وَلَيْسَ فِي غَيْرِهَا مِمَّا وَقَفْت عَلَيْهِ مَا يُخَالِفُهَا فَعُلِمَ أَنَّهُ لَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ.

وَمِنْ الْبَلِيَّةِ أَنَّ هَذَا الْحَنْبَلِيَّ لَمَّا أَفْتَى بِذَلِكَ تَبِعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ الْحَنَفِيَّةِ وَوَاحِدٌ مِنْ الْمَالِكِيَّةِ وَوَاحِدٌ مِنْ الشَّافِعِيَّةِ

---

(١) فتاوى السبكي، السبكي، تقي الدين ٢/٢١٠

وَقَاضِي الْحَنَابِلَةِ كُلُّهُمْ أَفْتَوْا بِنَصِيبِ أَحْمَدَ لِمَحْمُودٍ وَنَصِيبِ مَحْمُودٍ لِفَاطِمَةَ، وَهَذَا سَنَعْرِضُ لَهُ وَلَيْسَ هُوَ مِنْ غَلَطِ الْفُقَهَاءِ بَلْ هَوَسٌ وَهَذَيَانٌ فَلَيْسَ مِنْ جِنْسِ غَلَطِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ.

وَفِي آخِرِ الْكَلَامِ يَأْتِي بَيَانُهُ إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِنَّمَا احْتَجْتُ لِتَقْرِيرِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لِمَجِيءِ " ثُمَّ " فِي هَذَا الْوَقْفِ بَيْنَ الْبَطْنِ الْأَوَّلِ وَالْبَطْنِ الثَّانِي وَلَا شَكَّ فِي احْتِمَالِهَا فِي مِثْلِ هَذَا التَّرْكِيبِ وَكَانَتْ مُحْتَمِلَةً لِأَنْ يَنْتَقِلَ نَصِيبُ لَاجِينَ إلَى أَوْلَادِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ وَلِأَنْ يَنْتَقِلَ إلَى أَخِيهِ مِنْكَوْرِسٍ حَتَّى يَمُوتَ فَيَنْتَقِلَ مَعَ نَصِيبِهِ إلَى أَوْلَادِهِمَا وَوُجِدَ فِي هَذَا الْوَقْفِ مَا دَلَّ عَلَى أَحَدِ الِاحْتِمَالَيْنِ وَعَضَّدَهُ وَهُوَ انْتِقَالُ نَصِيبِ لَاجِينَ عِنْدَ مَوْتِهِ لِأَوْلَادٍ كَمَا بَيَّنَّاهُ عَلَى الْأَظْهَرِ عِنْدَنَا، ثُمَّ إنَّ مَعْنًى فِي هَذَا الْوَقْفِ الْخَاصِّ مَعَ لَفْظَةٍ أُخْرَى وَهِيَ قَوْلُهُ: مِنْ بَعْدِهِمْ وَهِيَ مُؤَكِّدَةٌ لِمَعْنَى " ثُمَّ " وَأَصْرَحُ مِنْهَا فِي أَنَّهُ بَعْدَ الْجَمِيعِ لِأَنَّ " بَعْدَ " بِمَادَّتِهَا تَدُلُّ عَلَى التَّأْخِيرِ، وَالضَّمِيرَ يَعُودُ عَلَى الْجَمِيعِ.

(الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ) كَيْفَ يُقَسَّمُ الْوَقْفُ عِنْدَ تَغَيُّرِ الْبُطُونِ؛ لِأَنَّ لَا شَكَّ أَنَّهُ إذَا قَالَ عَلَى أَوْلَادِي ثُمَّ أَوْلَادِ أَوْلَادِي وَلَمْ يَشْتَرِطْ انْتِقَالَ نَصِيبِ مَنْ مَاتَ لِوَلَدِهِ أَنَّهُ عِنْدَ انْقِرَاضِ الْبَطْنِ الْأَوَّلِ وَانْتِقَالِ جَمِيعِ الْوَقْفِ إلَى جَمِيعِ الْبَطْنِ." (١)

٥. "أَعْلَمُ -. أَلْحَقْتُ ذَلِكَ فِي دَرْسِ الْأَتَابِكِيَّةِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ سَادِسَ قِعْدَةٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةِ.

وَهَذَا التَّنْبِيهُ الثَّانِي إنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ تَعَلُّقٌ بِمَسْأَلَةِ الدَّوْرِ إلَّا أَنَّهُ عَرَضَ عِنْدَ النَّظَرِ فِيهَا - وَاَللَّهُ أَعْلَمُ. كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْكَافِي بْنِ عَلِيِّ بْنِ تَمَّامٍ السُّبْكِيُّ - غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدِيهِ - انْتَهَى. قَالَ وَلَدُهُ مَوْلَانَا قَاضِي الْقُضَاةِ تَاجُ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ: هَذَا هُوَ الَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ رَأْيُهُ وَأَمْلَى بَعْدَهُ عَلَيَّ فِيهِ مُصَنَّفًا آخَرَ أَبْسَطَ مِنْ هَذَا هُوَ عِنْدِي وَكَانَ صَنَّفَ قَبْلَهُمَا فِي مِصْرَ مُصَنَّفَيْنِ نَصَرَ فِيهِمَا قَوْلَ ابْنِ الْحَدَّادِ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ وَاسْتَقَرَّ رَأْيُهُ عَلَى هَذَا فَلْيُتَنَبَّهْ، ثُمَّ أَمْلَى عَلَيَّ مَا هُوَ مَعْنَاهُ إلَّا أَنَّهُ أَبْسَطُ، ثُمَّ كَتَبَ بِخَطِّهِ مَا هُوَ نَصُّهُ نُقِلَ مِنْ خَطِّهِ. .

[فَصْلٌ الِاجْتِمَاعِ وَالِافْتِرَاقِ فِي مَسَائِلِ الْأَيْمَانِ وَالطَّلَاقِ]

(فَصْلٌ) قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: هَذِهِ مُؤَاخَذَاتٌ عَلَى التَّصْنِيفِ الصَّغِيرِ الَّذِي عَمِلَهُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي مَسْأَلَةِ الطَّلَاقِ وَسَمَّاهُ بِالِاجْتِمَاعِ وَالِافْتِرَاقِ فِي مَسَائِلِ الْأَيْمَانِ وَالطَّلَاقِ لَا أُطَوِّلُ فِيهَا؛ لِأَنِّي قَدْ تَكَلَّمْت عَلَى كَلَامِهِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ أُنَبِّهُ عَلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي فِي هَذَا التَّصْنِيفِ بِحَسَبِ الِاخْتِصَارِ وَاَللَّهُ الْمُوَفِّقُ: قَوْلُهُ إنَّ صِيغَةَ قَوْلِهِ: الطَّلَاقُ يَلْزَمُنِي لَأَفْعَلَنَّ كَذَا، يَمِينٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ اللُّغَةِ فَإِنَّهَا صِيغَةُ قَسَمٍ، قُلْت كَيْفَ يَدَّعِي اتِّفَاقَ أَهْلِ اللُّغَةِ عَلَى ذَلِكَ وَلَا أَعْرِفُ هَذِهِ الصِّيغَةَ وَرَدَتْ فِي كَلَامِ أَهْلِ اللُّغَةِ وَلَا سَمِعْتُ مِنْ عَرَبِيٍّ

(١) فتاوى السبكي، السبكي، تقي الدين ٢/٢١١

لَا فِي نَظْمٍ وَلَا فِي نَثْرٍ. وَقَوْلُهُ: وَهُوَ أَيْضًا يَمِينٌ فِي عُرْفِ الْفُقَهَاءِ وَلَمْ يَتَنَازَعُوا فِي أَنَّهَا تُسَمَّى يَمِينًا. قُلْت قَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَيْهِ فِيمَا مَضَى مِنْ كَلَامِنَا وَبِتَقْدِيرِ صِحَّتِهِ لَا يَلْزَمُ حَمْلُ كَلَامِ الشَّارِعِ عَلَى عُرْفِ الْفُقَهَاءِ مَا لَمْ يُعْلَمْ وُجُودُهُ فِي زَمَنِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

وَقَوْلُهُ إنَّ مِنْهُمْ مَنْ غَلَّبَ عَلَيْهَا جَانِبَ الْيَمِينِ فَلَمْ يُوقِعْ بِهِ بَلْ قَالَ: عَلَيْهِ كَفَّارَةُ يَمِينٍ.

قُلْت: هَذَا الْقَوْلُ لَا أَعْرِفُ أَحَدًا صَرَّحَ بِهِ مِنْ سَلَفٍ وَلَا خَلَفٍ. وَأَمَّا اقْتِضَاءُ كَلَامِ ابْنِ حَزْمٍ فِي كِتَابِهِ الْمُصَنَّفِ فِي الْإِجْمَاعِ لِنَقْلِهِ فَقَدْ تَكَلَّمْت عَلَيْهِ فِيمَا مَضَى مِنْ الْكَلَامِ الْمُسَمَّى بِالتَّحْقِيقِ فِي مَسْأَلَةِ التَّعْلِيقِ الَّتِي سَتُكْتَبُ بَعْدَ هَذَا. وَقَوْلُهُ إنَّ الْحَلِفَ بِالطَّلَاقِ إنَّمَا عُرِفَ عَنْ التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ قَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَيْهِ فِي التَّحْقِيقِ.

وَقَوْلُهُ: إنَّ التَّعْلِيقَ الَّذِي قَصَدَ صَاحِبُهُ الْحَلِفَ، حُكْمُهُ حُكْمُ الْحَلِفِ بِالطَّلَاقِ بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ، إمَّا أَنْ يُرِيدَ فِي كَوْنِهِ يُسَمَّى حَلِفًا أَوْ فِي تَسَاوِي أَحْكَامِهِمَا، فَإِنْ أَرَادَ الْأَوَّلَ." (١)

٦. "وَأَمَّا مُقْتَضَى كَلَامِهِ فَالْتِزَامُ الْتَزَمَهُ لَا غَيْرُ، وَأَمَّا ابْنُ تَيْمِيَّةَ فَظَاهِرُ كَلَامِهِ هَذَا أَنْ يَجْعَلَهُ مُقْتَضَى كَلَامِهِ الْحَلِفُ لَا النَّذْرُ.

وَأَمَّا احْتِجَاجُهُ بِقَوْلِهِ: إنْ فَعَلْت كَذَا فَهُوَ يَهُودِيٌّ وَمَا أَشْبَهَهُ فَقَدْ أَجَبْت عَنْهُ فِي التَّحْقِيقِ وَكَذَلِكَ قِيَاسُهُ عَلَى قَوْلِهِ إنْ فَعَلْت كَذَا فَعَلَيَّ أَنْ أُطَلِّقَ امْرَأَتِي. وَقَوْلُهُ: إنَّ الْمُعَلِّقَ لِلطَّلَاقِ مُلْتَزِمٌ لِوُقُوعِهِ، وَقَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إنَّ مَنْ عَقَدَ الْيَمِينَ لِلَّهِ فَهُوَ أَبْلَغُ مِمَّنْ عَقَدَهَا بِاَللَّهِ وَلِهَذَا كَانَ النَّذْرُ أَبْلَغَ مِنْ الْيَمِينِ قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الْحَلِفَ بِالطَّلَاقِ لَيْسَ عَقْدَ يَمِينٍ لَا بِاَللَّهِ وَلَا لِلَّهِ بَلْ هُوَ عَقْدُ يَمِينٍ لِغَيْرِ اللَّهِ وَهُوَ الطَّلَاقُ عَلَى فِعْلٍ قَدْ يَكُونُ لِلَّهِ وَقَدْ يَكُونُ لِغَيْرِهِ وَسُلُوكُهُ بِهِ مَسْلَكَ النَّذْرِ هُوَ أَصْلُ مَا بَنَى عَلَيْهِ وَحَصَلَ لَهُ مِنْهُ الِاشْتِبَاهُ وَبَيْنَهُمَا مِنْ الِافْتِرَاقِ بَوْنٌ عَظِيمٌ وَلَمْ يُوجِبْ لَهُ هَذَا الشَّغَبُ الْكَثِيرُ إلَّا تَسْوِيَتُهُ بَيْنَهُمَا وَلَا يَسْتَوِيَانِ – وَاَللَّهُ تَعَالَى يُلْهِمُنَا رُشْدَنَا بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ –. كَتَبْت ذَلِكَ مُخْتَصِرًا جِدًّا بِحَسْبِ الرَّاغِبِ فِيهِ وَلِأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ بِمَا يُغْنِي.

وَذَلِكَ بُكْرَةَ نَهَارِ الْأَرْبِعَاءِ عَشْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعَظَّمِ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِائَةٍ – نَفَعَنِي اللَّهُ بِهَا وَالنَّاظِرَ فِيهَا بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ –. كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْكَافِي السُّبْكِيُّ انْتَهَى.

نَقَلَ مِنْ خَطِّ مَنْ نَقَلَ مِنْ خَطِّهِ وَسَمَّاهُ نَقْدُ الِاجْتِمَاعِ وَالِافْتِرَاقِ فِي مَسَائِلِ الْأَيْمَانِ وَالطَّلَاقِ.

[مَسْأَلَةُ الْحَلِفِ بِالطَّلَاقِ الْمُعَلَّقِ]

(مَسْأَلَةٌ مُسَمَّاةٌ بِالنَّظَرِ الْمُحَقَّقِ فِي الْحَلِفِ بِالطَّلَاقِ الْمُعَلَّقِ) لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ – رَحِمَهُ اللَّهُ – كِتَابَانِ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ تَيْمِيَّةَ: أَحَدُهُمَا كِتَابُهُ الْكَبِيرُ الْمَشْهُورُ الْمُسَمَّى بِالتَّحْقِيقِ فِي مَسْأَلَةِ التَّعْلِيقِ، وَالثَّانِي كِتَابُ رَفْعِ

(١) فتاوى السبكي، السبكي، تقي الدين ٢/٣٠٣

الشِّقَاقِ عَنْ مَسْأَلَةِ الطَّلَاقِ. وَهَذِهِ فُتْيَا مُخْتَصَرَةٌ قَالَ – رَحِمَهُ اللَّهُ –: مَسْأَلَةٌ: إذَا عَلَّقَ الرَّجُلُ طَلَاقَ زَوْجَتِهِ عَلَى شَرْطٍ قَاصِدًا الْيَمِينَ إمَّا لِحَثٍّ أَوْ مَنْعٍ أَوْ تَصْدِيقٍ، ثُمَّ وُجِدَ ذَلِكَ الشَّرْطُ وَقَعَ الطَّلَاقُ. وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ مُقْتَضَى الْقَضِيَّةِ الشَّرْطِيَّةِ الْحُكْمُ بِالْمَشْرُوطِ عَلَى تَقْدِيرِ الشَّرْطِ خَبَرِيَّةً كَانَتْ أَوْ إنْشَائِيَّةً، وَالْمُعَلَّقُ فِيهَا هُوَ نِسْبَةُ أَحَدِ الْخَبَرَيْنِ إلَى الْآخَرِ لَا الْحُكْمُ بِتِلْكَ النِّسْبَةِ الَّذِي هُوَ مُنْقَسِمٌ إلَى الْخَبَرِ وَالْإِنْشَاءِ؛ لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يَسْتَحِيلُ تَعْلِيقُهُ فَالْمُعَلَّقُ فِي مَسْأَلَتِنَا هُوَ الطَّلَاقِ وَأَمَّا التَّطْلِيقُ فَهُوَ فِعْلُ الزَّوْجِ يُوقِعُهُ مُنْجَزًا أَوْ مُعَلَّقًا وَيُوصَفُ التَّعْلِيقُ بِكَوْنِهِ تَطْلِيقًا عِنْدَ وُجُودِ الشَّرْطِ حَقِيقَةً فَإِنْ لَمْ يُجِزْ التَّعْلِيقَ يَخْرُجُ الَّذِي." [(١)]

٧. "بِهِ شَيْءٌ. وَالثَّانِي أَنَّهُ يَلْزَمُهُ بِهِ كَفَّارَةٌ. قُلْت أَمَّا الْأَوَّلُ فَالْجَوَابُ عَنْهُ أَنَّ الطَّلَاقَ إسْقَاطُ حَقٍّ لَا يُشْتَرَطُ فِيهِ قَصْدُ الْقُرْبَةِ وَفِي اللَّجَاجِ لَمْ يُوجَدْ هَذَا الشَّرْطُ وَلَمْ يَأْذَنْ الشَّرْعُ فِيهِ وَلَيْسَ لِلْعَبْدِ إيجَابٌ وَلَا تَحْرِيمٌ إلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الدَّلِيلَ قَدْ قَامَ عَلَى مَا قُلْنَاهُ وَهُوَ عَلَى وَفْقِ الْأَصْلِ فَإِنْ دَلَّ دَلِيلٌ عَلَى خُرُوجِ اللَّجَاجِ عَنْهُ بَقِيَ مَا عَدَاهُ عَلَى الْأَصْلِ، وَأَمَّا أَنْ نَجْعَلَ اللَّجَاجَ الْمُخْتَلَفَ فِيهِ الْخَارِجَ عَنْ الْأَصْلِ أَصْلًا وَنُلْحِقُ بِهِ الْجَارِي عَلَى وَفْقِ الْأَصْلِ فَغَيْرُ سَدِيدٍ، وَأَمَّا الثَّانِي فَإِنَّ الْقَوْلَ بِعَدَمِ الْوُقُوعِ مَا قَالَهُ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ وَلَا مِنْ التَّابِعِينَ – إلَّا أَنَّ طَاوُسًا نُقِلَ عَنْهُ لَفْظٌ مُحْتَمَلٌ لِذَلِكَ أَوَّلْنَاهُ – وَلَا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ إلَّا الشِّيعَةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِمَّنْ لَا يُعْتَدُّ بِخِلَافِهِ. وَأَمَّا الْقَوْلُ بِالْكَفَّارَةِ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَثْبُتْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ ابْنِ تَيْمِيَّةَ وَإِنْ كَانَ مُقْتَضَى كَلَامِ ابْنِ حَزْمٍ فِي مَرَاتِبِ الْإِجْمَاعِ نَقْلُ ذَلِكَ إلَّا أَنَّ ذَلِكَ مَعَ إبْهَامِهِ وَعَدَمِ تَعْيِينِ قَائِلِهِ لَيْسَ فِيهِ أَنَّهُ فِي مَسْأَلَةِ التَّعْلِيقِ فَيَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى غَيْرِهَا مِنْ صُوَرِ الْحَلِفِ – وَاَللَّهُ أَعْلَمُ انْتَهَى. كَتَبَهُ مُصَنِّفُهُ عَلِيٌّ السُّبْكِيُّ فِي لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

[مَسْأَلَةٌ قَالَ الطَّلَاقُ يَلْزَمُنِي ثَلَاثًا مَا بَقِيَ بَيْنِي وَبَيْنَك مُعَامَلَةٌ]

(مَسْأَلَةٌ) قَالَ لِزَوْجَتِهِ: الطَّلَاقُ يَلْزَمُنِي ثَلَاثًا مَا بَقِيَ بَيْنِي وَبَيْنَك مُعَامَلَةٌ. يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: إنْ نَوَى مُعَامَلَةً خَاصَّةً. كَمُدَايَنَةٍ أَوْ غَيْرِهَا فَيَصِحُّ وَيُحْمَلُ عَلَيْهَا وَتَكُونُ يَمِينُهُ مُنْعَقِدَةً عَلَيْهَا، وَالزَّوْجِيَّةُ بَيْنَهُمَا مُسْتَمِرَّةٌ لَا تُؤَثِّرُ فِيهَا الْيَمِينُ الْمَذْكُورَةُ وَإِنْ أَطْلَقَ وَلَمْ يَنْوِ شَيْئًا فَالزَّوْجِيَّةُ مِنْ جُمْلَةِ الْمُعَامَلَاتِ فَإِنْ أَبَانَهَا عَلَى الْفَوْرِ بِمَا دُونَ الثَّلَاثِ انْحَلَّتْ يَمِينُهُ وَلَهُ رَدُّهَا بِنِكَاحٍ جَدِيدٍ وَإِلَّا فَيَقَعُ الطَّلَاقُ الثَّلَاثُ لِبَقَاءِ الْمُعَامَلَةِ بِدَوَامِ الزَّوْجِيَّةِ بَيْنَهُمَا وَلَوْ لَحْظَةً، وَلَوْ نَوَى مُعَاشَرَةً خَاصَّةً أَوْ نَحْوَهَا حُمِلَ عَلَيْهِ كَالْمُدَايَنَةِ وَكَانَتْ الْيَمِينُ مُنْعَقِدَةً عَلَيْهَا مَعَ بَقَاءِ الزَّوْجِيَّةِ – وَاَللَّهُ أَعْلَمُ –. كَتَبَهُ عَلِيٌّ السُّبْكِيُّ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ ثَالِثَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

---

(١) فتاوى السبكي، السبكي، تقي الدين ٣٠٩/٢

[مَسْأَلَةٌ قَالَ لِزَوْجَتِهِ الطَّلَاقُ يَلْزَمُنِي مَا بَقِيَّتِي تَكُونِي لِي بِامْرَأَةٍ]

(مَسْأَلَةٌ) قَالَ لِزَوْجَتِهِ: الطَّلَاقُ يَلْزَمُنِي مَا بَقِيَّتِي تَكُونِي لِي بِامْرَأَةٍ. (الْجَوَابُ) تَطْلُقُ بِذَلِكَ الطَّلَاقِ الَّذِي حَلَفَ إنْ كَانَ ثَلَاثًا فَثَلَاثٌ وَإِنْ كَانَ وَاحِدَةً فَوَاحِدَةٌ – وَاَللَّهُ أَعْلَمُ – انْتَهَى.." (١)

٨. "لَا يُغْتَالُونَ، وَفَائِدَةُ كَوْنِهِ لَا أَمَانَ أَنَّهُ إذَا قُتِلَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمْ يُضْمَنْ وَأَنْ لَا يَجُوزَ الْإِقْدَامُ عَلَى قَتْلِهِ بَلْ يَبْلُغُ الْمَأْمَنَ وَإِنَّمَا نُبَلِّغُهُ الْمَأْمَنَ لِأَنَّهُ لَا تَفْرِيطَ مِنْهُ لِدُخُولِهِ بِالْإِذْنِ بِخِلَافِ مَنْ فَعَلَ هَذَا الْفِعْلَ السَّيِّئَ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي نَقَضَ أَمَانَهُ بِفِعْلِهِ يَجِبُ عَلَيْنَا تَبْلِيغُهُ مَأْمَنَهُ، وَالْمُصَرَّحُ بِهِ فِي كَلَامِ الْفُقَهَاءِ التَّأْمِينُ بِسَبَبِ التِّجَارَةِ فَهَذَا إذَا شَكَّ فِيهِ إذَا صَدَرَ مِنْ الْإِمَامِ أَوْ نَائِبِهِ عَامًّا أَوْ خَاصًّا أَوْ صَدَرَ مِنْ وَاحِدٍ مِنْ آحَادِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ الرَّعِيَّةِ خَاصًّا إمَّا لِشَخْصٍ خَاصٍّ وَإِمَّا لِعَدَدٍ مُبَيِّنِينَ مِنْ التُّجَّارِ وَفِيمَا إذَا قَالَهُ وَاحِدٌ مِنْ الرَّعِيَّةِ، وَقَالَ الْكَافِرُ ظَنَنْت صِحَّتَهُ فِي جَوَازِ اغْتِيَالِهِ وَجْهَانِ أَصَحُّهُمَا أَنَّهُ لَا يُغْتَالُ وَلَوْ كَانَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ضَرَرٌ فِي الْأَمَانِ كَانَ الْأَمَانُ بَاطِلًا وَلَا يَثْبُتُ بِهِ حَقُّ التَّبْلِيغِ إلَى الْمَأْمَنِ بَلْ يَجُوزُ الِاغْتِيَالُ فِي هَذِهِ الْحَالِ وَإِنْ قَصَدَ التَّأْمِينَ لِأَنَّهُ تَأْمِينٌ بَاطِلٌ بِخِلَافِ التَّأْمِينِ الْفَاسِدِ حَيْثُ ثَبَتَ لَهُ حُكْمُ التَّأْمِينِ الصَّحِيحِ كَأَمَانِ الصَّبِيِّ وَالتَّأْمِينُ الْبَاطِلُ مِثْلُ تَأْمِينِ الْجَاسُوسِ وَنَحْوِهِ وَلَا يَثْبُتُ الْأَمَانُ لِلْمَالِ حَتَّى يُصَرِّحَ بِهِ عَلَى الْأَصَحِّ، وَالَّذِي أَخْتَارُهُ أَنَّهُ إذَا أَمَّنَهُ لِلدُّخُولِ ثَبَتَ حُكْمُ الْأَمَانِ لِذَلِكَ الْمَالِ الَّذِي يَدْخُلُ مَعَهُ لِلتِّجَارَةِ لِأَنَّهَا هِيَ الْمَقْصُودَةُ.

وَإِذَا انْتُقِضَ الْأَمَانُ بِجِنَايَةٍ مِنْهُ انْتُقِضَ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَصَارَ مَالُهُ الَّذِي مَعَهُ فَيْئًا لِلْمُسْلِمِينَ بِخِلَافِ مَا إذَا الْتَحَقَ بِبِلَادِهِ وَتَرَكَ مَالَهُ عِنْدَنَا حَيْثُ لَا يَبْطُلُ الْأَمَانُ فِي مَالِهِ عَلَى الْأَصَحِّ بَلْ يَجِبُ إيصَالُهُ إلَى وَرَثَتِهِ لِأَنَّ الْأَمَانَ انْتَهَى نِهَايَتَهُ بِغَيْرِ جِنَايَةٍ عَلَيْنَا فَاقْتَصَرَ عَلَى نَفْسِهِ دُونَ مَالِهِ. وَهُنَا الْجِنَايَةُ صَادِرَةٌ مِنْهُ فَسَرَى أَثَرُهَا إلَى الْمَالِ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ.

كَتَبَهُ عَلِيٌّ السُّبْكِيُّ فِي لَيْلَةِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

[بَابُ الْمُسَابَقَةِ وَالْمُنَاضَلَةِ]

(بَابُ الْمُسَابَقَةِ وَالْمُنَاضَلَةِ) (مَسْأَلَةٌ) السَّبْقُ فِي الْخَيْلِ وَالرَّمْيِ إذَا كَانَ مِنْهُمَا لَمْ يَحِلَّ إلَّا بِمُحَلِّلٍ، هَذَا الْمَعْرُوفُ فِي الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ وَتَبِعَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فَقَالَ يَحِلُّ بِلَا مُحَلِّلٍ وَاسْتَنَدَ إلَى تَضْعِيفِ حَدِيثِ سُفْيَانَ بْنِ حُسَيْنٍ بَعْدَ تَصْحِيحِهِ لَهُ. وَنَحْنُ نَقُولُ حَدِيثُ سُفْيَانَ بْنِ حُسَيْنٍ جَيِّدٌ وَلَوْ لَمْ يَثْبُتْ لَا يَضُرُّ لِأَنَّ التَّحْرِيمَ مُسْتَنِدٌ إلَى أَنَّهُ قِمَارٌ فَإِنْ نُوزِعَ فِي أَنَّهُ قِمَارٌ فَنَحْنُ نَقُولُ إنَّ الْأَصْلَ فِي الْأَمْوَالِ التَّحْرِيمُ لِقَوْلِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –." (٢)

---

(١) فتاوى السبكي، السبكي، تقي الدين ٣١١/٢

(٢) فتاوى السبكي، السبكي، تقي الدين ٤٢١/٢

٩. "عَلَى بَكْرٍ مُتَقَدِّمٌ عَلَى وَقْتِ شَهَادَةِ الثَّانِيَةِ لِعَمْرٍو عَلَى زَيْدٍ وَلَيْسَتَا مُتَعَارِضَتَيْنِ بَلْ كُلٌّ مِنْهُمَا شَهِدَتْ فِي وَقْتٍ بِمَا هُوَ مُحْتَمَلٌ، وَهَذَا لَا خِلَافَ فِيهِ وَلَيْسَ كَمَا لَوْ أَقَرَّ زَيْدٌ لِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ ثُمَّ ادَّعَاهَا حَيْثُ يَحْتَاجُ إلَى ذِكْرِ التَّلَقِّي وَلَا كَمَا إذَا أُنْتُزِعَتْ مِنْهُ بَيِّنَةٌ، ثُمَّ جَاءَ يَدَّعِيهَا حَيْثُ اخْتَلَفُوا فِي وُجُوبِ ذِكْرِ التَّلَقِّي؛ لِأَنَّ عَمْرًا الْمُدَّعِيَ هُنَا أَجْنَبِيٌّ لَمْ تُنْزَعْ مِنْهُ لَا بِبَيِّنَةٍ وَلَا بِإِقْرَارٍ فَدَعْوَاهُ مَسْمُوعَةٌ قَطْعًا كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْأَصْحَابُ وَكَذَا بَيِّنَتُهُ انْتَهَى.

(مَسْأَلَةٌ) عَيْنٌ وَجَدْنَاهَا فِي يَدِ شَخْصٍ مِنْ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ وَمَعَهُ كِتَابٌ قَدْ ثَبَتَ فِيهِ عَلَى حَاكِمٍ مِلْكُهُ لَهَا، وَجَاءَ خَارِجٌ يَدَّعِيهَا وَبِيَدِهِ كِتَابٌ قَدْ ثَبَتَ فِيهِ عَلَى حَاكِمٍ بِتَارِيخٍ مُتَقَدِّمٍ مِلْكُهُ لَهَا فَهَذَا يُشْبِهُ الْمَسْأَلَةَ الْمُتَقَدِّمَةَ وَيَزِيدُ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا لَا تُنْزَعُ مِمَّنْ هِيَ فِي يَدِهِ؛ لِأَنَّ يَدَهُ لَمْ يُعْرَفْ ابْتِدَاؤُهَا فَاشْتَرَكَتْ بَيِّنَتُهُ وَبَيِّنَةُ الْخَارِجِ فِي شَهَادَةِ كُلِّ وَاحِدَةٍ بِالْمِلْكِ فِي وَقْتٍ غَيْرِ وَقْتِ الْأُخْرَى وَانْفَرَدَتْ إحْدَاهُمَا بِالْيَدِ فَقُدِّمَتْ بَيِّنَةُ صَاحِبِ الْيَدِ، هَذَا لَوْ حَصَلَ التَّعَارُضُ فَكَيْفَ وَلَا تَعَارُضَ لِمَا قَدَّمْنَاهُ.
فَلَوْ كَانَ كِتَابُ أَحَدِهِمَا مُتَضَمِّنًا ثُبُوتَ الْمِلْكِ وَالْيَدِ فِي وَقْتٍ وَكِتَابُ الْآخَرِ مُتَضَمِّنًا ثُبُوتَ الْمِلْكِ وَالْيَدِ فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ وَالْعَيْنُ فِي يَدِ ثَالِثٍ كَانَ كَالْمَسْأَلَةِ الْأُولَى وَحَكَمْنَا لِلْمُتَأَخِّرِ إذَا جَوَّزْنَا الْحُكْمَ بِالشَّهَادَةِ بِالْمِلْكِ الْمُتَقَدِّمِ وَإِنْ لَمْ نُجَوِّزْهُ بَنَيْنَا الْأَمْرَ عَلَى مَا مَرَّ هُوَ عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَتْ فِي يَدِ صَاحِبِ التَّارِيخِ الثَّانِي أَقْرَرْنَا مَا فِي يَدِهِ وَاجْتَمَعَ عَلَى إقْرَارِهَا فِي يَدِهِ الْيَدُ وَتَأَخُّرُ كِتَابِهِ إنْ جَوَّزْنَا الشَّهَادَةَ بِالْمِلْكِ الْمُتَقَدِّمِ وَإِلَّا بِالْيَدِ فَقَطْ مَعَ تَسَاوِي الْجَانِبَيْنِ فِي الْبَيِّنَةِ، وَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي الْمُحَاكَمَاتِ فَقُلْت بِأَنَّهَا لَا تُنْزَعُ لَا سِيَّمَا وَالثَّانِي وَقْفٌ لَا يَقْبَلُ الِانْتِقَالَ، وَقَدْ ثَبَتَ فِيهِ الْمِلْكُ وَالْحِيَازَةُ إلَى تَارِيخِ الْوَقْفِ وَحُكِمَ بِصِحَّتِهِ فَكَيْفَ يُنْزَعُ، وَلَمْ أَجِدْهَا مَسْطُورَةً لَكِنِّي جَازِمٌ بِالْحُكْمِ الْمَذْكُورِ فِيهَا.
ثُمَّ وَقَعَ لِي فَتْوَى فِيهَا خَطُّ بُرْهَانِ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ الْحَنَفِيِّ وَتَقِيُّ الدِّينِ بْنُ تَيْمِيَّةَ الْحَنْبَلِيِّ تُوَافِقُ مَا قُلْته. انْتَهَى.

(مَسْأَلَةٌ) فِي الْكِتَابِ الْمُشَارِ إلَيْهِ الْمُتَقَدِّمِ التَّارِيخِ لَمْ يَثْبُتْ فِيهِ الْمِلْكُ لِلْخَصْمِ وَإِنَّمَا ثَبَتَ شِرَاؤُهُ وَلَمْ يَثْبُتْ مِلْكُ الْبَائِعِ إلَى حِينِ الْبَيْعِ وَإِنَّمَا الْمُشْتَرِي اشْتَرَى مِنْ تَرِكَةٍ فِي وَفَاءِ دَيْنٍ عَلَيْهَا بِإِذْنِ الْحَاكِمِ وَثَبَتَ عَلَى الْحَاكِمِ الْمِلْكُ وَالْيَدُ." (١)

١٠. "[مَسْأَلَةٌ أَرْضٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَقَرَّ أَنَّهُمَا اقْتَسَمَاهَا قِسْمَةً صَحِيحَةً شَرْعِيَّةً]
مَسْأَلَةٌ) قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ وَقَفْت عَلَى تَصْنِيفٍ لَطِيفٍ لِقَاضِي الْقُضَاةِ شِهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْخَلِيلِ بْنِ سَعَادَةَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عِيسَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيِّ الشَّافِعِيِّ قَالَ فِيهِ وَقَعَ عِنْدِي فِي جُمْلَةِ الْمُحَاكَمَاتِ

---

(١) فتاوى السبكي، السبكي، تقي الدين ٢/٤٩٦

أَرْضٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَقَرَّ أَنَّهُمَا اقْتَسَمَاهَا قِسْمَةً صَحِيحَةً شَرْعِيَّةً وَتَسَلَّمَ كُلٌّ مِنْهُمَا مَا خَصَّهُ بِالْقِسْمَةِ وَادَّعَى أَحَدُهُمَا أَنَّ شَرِيكَهُ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى أَكْثَرَ مِمَّا خَصَّهُ بِالْقِسْمَةِ وَعَيَّنَ حَدًّا، وَقَالَ: هَذَا الْحَدُّ الَّذِي وَقَعَتْ الْقِسْمَةُ عَلَيْهِ وَعَيَّنَ الشَّرِيكُ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ حَدًّا ثَانِيًا وَقَالَ: هَذَا الَّذِي وَقَعَتْ الْقِسْمَةُ عَلَيْهِ فَالَّذِي فِي يَدِي هُوَ حَقِّي وَلَمْ أَتَجَاوَزْ الْحَدَّ فَرَأَيْتُ اخْتِصَاصَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ بِمَا وَرَاءَ الْحَدِّ الْأَوَّلِ لِاتِّفَاقِ الْمُتَنَازِعَيْنِ عَلَيْهِ وَاخْتِصَاصَ الْمُدَّعِي بِمَا وَرَاءَ الْحَدِّ الثَّانِي لِاتِّفَاقِهِمَا عَلَيْهِ أَيْضًا وَرَأَيْت أَنَّ مَا بَيْنَ الْحَدَّيْنِ يُقَسَّمُ بَيْنَ الشَّرِيكَيْنِ عَلَى نِسْبَةِ مَا كَانَ بَيْنَهُمَا قَبْلَ الْقِسْمَةِ؛ لِأَنَّهَا أَرْضٌ أَقَرَّ كُلٌّ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ بِنِصْفِهَا، وَهِيَ فِي يَدِ أَحَدِهِمَا وَلَا بَيِّنَةَ عَلَى انْتِقَالِ مَا أَقَرَّ بِهِ لِلْخَارِجِ إلَيْهِ فَتُنْزَعُ مِنْ يَدِهِ إلَى أَنْ يُقِيمَ بَيِّنَةً عَلَى أَنَّهَا دَخَلَتْ فِيمَا خَصَّهُ بِالْقِسْمَةِ.

كَمَا لَوْ أَقَرَّ رَجُلٌ لِزَيْدٍ بِنِصْفِ دَارٍ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا وَادَّعَى أَنَّهُ مَلَكَ جَمِيعَهَا فَإِنَّهُ لَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ فِي النِّصْفِ الَّذِي أَقَرَّ بِهِ لِزَيْدٍ إلَّا بِبَيِّنَةٍ وَلَا تَنْفَعُهُ الْيَدُ؛ لِأَنَّ الْيَدَ الثَّانِيَةَ لَا تُعَارِضُ الْإِقْرَارَ السَّابِقَ.

وَوَقَفْتُ عَلَى ثَلَاثَةِ تَصَانِيفَ لِلشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ تَيْمِيَّةَ مُخْتَصَرٌ وَمُطَوَّلٌ وَمُلَخَّصٌ مِنْهُ قَالَ فِيهِ: إنَّ الشَّرِيكَيْنِ إذَا أَقَرَّا بِأَنَّهُمَا تَقَاسَمَا جَمِيعَ الْأَرْضِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَهُمَا وَأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا اسْتَوْفَى جَمِيعَ حَقِّهِ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ بِيَدِ الْآخَرِ شَيْءٌ ثُمَّ وَقَّفَ أَحَدُهُمَا نَصِيبَهُ وَانْتَقَلَ نَصِيبُ الْآخَرِ عَنْهُ بِبَيْعٍ وَنَحْوِهِ ثُمَّ ادَّعَى بَعْضُ مَنْ انْتَقَلَ إلَيْهِ الْمِلْكُ بِالْبَيْعِ عَلَى أَهْلِ الْوَقْفِ قِطْعَةً بِأَيْدِيهِمْ وَلَمْ يُقِمْ بَيِّنَةً بِالْغَصْبِ وَنَحْوِهِ عُلِمَ ذَلِكَ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ.

وَوَسَّعَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي ذَلِكَ جِدًّا فِي التَّصْنِيفِ الْمُطَوَّلِ وَظَنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ أَنَّهُ أَجَادَ فِي ذَلِكَ.

وَالَّذِي أَقُولُهُ: إنَّ كَلَامَ ابْنِ تَيْمِيَّةَ إنَّمَا يَتِمُّ لَوْ اتَّفَقْنَا عَلَى أَنَّ الْقِسْمَةَ شَمَلَتْ جَمِيعَ ذَلِكَ وَأَنَّ الْمُتَنَازَعَ فِيهِ أَخَذَهُ الَّذِي هُوَ فِي يَدِهِ بِحَقِّ الْقِسْمَةِ وَأَنَّهَا وَقَعَتْ غَلَطًا، وَالصُّورَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا الْمُدَّعِي يَقُولُ: إنَّ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَدْرٍ زَائِدٍ وَلَمْ يَخُصَّهُ بِالْقِسْمَةِ وَلَا دَفَعَهُ الْقَاسِمُ إلَيْهِ بَلْ تَعَدَّى فِيهِ عَلَى شَرِيكِهِ وَأَخَذَهُ مِنْ نَصِيبِهِ عُدْوَانًا، وَإِذَا صُوِّرَتْ الْمَسْأَلَةُ كَذَلِكَ فَالْحَقُّ مَا قَالَهُ الْقَاضِي شِهَابُ الدِّينِ وَلَا يَحْتَمِلُ الْحَالُ فِيهَا." (١)

١١. "فَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً آمِنَةً مِنَ اخْتِلالِ الأَذْهَانِ وَاخْتِلاجِهَا ضَامِنَةً لِمَنْ يَمُوتُ عَلَيْهَا حُسْنَ مَعَادِ الأَنْفُسِ وَمَعَاجِّهَا كَامِنَةً فِي الْقَلْبِ وَاللَّفْظُ يَنْطِقُ بِهَا وَالْجَوَارِحُ تَمْشِي عَلَى مِنْهَاجِهَا وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِمَامُ التَّقْوَى وَضِيَاءُ سِرَاجِهَا وَعَلامُ الْوَرَى الْقَائِمُ بِمُجَادَلَةِ الْخُصُومِ وَحُجَّاجِهَا وَضِرْغَامُ الْوَغَى إِذَا اطْلَخَمَّ الأَمْرُ بَيْنَ ضِيَاء الدِّينِ الْمُسْتَقِيمِ وَظُلُمَاتِ الشِّرْكِ وَاعْوِجَاجِهَا

---

(١) فتاوى السبكي، السبكي، تقي الدين ٢/٥٠٠

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الإِمَامِ الطَّاهِرِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قُرَيْشٍ الْمَخْزُومِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَأَنَا حَاضِرٌ أَسْمَعُ فِي الرَّابِعَةِ أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ رَشِيدُ الدِّينِ أَبُو الْحُسَيْنِ يَحْيَى بْنُ عَلِيِّ الْقُرَشِيُّ سَمَاعًا عَلَيْهِ أَخْبَرَنَا أَبُو الْفضل الغزنوي وابو الْحسن ابْن أَبِي الْبَرَكَاتِ الصُّوفِيُّ وَزَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ النَّحْوِيُّ الْبَغْدَادِيُّونَ قِرَاءَةً عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِانْفِرَادِهِ قَالُوا أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي الأَنْصَارِيُّ

ح وَأَخْبَرَنَا الْمَشَايِخُ الْمُحَدِّثُ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ نُبَاتَةَ وَأَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَطَّارِ وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْعِزِّ عمر بن أَحْمد بن عمر ابْن أَبِي بَكْرٍ الْمَقْدِسِيُّ وَأَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ الْجُوخِيِّ وَأَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الصَّلاحِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ بَدْرِ بْنِ تُبَّعَ الْبَعْلِيُّ وَأَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَيْمِيَةَ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ رِضْوَانَ الرَّقِّيُّ الْحَنَفِيُّ وَأَبُو الْفَضْلِ عبد الرَّحِيم بن إِبْرَاهِيم بن إِسْمَاعِيل بن أَبِي الْيُسْرِ وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْغَالِبِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْقَاهِرِ الْمَاكِسِينِيُّ وَرَفِيقُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ." (١)

١٢. "سُلَيْمَانَ بْنِ عَايِدٍ الْمَاكِسِينِيُّ وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ بَرَكَاتِ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْقريشَةِ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ بْنِ عمربن يُوسُفَ بْنِ خَطِيبِ بَيْتِ الآبَارِ وَأَيُّوبُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلَوِيِّ السُّلَمِيُّ التَّاجِرُ وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ فَلاحِ بْنِ الإِسْكَنْدَرِيِّ وَابْنُ أَخِيهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الإِسْكَنْدَرِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بن يحيى بن أَحْمد ابْن أَحْمَدَ بْنِ الْكَيَّالِ وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ أَحْمَدَ الشِّيرَزِيُّ وَأَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ عبد السَّيِّد بن علوان السلامِي وَمُحَمّد ابْن إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْخَبَّازِ وَمُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الدَّوْلَعِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ أتيك السُّكَّرِيُّ وَأَبُو الْفَتْحِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ الْحَنْبَلِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِمْ وَأَنَا أَسْمَعُ

قَالَ ابْن أَبِي الْيُسْرِ وَابْنُ تبع وَابْنُ الْجُوخِيِّ وَابْنُ أَبِي الْفَتْحِ وَابْنُ الْكَيَّالِ وَالْمَاكِسِينِيُّ وَرَفِيقُهُ وَالشِّيرَزِيُّ أَخْبَرَنَا ابْنُ الْبُخَارِيِّ

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ وَابْنُ الْخَبَّازِ وَابْنُ الْعَطَّارِ أَخْبَرَنَا رَشِيدُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْعَامِرِيُّ

وَقَالَ ابْنُ الْخَبَّازِ وَابْنُ الْعَطَّارِ أَيْضًا أَخْبَرَنَا عمر بن مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي عصرون." (٢)

١٣. "وَقَالَ ابْنُ الْعَطَّارِ أَيْضًا أَخْبَرَنَا الْمِقْدَادُ بْنُ هِبَةِ اللَّهِ الْقَيْسِيُّ

وَقَالَ ابْن الْجُوخِيِّ وَابْنُ تُبَّعٍ وَابْنُ الْخَبَّازِ أَيْضًا وَالسَّلامِيُّ أَخْبَرَتْنَا زَيْنَبُ بِنْتُ مَكِّيٍّ

وَقَالَ ابْنُ الْخَبَّازِ وَالسَّلامِيُّ وَابْنُ تُبَّعٍ وَابْنُ أَبِي الْفَتْحِ أَيْضًا أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الزَّيْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَقْدِسِيُّ

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ١٥٢/١

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ١٥٣/١

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ وَابْنُ الْخَبَّازِ وَابْنُ أَبِي الْيُسْرِ أَيْضًا وَابْنُ الْقرِيشَةِ أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْيُسْرِ
وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ وَابْنُ الْخَبَّازِ أَيْضًا أَخْبَرَنَا الْمُؤَمَّلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الْبَالِسِيُّ
وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ وَابْنُ الْخَبَّازِ أَيْضًا وَابْنُ الْعِزِّ عُمَرُ أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْهَرَوِيُّ
وَقَالَ ابْنُ الْخَبَّازِ وَابْنُ الْقرِيشَةِ أَيْضًا وَالسُّكَّرِيُّ أَخْبَرَنَا الْمُسْلِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلانَ
وَقَالَ ابْنُ نُبَاتَةَ أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَافِظِ أَبِي الطَّاهِرِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْن عَبْدِ الْمُحْسِنِ بْنِ الأَنْمَاطِيّ
وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْفَتْحِ أَيْضًا وَالدَّوْلَعِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الإِسْكَنْدَرِيِّ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ شَيْبَانَ بْنِ تَغْلِب
وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ أَيْضًا وَابْنُ عَلَوِيّ أَخْبَرَنَا أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّد بن عبد الْمُنعم بن عمر ابْن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَدِير بْنِ الْقَوَّاسِ
وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ أَيْضًا أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ الصَّيْرَفِيِّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ الْبَغْدَادِيُّ وَيَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَجْمِ الدِّينِ الْحَنْبَلِيُّ
وَقَالَ ابْنُ الْخَبَّازِ أَيْضًا وَابْنُ الْعِزِّ عُمَرُ أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الشَّيْخِ أَبِي عُمَرَ." (١)

١٤. "أُخْرَى

وَعبد الْغَنِيّ الْمَقْدِسِي وَابْن الْأَخْضَر وَعبد الْقَادِر الرهاوي وَالقَاسِم بْن عَسَاكِر
أُخْرَى
وَأبي بكر بْن نقطة وَابْن الزَّيْنَبِي وَأبي عَبْد اللَّه مُحَمَّد بْن عَبْد الْوَاحِد بْن أَحْمَد الْمَقْدِسِي وَابْن الصّلاح وإِبْرَاهِيم الصريفيني والحافظ يُوسُف بْن خَلِيل
أُخْرَى
وَعبد الْعَظِيم الْمُنْذِرِيّ ورشيد الدّين الْعَطَّار وَابْن مسدي
أُخْرَى
وَالنَّوَوِيّ والدمياطي وَابْن الظَّاهِرِيّ وَعبيد الإسعردي ومحب الدّين الطَّبَرِيّ وَشَيخ الْإِسْلَام تَقِيّ الدّين بن دَقِيق العَبْد
أُخْرَى
وَالْقَاضِي سعد الدّين الْحَارِثِيّ والحافظ أَبِي الْحجَّاج الْمزي وَالشَّيْخ تَقِيّ الدّين ابْن تَيْمِية وَالشَّيْخ فتح الدّين بْن سيد النَّاس والحافظ قطب الدّين عَبْد الْكَرِيم الْحَلَبِي والحافظ علم الدّين البرزالي وَشَيخنَا الذَّهَبِيّ وَالشَّيْخ الْوَالِد

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ١/١٥٤

أُخْرَى
والحافظ أَبِي الْعَبَّاس بْن المظفر والحافظ صَلَاح الدّين العلائي
فَهَؤُلَاءِ مهرَة هَذَا الْفَنّ وَقد أَغْفَلنَا كثيرا من الْأَئِمَّة وأهملنا عددا صَالحا من الْمُحدثين وَإِنَّمَا ذكرنَا من ذَكَرْنَاهُ لننبه بهم عَلَى من عداهم ثمَّ أَفْضى الْأَمر إِلَى طي بِسَاط الْأَسَانِيد رَأْسا وعد الأكابر مِنْهَا جَهَالَة ووسواسا." (١)

١٥. "قَالَ الدَّارَقُطْنِيّ كَانَ من كبار أَصْحَاب الشَّافِعِي الملازمين لَهُ بِبَغْدَاد ثمَّ صَار من أَصْحَاب ابْن أَبِي دؤاد وَاتبعهُ عَلَى رَأْيه وَكَذَلِكَ قَالَ الشَّيْخ أَبُو إِسْحَاق
وَقَالَ أَبُو عَاصِم هُوَ أحد الْحفاظ النساك الْمُفْتِينَ قَالَ وَالشَّافِعِيّ مَنعه من قِرَاءَة كتبه لِأَنَّهُ كَانَ فِي بَصَره سوء
وَقَالَ زَكَرِيَّا السَّاجِي قلت لأبي دَاوُد السجسْتانِي من أَصْحَاب الشَّافِعِي فَقَالَ الْحميدِي وَأَحْمَد والبويطي وَالربيع وَأَبُو ثَوْر وَابْن الْجَارُود والزعفراني والكرابيسي والمزني وحرملة وَرجل لَيْسَ بالمَحْمُود أَبُو عَبْد الرَّحْمَن أَحْمَد بْن يَحْيَى الَّذِي يُقَال لَهُ الشَّافِعِي وَذَلِكَ أَنه بدل وَقَالَ بالاعتزال
قلت وَقَالَ أَيْضًا بمنكرات من الْمسَائِل
فَذهب فِيمَا نَقله أَبُو الْحسَن الْجُوزِيّ فِي كِتَابه المرشد شرح مُخْتَصر الْمُزنِيّ إِلَى أَن الطَّلَاق لَا يَقع بِالصِّفَاتِ محتجا بِأَنَّهُ لما لم يجز نِكَاح الْمُتْعَة لِأَنَّهُ عقد مُعَلّق بِصفة فَكَذَلِك الطَّلَاق بِصفة عقد مُعَلّق وَهَذَا قَول بَاطِل هاجم عَلَى خرق الْإِجْمَاع وَهُوَ مثل قَول الظَّاهِرِيَّة كَمَا صرح بِهِ ابْن حزم فِي الْمحلى وَغَيره
أَن من قَالَ إِذا جَاءَ رَأس الشَّهْر فَأَنت طَالِق أَو ذكر وقتا مَا فَلَا تكون طَالقا بذلك لَا الْآن وَلَا إِذا جَاءَ رَأس الشَّهْر وَلَعَلَّ هَذَا من مُفْرَدَات الظَّاهِرِيَّة
وَقد أَطَالَ الشَّيْخ الإِمَام الْوَالِد الْكَلَام عَلَى هَذَا وحرر مُخَالفَته للْإِجْمَاع فِي كِتَابه الرَّد عَلَى ابْن تَيْمِية فِي مَسْأَلَة الطَّلَاق كتاب التَّحْقِيق الَّذِي هُوَ من أجل تصانيف الشَّيْخ الإِمَام." (٢)

١٦. "وَأما المجسمة بِمَدِينَة هراة فَلَمَّا ثارت نُفُوسهم من هَذَا اللقب عَمدُوا إِلَى أَبِي إِسْمَاعِيل عبد الله بن مُحَمَّد الْأَنْصَارِيّ صَاحب كتاب ذمّ الْكَلَام فلقبوه بشيخ الْإِسْلَام وَكَانَ الْأَنْصَارِيّ الْمشَار إِلَيْهِ رجلا كثير الْعِبَادَة مُحدثا إِلَّا أَنه يتظاهر بالتجسيم والتشبيه وينال من أهل السّنة وَقد بَالغ فِي كِتَابه ذمّ الْكَلَام حَتَّى ذكر أَن ذَبَائِح الأشعرية لَا تحل وَكنت أرى الشَّيْخ الإِمَام يضْرب على مَوَاضِع من كتاب ذمّ الْكَلَام وَينْهى عَن النّظر فِيهِ
وللأنصاري أَيْضا كتاب الْأَرْبَعين سمتها أهل الْبِدْعَة الْأَرْبَعُونَ فِي السّنة يَقُول فِيهَا بَاب إِثْبَات الْقدَم لله

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ٣١٨/١
(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ٦٥/٢

بَاب إِثْبَات كَذَا وَكَذَا
وَبِالْجُمْلَةِ كَانَ لَا يسْتَحق هَذَا اللقب وَإِنَّمَا لقب بِهِ تعصبا وتشبيها لَهُ بِأبي عُثْمَان وَلَيْسَ هُوَ هُنَاكَ
وَكَانَ أهل هراة فِي عصره فئتين فِئَة تعتقده وتبالغ فِيهِ لما عِنْده من التقشف والتعبد وَفِئَة تكفره لما يظهره من التَّشْبِيه
وَمن مصنفاته الَّتِي فوقت نَحوه سِهَام أهل الْإِسْلَام كتاب ذمّ الْكَلَام وَكتاب الْفَارُوق فِي الصِّفَات وَكتاب الْأَرْبَعين وَهَذِه الْكتب الثَّلَاثَة أبان فِيهَا عَن اعْتِقَاد التَّشْبِيه وأفصح
وَله قصيدة فِي الِاعْتِقَاد تنبىء عَن العظائم فِي هَذَا الْمَعْنى وَله أَيْضا كتاب منَازِل السائرين فِي التصوف
وَكَانَ الشَّيْخ تَقِيّ الدّين أَبُو الْعَبَّاس ابْن تَيْمِية مَعَ ميله إِلَيْهِ يضع من هَذَا الْكتاب أَعنِي منَازِل السائرين قَالَ شَيخنَا الذَّهَبِيّ وَكَانَ يَرْمِي أَبَا إِسْمَاعِيل بالعظائم بِسَبَب هَذَا الْكتاب وَيَقُول إِنَّه مُشْتَمل على الِاتِّحَاد." (١)

١٧. "(طرائق تجسيم وطرق تجهم ... وسبل اعتزال مثل نسج العناكب)
(وَفِي قدر والرفض طرق عمية ... وَمَا قيل فِي الإرجاء من نعب ناعب)
ثمَّ قَالَ
(وخبث مقَال الْأَشْعَرِيّ تخنث ... يضاهي تلويه تلوي الشغازب)
(يزين هَذَا الْأَشْعَرِيّ مقاله ... ويقشبه بالسم ياشر قاشب)
(فينفي تفاصيلا وَيثبت جملَة ... كناقصه من بعد شدّ الذوائب)
يؤول آيَات الصِّفَات بِرَأْيِهِ ... فجرأته فِي الدّين جرْأَة خارب)
(ويجزم بالتأويل من سنَن الْهدى ... ويخلب أَغْمَارًا فأشئم بخالب)
وَهَذَا كَلَام من لَا يستحيي من الله وَالْغَرَض على كَلَامه لائح فَإِن أهل الْبدع الَّذين هم أهل الْبدع حَقًا بِلَا خلاف بَين الْمُحدثين وَالْفُقَهَاء هم المجسمة والمعتزلة والقدرية وهم المجسمة والجهمية والرافضة والمرجئة لم يشْتَغل بهم إِلَّا فِي بَيْتَيْنِ وَأطَال فِي الأشاعرة وَلَا يخفى أَن الأشاعرة إِنَّمَا هم نفس أهل السّنة أَو هم أقرب النَّاس إِلَى أهل السّنة
ثمَّ إِن قَوْله مقَال الْأَشْعَرِيّ تخنث من ردىء الْكَلَام وَمن أعظم الافتراء
ويعجبني من كَلَام الشَّيْخ كَمَال الدّين بن الزملكاني فِي رده على ابْن تَيْمِية قَوْله إِن كَانَت الأشاعرة الَّذين فيهم القَاضِي أَبُو بكر الباقلاني والأستاذ أَبُو إِسْحَاق الإسفرايني." (٢)

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ٤/٢٧٢
(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ٦/١٤٤

١٨. "فَلَا كيد لمن يرى هَذَا الرَّأْي وَلَا كَرَامَة وَلَا تظن ذَلِك بالشيخ الْمُوفق وَلَعَلَّ هَذِه الْحِكَايَة من تخليقات متأخري الحشوية

وجدت بِخَط الْحَافِظ صَلَاح الدّين خَلِيل بن كيكلدي العلائي رَحمَه الله رَأَيْت بِخَط الشَّيْخ شمس الدّين الذَّهَبِيّ رَحمَه الله أَنه شَاهد بِخَط سيف الدّين أَحْمد بن الْمجد الْمَقْدِسِي لما دخلت بَيت الْمُقَدّس والفرنج إِذْ ذَاك فِيهِ وجدت مدرسة قريبَة من الْحرم – قلت أظنها الصلاحية – والفرنج بهَا يُؤْذونَ الْمُسلمين ويفعلون العظائم فَقلت سُبْحَانَ الله ترى أَي شَيْء كَانَ فِي هَذِه الْمدرسَة حَتَّى ابْتليت بِهَذَا حَتَّى رجعت إِلَى دمشق فحكي لي أَن الشَّيْخ فَخر الدّين ابْن عَسَاكِر كَا يقرئ بهَا المرشدة فَقلت بل هِيَ المضلة انْتهى مَا نقلته من خطّ العلائي رَحمَه الله

ونقلت من خطه أَيْضا وَهَذِه العقيدة المرشدة جرى قَائِلهَا على الْمِنْهَاج القويم وَالْعقد الْمُسْتَقيم وَأصَاب فِيمَا نزه بِهِ الْعلي الْعَظِيم ووقفت على جَوَاب لِابْنِ تَيْمِية سُئِلَ فِيهِ عَنْهَا ذكر فِيهِ أَنَّهَا تنْسب لِابْنِ تومرت وَذَلِكَ بعيد من الصِّحَّة أَو بَاطِل لِأَن الْمَشْهُور أَن ابْن تومرت كَانَ يُوَافق الْمُعْتَزلَة فِي أصولهم وَهَذِه مباينة لَهُم انْتهى

وَأطَال العلائي فِي تَعْظِيم المرشدة والإزراء بشيخنا الذَّهَبِيّ وَسيف الدّين ابْن الْمجد فِيمَا ذكرَاهُ فَأَما دَعْوَاهُ أَن ابْن تومرت كَانَ معتزليا فَلم يَصح عندنَا ذَلِك والأغلب أَنه كَانَ أشعريا صَحِيح العقيدة أَمِيرا عادلا دَاعيا إِلَى طَرِيق الْحق

وَأما قَول السَّيْف ابْن الْمجد إِن الَّذِي اتّفق إِنَّمَا هُوَ بِسَبَب إقراء المرشدة فَمن التعصب الْبَارِد وَالْجهل الْفَاسِد وَقد فعلت الفرنج دَاخل الْمَسْجِد الْأَقْصَى العظائم فَهَلا نظر فِي ذَلِك نَعُوذ بِاللَّه من الخذلان

وَنحن نرى أَن نسوق هَذِه العقيدة المرشدة وَهِي

اعْلَم أرشدنا الله وَإِيَّاك أَنه يجب على كل مُكَلّف أَن يعلم أَن الله عز وَجل وَاحِد فِي ملكه خلق الْعَالم بأسره الْعلوِي والسفلي وَالْعرش والكرسي وَالسَّمَوَات." (١)

١٩. "ووقفت لَهُ على تصنيف صنفه فِي نفي الْجِهَة ردا على ابْن تَيْمِية لَا بَأْس بِهِ وَهُوَ هَذَا

بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم الْحَمد لله الْعَظِيم شَأْنه الْقوي سُلْطَانه القاهر ملكوته الباهر جبروته الْغَنِيّ عَن كل شَيْء وكل شَيْء مفتقر إِلَيْهِ فَلَا معول لشَيْء من الكائنات إِلَّا عَلَيْهِ

أرسل مُحَمَّدًا صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بالمحجة الْبَيْضَاء وَالْملَّة الزهراء فَأتى بأوضح الْبَرَاهِين وَنور محجة السالكين ووصف ربه تَعَالَى بِصِفَات الْجلَال وَنفى عَنهُ مَا لَا يَلِيق بالكبرياء والكمال فتعالى الله الْكَبِير المتعال عَمَّا يَقُوله أهل الغي والضلال لَا يحملهُ الْعَرْش بل الْعَرْش وَحَمَلته محمولون بلطيف قدرته مقهورون فِي قَبضته أحَاط بِكُل شَيْء علما وأحصى كل شَيْء عددا مطلع على هواجس الضمائر وحركات

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ١٨٥/٨

الخواطر فسبحانه مَا أعظم شَأْنه وأعز سُلْطَانه ﴿يسْأَله من فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض﴾ لافتقارهم إِلَيْهِ ﴿كل يَوْم هُوَ فِي شَأْن﴾ لاقتداره عَلَيْهِ

وصلى الله عَلَيْهِ وَسلم على سيدنَا مُحَمَّد خَاتم أنبيائه ومبلغ أنبائه وعَلى آله وَصَحبه وَسلم

أما بعد فَالَّذِي دَعَا إِلَى تسطير هَذِه النبذة مَا وَقع فِي هَذِه الْمدَّة مِمَّا علقه بَعضهم فِي إِثْبَات الْجِهَة واغتر بهَا من لم يرسخ لَهُ فِي التَّعْلِيم قدم وَلم يتَعَلَّق بأذيال الْمعرفَة وَلَا كبحه لجام الْفَهم وَلَا استبصر بِنور الْحِكْمَة فَأَحْبَبْت أَن أذكر عقيدة أهل السّنة وَالْجَمَاعَة ثمَّ أبين فَسَاد مَا ذكره مَعَ أَنه لم يدع دَعْوَى إِلَّا نقضهَا وَلَا أطد قَاعِدَة." (١)

٢٠. "مولده بِبِلَاد الْهِنْد سنة أَربع وَأَرْبَعين وسِتمِائَة

ورحل إِلَى الْيمن سنة سبع وَسِتِّينَ ثمَّ حج وَقدم إِلَى مصر ثمَّ سَار إِلَى الرّوم وَاجْتمعَ بسراج الدّين

ثمَّ قدم دمشق سنة خمس وَثَمَانِينَ واستوطنها ودرس بالأتابكية والظاهرية الجوانية وشغل النَّاس بِالْعلمِ

توفّي بِدِمَشْق سنة خمس عشرَة وَسَبْعمائة

وَكَانَ خطه فِي غَايَة الرداءة وَكَانَ رجلا ظريفا ساذجا فيحكى أَنه قَالَ وجدت فِي سوق الْكتب مرّة كتابا بِخَط ظننته أقبح من خطي فغاليت فِي ثمنه واشتريته لأحتج بِهِ على من يَدعِي أَن خطي أقبح الخطوط فَلَمَّا عدت إِلَى الْبَيْت وجدته بخطي الْقَدِيم

وَلما وَقع من ابْن تَيْمِية فِي المسئلة الحموية مَا وَقع وَعقد لَهُ الْمجْلس بدار السَّعَادَة بَين يَدي الْأَمِير تنكز وجمعت الْعلمَاء أشاروا بِأَن الشَّيْخ الْهِنْدِيّ يحضر فَحَضَرَ وَكَانَ الْهِنْدِيّ طَوِيل النَّفس فِي التَّقْرِير إِذا شرع فِي وَجه يقرره لَا يدع شُبْهَة." (٢)

٢١. "وَلَا اعتراضا إِلَّا قد أَشَارَ إِلَيْهِ فِي التَّقْرِير بِحَيْثُ لَا يتم التَّقْرِير إِلَّا وَقد بعد على الْمُعْتَرض مقاومته فَلَمَّا شرع يُقرر أَخذ ابْن تَيْمِية يعجل عَلَيْهِ على عَادَته وَيخرج من شَيْء إِلَى شَيْء فَقَالَ لَهُ الْهِنْدِيّ مَا أَرَاك يَا ابْن تَيْمِية إِلَّا كالعصفور حَيْثُ أردْت أَن أقبضهُ من مَكَان فر إِلَى مَكَان آخر وَكَانَ الْأَمِير تنكز يعظم الْهِنْدِيّ ويعتقده وَكَانَ الْهِنْدِيّ شيخ الْحَاضِرين كلهم فكلهم صدر عَن رَأْيه وَحبس ابْن تَيْمِية بِسَبَب تِلْكَ المسئلة وَهِي الَّتِي تَضَمَّنت قَوْله بالجهة وَنُودِيَ عَلَيْهِ فِي الْبَلَد وعَلى أَصْحَابه وعزلوا من وظائفهم

١٣٢٠ - مُحَمَّد بن عبد الصَّمد بن عبد الْقَادِر بن صَالح الشَّيْخ قطب الدّين السنباطي

صَاحب تَصْحِيح التَّعْجِيز وَأَحْكَام الْمبعض

كَانَ فَقِيها كَبِيرا تخرجت بِهِ المصريون

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ٩/٣٥

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ٩/١٦٣

سمع أَبَا الْمَعَالِي الأبرقوهي وَعلي بن نصر الله الصَّواف وَغَيرهمَا

توفّي فِي ذِي الْحجَّة سنة اثْنَتَيْنِ وَعشْرين وَسَبْعمائة بِالْقَاهِرَةِ وَدفن بالقرافة." (١)

٢٢. "وصنف الرَّد على ابْن تَيْمِية فِي مسئلتي الطَّلَاق والزيارة وكتابا فِي تَفْضِيل الْبشر على الْملك جود فِيهِ وَشرح من منهاج النَّوَوِيّ قطعا مُتَفَرِّقَة

ذكره شَيخنَا الذَّهَبِيّ فِي المعجم الْمُخْتَص فَقَالَ شَيخنَا عَالم الْعَصْر وَكَانَ من بقايا الْمُجْتَهدين وَمن أذكياء أهل زَمَانه درس وَأَفْتى وصنف وَتخرج بِهِ الْأَصْحَاب

انْتهى

وَذكره الشَّيْخ جمال الدّين بن نباتة فِي كتاب سجع المطوق فَقَالَ أما وغصون أقلامه المثمرة بِالْهدى وسطور فَتَاوِيهِ الْمُوَضّحَة للحق طرائق قددا وخواطره الَّتِي تولدت فَكَانَت الأنجم مهودا ومآثره الَّتِي ضربت رواق الْعِزّ وَكَانَت المجرة طنبا وَكَانَ الْفجْر عمودا ومناظراته الَّتِي أسكتت المناظرين فَكَأَنَّمَا ضربت سيوفهم الْمُجَرَّدَة لألسنتهم قيودا

إِن الْآدَاب لتحركني لمدحه وَالْأَدب يحثني على السّكُون وَإِنِّي لأعق محاسنه إِذا أردْت برهَا بِالْوَصْفِ وَمن الْبر مَا يكون

(جلّ عَن مَذْهَب المديح فقد كَاد ... يكون المديح فِيهِ هجاء)

ثمَّ قَالَ هُوَ الْبَحْر وعلومه درره الفاخرة وفتاويه المتفرق فِي الْآفَاق سحبه السائرة وَالْعلم إِلَّا أَنه الَّذِي لَا تجنه الغياهب والطود إِلَّا أَنه الَّذِي لَا يحاوله الْبشر." (٢)

٢٣. "١٣٢٩ - مُحَمَّد بن عمر بن مكي بن عبد الصَّمد الشَّيْخ الإِمَام صدر الدّين بن المرحل

تفقه على وَالِده وعَلى الشَّيْخ شرف الدّين الْمَقْدِسِي

وَسمع الحَدِيث من الْقَاسِم الإربلي وَالْمُسلم بن عَلان وَطَائِفَة

وَقعت لنا عَنهُ أناشيد من نظمه وَلم يَقع لنا حَدِيثه

كَانَ إِمَامًا كَبِيرا بارعا فِي الْمَذْهَب والأصلين يضْرب الْمثل باسمه فَارِسًا فِي الْبَحْث نظارا مفرط الذكاء عَجِيب الحافظة كثير الِاشْتِغَال حسن العقيدة فِي الْفُقَرَاء مليح النّظم جيد المحاضرة

ولد بِدِمَشْق وَنَشَأ بهَا وانتقل إِلَى الْقَاهِرَة وَبهَا توفّي وتنقلت بِهِ الْأَحْوَال

وَله مَعَ ابْن تَيْمِية المناظرات الْحَسَنَة وَبهَا حصل عَلَيْهِ التعصب من أَتبَاع ابْن تَيْمِية وَقيل فِيهِ مَا هُوَ بعيد عَنهُ وَكثر الْقَائِل فارتاب الْعَاقِل." (٣)

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ٩/١٦٤

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ٩/١٩١

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ٩/٢٥٣

٢٤. "الثريا بشبر وأصيل قدره أجل مِمَّا يموه بِهِ لجين النَّهَار ذائب التبر
إِمَام نَاضِح عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بنضاله وجاهد بجداله وَلم يلطخ بالدماء حد نصاله
حمى جناب النُّبُوَّة الشريف بقيامه فِي نَصره وتسديد سهامه للذب عَنهُ من كنَانَة مصره فَلم يخط على
بعد الديار سَهْمه الراشق وَلم يخف مسام تِلْكَ الدسائس فهمه الناشق
ثمَّ لم يزل حَتَّى نقي الصُّدُور من شبه دنسها وَوُقِيَ من الْوُقُوع فِي ظلم حندسها
قَامَ حِين خلط على ابْن تَيْمِية الْأَمر وسول لَهُ قرينه الْخَوْض فِي ضحضاح ذَلِك الْجَمْر حِين سد بَاب
الْوَسِيلَة يغْفر الله لَهُ وَلَا حرمهَا وَأنكر شدّ الرّحال لمُجَرّد الزِّيَارَة لَا واخذه الله وَقطع رَحمهَا
وَمَا برح يدلج ويسير حَتَّى نصر صَاحب ذَلِك الْحمى الَّذِي لَا ينتهك نصرا مؤزرا وكشف من خبء
الضمائر فِي الصُّدُور عَنهُ صَدرا موغرا فَأمْسك مَا تماسك من بَاقِي العرى وَحصل أجرا فِي الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَة يرى حَتَّى سهل السَّبِيل إِلَى زِيَارَة صَاحب الْقَبْر عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام وَقد كَادَت تزور عَنهُ قسرا
صُدُور الركائب وتجر قهرا أَعِنَّة الْقُلُوب وَهن لوائب بِتِلْكَ الشُّبْهَة الَّتِي كَادَت شرارتها تعلق بحداد." (١)
٢٥. "ثمَّ حج فِي سنة سِتّ عشرَة وزار قبر الْمُصْطَفى صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ثمَّ عَاد وَألقى عَصا السّفر
وَاسْتقر والفتاوى ترد عَلَيْهِ من أقطار الأَرْض وَترد إِلَيْهِ بَعْضًا على بعض
وانتهت إِلَيْهِ رياسة الْمَذْهَب بِمصْر فَمَا طافت على نَظِيره وَإِن سَقَاهَا النّيل وَرَوَاهَا وَلَا اشْتَمَلت على
مثله أباطحها ورباها وَلَا فخرت إِلَّا بِهِ حَتَّى لقد لعبت بأعطاف البان مهاب صباها
وَفِي هَذِه الْمدَّة رد على الشَّيْخ أبي الْعَبَّاس ابْن تَيْمِية فِي مَسْأَلَتي الطَّلَاق والزيارة وَألف غَالب مؤلفاته
الْمَشْهُورَة كالتفسير وتكملة شرح الْمُهَذّب وَشرح الْمِنْهَاج للنووي وَغير ذَلِك من مَبْسُوط ومختصر
وطار اسْمه فَملأ الأقطار وَحلق على الدُّنْيَا وَلم يكتف بِمصْر من الْأَمْصَار شهرة بَعدت أطرافا وعمدت
إِلَى الرّبع العامر من جانبيه تحاول عَلَيْهِ إشرافا." (٢)
٢٦. "وَأَبُو عبد الرَّحْمَن الْمُقْرِئ الرَّاوِي عَن أبي حنيفَة هُوَ عبد الله بن يزِيد الْعَدوي مولى آل عمر بن
الْخطاب أَصله من نَاحيَة الْبَصْرَة سكن مَكَّة
وَلَا معنى للتطويل بِذكر الْكثير من حَدِيث شيخ الْإِسْلَام الشَّيْخ الإِمَام وَقد اشْتَمَل كتَابنَا هَذَا على
الْكثير مِنْهُ فنكتفي مِنْهُ فِي تَرْجَمته بِذكر مَا أوردناه
أنشدنا شيخ الْإِسْلَام الشَّيْخ الإِمَام لنَفسِهِ وَقد وقف على كتاب صنفه ابْن تَيْمِية فِي الرَّد على ابْن
المطهر الرافضي
(إِن الروافض قوم لَا خلاق لَهُم ... من أَجْهَل الْخلق فِي علم وأكذبه)

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ١٤٩/١٠
(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ١٦٧/١٠

(وَالنَّاس فِي غنية عَن رد إفكهم ... لهجنة الرَّفْض واستقباح مذْهبه)

(وَابْن المطهر لم تطهر خلائقه ... دَاع إِلَى الرَّفْض غال فِي تعصبه)

(لقد تَقول فِي الصحب الْكِرَام وَلم ... يستحي مِمَّا افتراه غير منجبه)

(وَلابْن تَيْمِية رد عَلَيْهِ وفى ... بمقصد الرَّد وَاسْتِيفَاء أضربه)

(لكنه خلط الْحق الْمُبين بِمَا ... يوشبه كدرا فِي صفو مشربه)

(يخالط الحشو أنى كَانَ فَهُوَ لَهُ ... حثيث سير بشرق أَو بمغربه)

(يرى حوادث لَا مبدا لأولها ... فِي الله سُبْحَانَهُ عَمَّا يظنّ بِهِ)

(لَو كَانَ حَيا يرى قولي ويفهمه ... رددت مَا قَالَ أقفو إِثْر سبسبه)

(كَمَا رددت عَلَيْهِ فِي الطَّلَاق وَفِي ... ترك الزِّيَارَة ردا غير مشتبه)." [١]

٢٧. "(فَفِي بني عَامر من حبها دنف ... وَلابْن تَيْمِية من عهدها سغب)

وَكَانَ قد قالهما وَقد وجد إكثار ابْن تَيْمِية من ذكر ليلى وتمنيها وَأَرَادَ بِعَهْد ليلى ظَاهرا مَا هُوَ لَهُ وَبَاطنا يَمِينهَا وَالْيَمِين الْعَهْد

وَأَيْضًا

(كَمَال الْفَتى بِالْعلمِ لَا بالمناصب ... ورتبة أهل الْعلم أَسْنَى الْمَرَاتِب)

(هم ورثوا علم النَّبِيين فاهتدى ... بهم كل سَار فِي الظلام وسارب)

(وَلَا فَخر إِلَّا إِرْث شرعة أَحْمد ... وَلَا فضل إِلَّا باكتساب المناقب)

(وَبحث وتدقيق وإيضاح مُشكل ... وتحرير برهَان وَقطع مغالب)

(وإحكام آيَات الْكتاب وَسنة ... أَتَت عَن رَسُول من لؤَي بن غَالب)

(إِذا الْمَرْء أَمْسَى للعلوم محالفا ... أَضَاء لَهُ مِنْهَا جَمِيع الغياهب)

(وينزاح عَنهُ كل شكّ وشبهة ... وتبدو لَهُ الْأَنْوَار من كل جَانب)

(هِيَ الرُّتْبَة الْعليا تسامى بِأَهْلِهَا ... إِلَى مُسْتَقر فَوق متن الْكَوَاكِب)

(فدونكها إِن كنت للرشد طَالبا ... تنَلْ خير مرجو الدنا والعواقب)

(وَلَا تعدلن بِالْعلمِ مَالا ورفعة ... وَسمر القنا أَو مرهفات القواضب)

(وهبك ازوت دنياك عَنْك فَلَا تبل ... فعنها لقد عوضت صفو المشارب)

(فَمَا قدر ذِي الدُّنْيَا وَمَا قدر أَهلهَا ... وَمَا اللَّهْو بالأولاد أَو بالكواعب)

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ١٠/١٧٦

(إذا قست مَا بَين الْعُلُوم وَبَينهَا ... بعقل صَحِيح صَادِق الْفِكر صائب)

(فَمَا لَذَّة تبقى وَلَا عَيْش يقتنى ... سوى الْعلم أَعلَى من جَمِيع المكاسب)." [١]

٢٨. "وَكتب إِلَيّ وَقد جمع لي بَين نيابته فِي الحكم وتوقيع الدست وَكَانَت قد وَردت عَلَيْهِ فتيا فِي لعب الشطرنج أجبنا أَيهَا الإِمَام أحلال هُوَ أم حرَام وَنحن قد عرفنَا مَذْهَب الشَّافِعِي وَلَكنَّا نُرِيد أَن نَعْرِف رَأْيك واجتهادك فألقاها إِلَيّ وَقَالَ اكْتُبْ عَلَيْهَا مَبْسُوطا مستدلا ثمَّ اعرضها

فَكتبت كِتَابَة مُطَوَّلَة جَامِعَة للدلائل ونصرت مَذْهَب الشَّافِعِي فَكتب إِلَى جَانبهَا

(أموقع الدست الشريف ونائب الحكم ... الْعَزِيز ومفتي الْإِسْلَام)

(خف من إلهك أَن يراك وَقد نهاك ... وَمَا انْتَهَيْت وملت للآثام)

رَضِي الله عَنهُ مَا كَانَ أَكثر مراقبته لرَبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَانَ ربه بَين عَيْنَيْهِ فِي كل آونة

ذكر شَيْء من ثَنَاء الْأَئِمَّة عَلَيْهِ رَضِي الله عَنهُ وعنهم ونفعنا بِهِ وبهم فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة

وَقَلِيل مِمَّا شاهدنا من أَحْوَاله الزاهرة وأخلاقه الطاهرة وكراماته الباهرة

قد قدمنَا كَلَام الشَّيْخ الْحَافِظ الذَّهَبِيّ فِيهِ وَقَالَ فِيهِ فِي مَكَان آخر كتبه فِي سنة عشْرين وَسَبْعمائة انْتهى إِلَيْهِ الْحِفْظ وَمَعْرِفَة الْأَثر بالديار المصرية وَله كَلَام كثير فِي تَعْظِيمه وَقد قدمنَا فِي تَرْجَمته قَوْله فِيهِ من أَبْيَات

(وكابن معِين فِي حفظ وَنقد ... وَفِي الْفتيا كسفيان وَمَالك)

(وفخر الدّين فِي جدل وَبحث ... وَفِي النَّحْو الْمبرد وَابْن مَالك)

وَصَحَّ من طرق شَتَّى عَن الشَّيْخ تَقِيّ الدّين بن تَيْمِية أَنه كَانَ لَا يعظم أحدا من أهل الْعَصْر كتعظيمه لَهُ وَأَنه كَانَ كثير الثَّنَاء على تصنيفه فِي الرَّد عَلَيْهِ." [٢]

٢٩. "وَفِي كتاب ابْن تَيْمِية الَّذِي أَلفه فِي الرَّد على الشَّيْخ الإِمَام فِي رده عَلَيْهِ فِي مَسْأَلَة الطَّلَاق لقد برز هَذَا على أقرانه

وَهَذَا الرَّد الَّذِي لِابْنِ تَيْمِية على الْوَالِد لم يقف عَلَيْهِ وَلَكِن سمع بِهِ وَأَنا وقفت مِنْهُ على مُجَلد

وَأما الْحَافِظ أَبُو الْحجَّاج الْمزي فَلم يكْتب بِخَطِّهِ لَفْظَة شيخ الْإِسْلَام إِلَّا لَهُ وللشيخ تَقِيّ الدّين ابْن تَيْمِية وللشيخ شمس الدّين ابْن أبي عمر

وَقد قدمنَا قَول ابْن فضل الله إِنَّه مثل التَّابِعين إِن لم يكن مِنْهُم

وَكَانَ الشَّيْخ تَقِيّ الدّين أَبُو الْفَتْح السُّبْكِيّ رَحمَه الله يَقُول إِذا رَأَيْته فَكَأَنَّمَا رَأَيْت تابعيا

وَصَحَّ أَن شَيْخه الإِمَام عَلَاء الدّين الْبَاجِيّ رَحمَه الله أقبل عَلَيْهِ بعض الْأُمَرَاء وَكَانَ الشَّيْخ الإِمَام إِلَى

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ١٠/١٨٠

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ١٠/١٩٤

جَانِبه الْأَيْمن وَعَن جَانِبه الْأَيْسَر بعض أَصْحَابه فَقعدَ الْأَمِير بَين الْبَاجِيّ وَالشَّيْخ الإِمَام ثمَّ قَالَ الْأَمِير للباجي عَن الَّذِي عَن يسَاره هَذَا إِمَام فَاضل فَقَالَ لَهُ الْبَاجِيّ أَتَدْرِي من هَذَا هُوَ إِمَام الْأَئِمَّة قَالَ من قَالَ الَّذِي جَلَست فَوْقه تَقِيّ الدّين السُّبْكِيّ وَلَعَلَّ هَذَا كَانَ فِي سنة ثَلَاث عشرَة وَسَبْعمائة

وَأما شَيْخه ابْن الرّفْعَة فَكَانَ يعامله مُعَاملَة الأقران ويبالغ فِي تَعْظِيمه ويعرض عَلَيْهِ مَا يصنفه فِي الْمطلب وَكَذَلِكَ شَيْخه الْحَافِظ أَبُو مُحَمَّد الدمياطي لم يكن عِنْده أحد فِي مَنْزِلَته." (١)

٣٠. "وَالْجرْح وَالتَّعْدِيل مَعَ مُشَاركَة كل مِنْهُم لصاحبيه فِيمَا يتَمَيَّز بِهِ عَلَيْهِ الْمُشَاركَة الْبَالِغَة

وسمعت شَيخنَا الذَّهَبِيّ يَقُول مَا رَأَيْت أحدا فِي هَذَا الشَّأْن أحفظ من الإِمَام أبي الْحجَّاج الْمزي وَبَلغنِي عَنهُ أَنه قَالَ مَا رَأَيْت أحفظ من أَرْبَعَة ابْن دَقِيق الْعِيد والدمياطي وَابْن تَيْمِية والمزي فَالْأول أعرفهم بالعلل وَفقه الحَدِيث وَالثَّانِي بالأنساب وَالثَّالِث بالمتون وَالرَّابِع بأسماء الرِّجَال

قَالَ وسمعته يَقُول فِي شَيخنَا أبي مُحَمَّد الدمياطي إِنَّه مَا رأى أحفظ مِنْهُ وَكَانَ الدمياطي يَقُول إِنَّه مَا رأى شَيخا أحفظ من زكي الدّين عبد الْعَظِيم وَمَا رأى الزكي أحفظ من أبي الْحسن عَليّ بن الْمفضل وَلَا رأى ابْن الْمفضل أحفظ من الْحَافِظ عبد الْغَنِيّ وَلَا رأى عبد الْغَنِيّ أحفظ من أبي مُوسَى الْمَدِينِيّ إِلَّا أَن يكون الْحَافِظ أَبَا الْقَاسِم ابْن عَسَاكِر فقد رَآهُ وَلم يسمع مِنْهُ هَذَا كَلَام الذَّهَبِيّ

قلت لَا ريب أَن ابْن عَسَاكِر أحفظ من ابْن الْمَدِينِيّ والذهبي يعرف هَذَا وَلَكِن عذره عدم سَماع عبد الْغَنِيّ مِنْهُ كَمَا ذكر فَكَأَنَّهُ يسلسل للرؤية مَعَ السماع لَا لمُجَرّد الرُّؤْيَة

ثمَّ قَالَ شَيخنَا وسمعت مِنْهُ وَلَا رأى ابْن عَسَاكِر والمديني أحفظ من أبي الْقَاسِم إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد التَّيْمِيّ

وَلَا رأى إِسْمَاعِيل أحفظ من أبي الْفضل مُحَمَّد بن طَاهِر الْمَقْدِسِي

وَلَا رأى ابْن طَاهِر أحفظ من نصر ابْن مَاكُولَا

وَلَا رأى ابْن مَاكُولَا أحفظ من أبي بكر الْخَطِيب

وَلَا رأى الْخَطِيب أحفظ من أبي نعيم." (٢)

٣١. "وسمت أَنا شرحي على الْمُخْتَصر بِهَذَا الِاسْم تبركا بصنع الْوَالِد رَضِي الله عَنهُ

الرقم الإبريزي فِي شرح مُخْتَصر التبريزي

الوشي الإبريزي فِي حل التبريزي لم يكملا

كتاب التَّحْقِيق فِي مَسْأَلَة التَّعْلِيق وَهُوَ الرَّد الْكَبِير على ابْن تَيْمِية فِي مَسْأَلَة الطَّلَاق

رَافع الشقاق فِي مَسْأَلَة الطَّلَاق وَهُوَ الصَّغِير

أَحْكَام كل وَمَا عَلَيْهِ تدل

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ١٠/١٩٥

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ١٠/٢٢١

بَيَان حكم الرَّبْط فِي اعْتِرَاض الشَّرْط على الشَّرْط

شِفَاء السقام فِي زِيَارَة خير الْأَنَام صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَهُوَ الرَّد على ابْن تَيْمِية وَرُبمَا سمي شن الْغَارة على من أنكر السّفر للزيارة

السَّيْف المسلول على من سبّ الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم

التَّعْظِيم والْمنَّة فِي ﴿لتؤمنن بِهِ ولتنصرنه﴾

منية الباحث عَن حكم دين الْوَارِث

نور الرّبيع من كتاب الرّبيع وَهُوَ كتاب جليل حافل كَانَ وَضعه على الْأُم لم يتمه وَمَا كتب مِنْهُ إِلَّا قَلِيلا

الرياض الأنيقة فِي قسْمَة الحديقة." (١)

٣٢. "(كم بَات ينصر مَظْلُوما رَآهُ وَقد ... أوذي وجانبه بالضعف يهتضم)

(كَانَ ابْن تَيْمِية بِالْفَضْلِ معترفا ... وَهُوَ الألد الَّذِي فِي بَحْثه خصم)

(يثني عَلَيْهِ وَقد أبدى بفكرته ... أَوْهَامه فيراها وَهُوَ يبتسم)

(وَمَا أقرّ لمخلوق سواهُ وَفِي ... زَمَانه كل حبر علمه علم)

(قَاضِي الْقُضَاة تَقِيّ الدّين حِين قضى ... غَدا أولو الْحلم لم يهناهم الْحلم)

(وَكَيف يهنأ عَيْش بعده وَبِه ... قد كَانَ شَمل الْهدى بِالْحَقِّ يلتئم)

(فاليوم أقفر ربع المكرمات وَقد ... شط المزار وأقوت دونهَا الخيم)

(مَاتَ الَّذِي كَانَت الْأَعْلَام تسأله ... فِي غامض الْعلم للسؤال يَحْتَلِم)

(مَاتَ الَّذِي كَانَ إِن تسأله غامضة ... خلاك من حليها فِي الْعلم تحتكم)

(يَا سائرا فَوق أَعْنَاق الرِّجَال وَكم ... سعت لَهُ فِي الْمَعَالِي وَالْهدى قدم)

(خدمت علمك وقتا والأنام إِلَى ... يَوْم الْقِيَامَة فِيمَا قلته خدم)

(تركت فِينَا تصانيفا تخاطبنا ... فَأَنت حَيّ وَلما تنشر الرمم)

(مَا مثل سيرتك المثلى إِذا ذكرت ... بِالْحَمْد تبدا وبالتقريظ تختتم)

(أَقمت فِي مصر وَالْأَخْبَار نافحة ... طيبا تسير بهَا الوخادة الرُّسْم)

(مَا كنت إِلَّا إِمَام النَّاس قاطبة ... فِي النَّقْل وَالْعقل تقضي كلما اخْتَصَمُوا)." (٢)

٣٣. "وأجيء إِلَيْك قَالَ فَقلت لَهُ وَالله يَا شيخ محيي الدّين أَنا أحبك إِلَّا وَالله مَا أحب كشكك

وَسمع جُزْء ابْن جوصا من أبي الْعَبَّاس بن زيري

مولده سنة إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وستمِائَة

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ٣٠٨/١٠

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ٣٢٧/١٠

وولي قضاء الكرك قدِيما ثمَّ اسْتَقر بِالْقَاهِرَة
وَكَانَ إِلَيْهِ مرجع المشكلات ومجالس المناظرات وَلما رَآهُ ابْن تَيْمِية عظمه وَلم يجر بَين يَدَيْهِ بِلَفْظَة فَأخذ الشَّيْخ عَلَاء الدّين يَقُول تكلم نبحث مَعَك وَابْن تَيْمِية يَقُول مثلي ليا تكلم بَين يديك أَنا وظيفتي الاستفادة مِنْك
وَتُوفِّي بهَا فِي سادس ذِي الْقعدَة سنة أَربع عشرَة وَسَبْعمائة
وَمن الرِّوَايَة عَنهُ
أخبرنَا الْوَالِد رَحمَه الله قِرَاءَة عَلَيْهِ وَأَنا أسمع أخبرنَا شَيخنَا أَبُو الْحسن الْبَاجِيّ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ على بَدْء أخبرنَا أَبُو الْعَبَّاس أَحْمد بن يُوسُف بن عبد الله بن زيري التلمساني بِدِمَشْق ح
وَأخْبرنَا تَاج الدّين عبد الرَّحِيم بن إِبْرَاهِيم بن أبي الْيُسْر بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ وَمُحَمّد بن عَليّ بن يحيى الشاطبي قِرَاءَة عَلَيْهِ وَأَنا أسمع قَالَا أخبرنَا إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم بن أبي الْيُسْر." (١)

٣٤. "(وتكليفنا بِالْأَمر وَالنَّهْي قَاطع ... لأعذارنا فِي يَوْم بعث الْبَرِيَّة)
(فَعبر بسد أَو بِفَتْح وعد عَن ... ضَلَالَة تشكيك بأوضح حجَّة)
(وَقد بَان وَجه الْأَمر وَالنَّهْي وَاضحا ... وَلَا شكّ فِيهِ بل وَلَا وهم شُبْهَة)
قلت هَذَا الْجَواب هُوَ حَاصِل كَلَام أهل السّنة وخلاصته أَن الْوَاجِب الرِّضَا بالتقدير لَا بالمقدور وكل تَقْدِير يرضى بِهِ لكَونه من قبل الْحق
ثمَّ الْمَقْدُور يَنْقَسِم إِلَى مَا يجب الرِّضَا بِهِ كالإيمان وَإِلَى مَا يحرم الرِّضَا بِهِ وَيكون الرِّضَا بِهِ كفرا كالكفر إِلَى غير ذَلِك
وَقد أَخذ أهل الْعَصْر هَذَا الْجَواب فنظموه على طبقاتهم فِي النّظم وَالْكل مشتركون فِي جَوَاب وَاحِد وَنحن نسوق مَا حَضَرنَا من الْأَجْوِبَة
جَوَاب الشَّيْخ تَقِيّ الدّين بن تَيْمِية الْحَنْبَلِيّ
(سؤالك يَا هَذَا سُؤال معاند ... يُخَاصم رب الْعَرْش باري الْبَرِيَّة)
(وَهَذَا سُؤال خَاصم الْمَلأ الْعلي ... قَدِيما بِهِ إِبْلِيس أصل البلية)
(وأصل ضلال الْخلق من كل فرقة ... هُوَ الْخَوْض فِي فعل الْإِلَه بعلة)
(فَإِن جَمِيع الْكَوْن أوجب فعله ... مَشِيئَة رب الْعَرْش باري الخليقة)
(وَذَات إِلَه الْخلق وَاجِبَة بِمَا ... لَهَا من صِفَات وَاجِبَات قديمَة)
(فقولك لي قد شَاءَ مثل سُؤال من ... يَقُول فَلم قد كَانَ فِي الأزلية)

---
(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ٣٤٢/١٠

(وَذَاكَ سُؤال يبطل الْعقل وَجهه ... وتحريمه قد جَاءَ فِي كل شرعة)

(وَفِي الْكَوْن تَخْصِيص كثير يدل من ... لَهُ نوع عقل أَنه بِإِرَادَة)." [١]

٣٥. "إِمَام الْحفاظ كلمة لَا يجحدونها وَشَهَادَة على أنفسهم يؤدونها ورتبة لَو نشر أكَابِر الْأَعْدَاء لكانوا يودونها

وَاحِد عصره بِالْإِجْمَاع وَشَيخ زَمَانه الَّذِي تصغي لما يَقُول الأسماع وَالَّذِي مَا جَاءَ بعد ابْن عَسَاكِر مثله وَإِن تكاثرت جيوش هَذَا الْعلم فملأت الْبِقَاع

جد طول حَيَاته فاستوعب أعوامها واستغرق بِالطَّلَبِ لياليها وأيامها وسهر الدياجي فِي الْعلم إِذا سهرها غَيره فِي الشَّهَوَات أَو نامها

ذكره شَيخنَا الذَّهَبِيّ فِي تذكرة الْحَافِظ وَأطْنب فِي مدحه وَقَالَ نظر فِي اللُّغَة وَمهر فِيهَا وَفِي التصريف وَقَرَأَ الْعَرَبيَّة وَأما معرفَة الرِّجَال فَهُوَ حَامِل لوائها والقائم بأعبائها لم تَرَ الْعُيُون مثله

انْتهى

وَذكره فِي المعجم الْمُخْتَص وَأطْنب ثمَّ قَالَ يُشَارك فِي الْفِقْه وَالْأُصُول ويخوض فِي مضايق الْمَعْقُول فَيُؤَدِّي الحَدِيث كَمَا فِي النَّفس متْنا وإسنادا وَإِلَيْهِ الْمُنْتَهى فِي معرفَة الرِّجَال وطبقاتهم

انْتهى

وَلَا أَحسب شَيخنَا الْمزي يدْرِي المعقولات فضلا عَن الْخَوْض فِي مضايقها فسامح الله شَيخنَا الذَّهَبِيّ

وَقد قدمنَا فِي تَرْجَمَة الشَّيْخ الإِمَام الْوَالِد أَنِّي سَمِعت شَيخنَا الذَّهَبِيّ يَقُول مَا رَأَيْت أحفظ مِنْهُ وَأَنه بَلغنِي عَنهُ أَنه قَالَ مَا رَأَيْت أحفظ من أَرْبَعَة ابْن دَقِيق الْعِيد والدمياطي وَابْن تَيْمِية والمزي وترتيبهم حَسْبَمَا قدمْنَاهُ

وَأَنا لم أر من هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَة غير الْمزي وَلَكِن أَقُول مَا رَأَيْت أحفظ من ثَلَاثَة الْمزي والذهبي وَالْوَالِد على التَّفْصِيل الَّذِي قدمته فِي تَرْجَمَة الْوَالِد." [٢]

٣٦. "يَخُوض فِيهِ من أصُول الديانات هُوَ مضايق المعقولات وَهَذَا ظن من لَا يدْرِي مَدْلُول المعقولات وَأَنَّهَا عُلُوم وَرَاء علم الْكَلَام يعرفهَا أَهلهَا

وَقَالَ الذَّهَبِيّ فِي التَّذْكِرَة إِن الْمزي كَانَ يُقرر طَرِيقَة السّلف فِي السّنة فيعضد ذَلِك بقواعد كلامية ومباحث نظرية

قَالَ وَجرى بَيْننَا مجادلات ومعارضات فِي ذَلِك تَركهَا أسلم

انْتهى

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ١٠/٣٥٤

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ١٠/٣٩٦

وَلَيْسَ الْمزي والذهبي عندنَا فِي هَذَا الْمقَام وَالْحق أَحَق مَا قيل وليت الذَّهَبِيّ فهم مَدْلُول هَذِه الْكَلِمَات فَإِن قَوْله جرى بَيْننَا معارضات فِي ذَلِك بقد قَوْله كَانَ يعضد السّنة كَلَام مَعْنَاهُ أَنِّي عارضته فِي نصْرَة السّنة فَانْظُر لهَذِهِ الْعَظِيمَة الَّتِي لَو تفطن شَيخنَا لقائلها لأبعد عَنْهَا

وَاعْلَم أَن هَذِه الرّفْقَة أَعنِي الْمزي والذهبي والبرزالي وَكَثِيرًا مَا أتباعهم أضرّ بهم أَبُو الْعَبَّاس ابْن تَيْمِية إضْرَارًا بَينا وَحَملهمْ على عظائم الْأُمُور أمرا لَيْسَ هينا وجرهم إِلَى مَا كَانَ التباعد عَنهُ أولى بهم وأوقفهم فِي دكادك من نَار المرجو من الله أَن يتجاوزها لَهُم ولأصحابهم

وَكَانَ للمزي ديانَة متينة وَعبادَة وَسُكُون وَخير

مولده فِي لَيْلَة الْعَاشِر من شهر ربيع الآخر سنة أَربع وَخمسين وسِتمِائَة بِظَاهِر حلب." (١)

٣٧. "وَسمع من أَحْمد بن أبي الْخَيْر سَلامَة وَالقَاسِم بن أبي بكر الإربلي وَإِبْرَاهِيم بن إِسْمَاعِيل بن الدرجي وَأبي الْفرج عبد الرَّحْمَن بن أبي عمر والمقداد بن هبة الله الْقَيْسِي وَعمر بن مُحَمَّد بن أبي عصرون وَالْمُسلم بن مُحَمَّد بن عَلان وَأحمد بن شَيبَان وَخلق بِالشَّام

ورحل إِلَى مصر فَسمع من الْعِزّ عبد الْعَزِيز الْحَرَّانِي وَابْن خطيب المزة وغازي الحلاوي وَخلق

وَسمع بِبِلَاد كَثِيرَة وَجمع لَهُ الدِّرَايَة وَالرِّوَايَة وعلو الْإِسْنَاد وَحدث نَحْو خمسين سنة

سمع مِنْهُ ابْن تَيْمِية والبرزالي والذهبي وَابْن سيد النَّاس وَالشَّيْخ الإِمَام الْوَالِد وَخلق لَا يُحصونَ

وصنف تَهْذِيب الْكَمَال الْمجمع على أَنه لم يصنف مثله وَكتاب الْأَطْرَاف

وَقد قَرَأت عَلَيْهِ وَسمعت عَلَيْهِ الْكثير

توفّي فِي يَوْم السبت ثَانِي عشر صفر سنة اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعين وَسَبْعمائة بدار الحَدِيث الأشرفية وَدفن بمقابر الصُّوفِيَّة

أخبرنَا أَبُو عبد الله الْحَافِظ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ أخبرنَا أَحْمد بن سَلامَة كِتَابَة وحَدثنِي عَنهُ أَبُو الْحَجَّاج الْحَافِظ عَن مَسْعُود الْجمال أخبرنَا أَبُو عَليّ الْحداد أخبرنَا أَبُو نعيم حَدثنَا ابْن خَلاد حَدثنَا الْحَارِث بن مُحَمَّد حَدثنَا سُلَيْمَان بن حَرْب حَدثنَا حَمَّاد بن زيد." (٢)

٣٨. "وَفِي الصَّحَابَة عبد الله بن أنيس آخر أَنْصَارِي

وَفِي الروَاة عبد الله بن أنيس ثَالِث

وَلم يذكر ابْن عَسَاكِر ابْن أنيس وَالظَّاهِر أَنه لم يدْخل الشَّام وَإِن كَانَ فِي رحْلَة حَار إِلَيْهِ على الشَّك فِي الشَّام أَو مصر وَالصَّحِيح مصر وَالله أعلم

وَمن الْفَوَائِد غير الحديثية عَنهُ مِمَّا يدل على تبحره فِي لِسَان الْعَرَب وَقد كَانَت الْأَئِمَّة إِذا قرءوا الحَدِيث

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ١٠/٤٠٠

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ١٠/٤٠١

بِحَضْرَتِهِ جبنوا وَقيل لم يسلم قَارِئ بِحُضُورِهِ من رده عَلَيْهِ وَقَرَأَ عَلَيْهِ أَبُو الْعَبَّاس بن تَيْمِية جُزْءا فَرد عَلَيْهِ غير مَوضِع فِي الْأَسْمَاء وَغَيرهَا

وَحَضَرت قَارِئًا يقْرَأ عَلَيْهِ فَانْتهى إِلَى حَدِيث الْمُصراة فَقَالَ لَا تصروا الْإِبِل وَالْبَقر وَالْغنم بِفَتْح التَّاء وَضم الصَّاد فَقَالَ لَهُ الشَّيْخ تصروا أَي بِضَم التَّاء وَفتح الصَّاد فَقَالَ الْقَارِئ وَهُوَ من فضلاء عصرنا كَيفَ قَالَ مثل تصلوا تزكوا وَأخذ يسترسل فِي ذكر أَخَوَات اللَّفْظَة

وَقد قَرَأَ عَلَيْهِ الشَّيْخ شهَاب الدّين ابْن المرحل النَّحْوِيّ أستاذ صاحبنا الشَّيْخ جمال الدّين عبد الله بن هِشَام فِي النَّحْو كتاب سيرة ابْن هِشَام فمرت بِهِ لفظ رشد فَجرى على لِسَانه رشد بِكَسْر الشين فَرد عَلَيْهِ الشَّيْخ رشد بِالْفَتْح وَقَالَ لَهُ قَالَ الله تَعَالَى ﴿لَعَلَّهُم يرشدون﴾ بِضَم الشين وَلم يزدْ وَكَانَ من عَادَته الْإِشَارَة دون." (١)

٣٩. "، فوقع لنا بدلا عاليا.

شيخ آخر

٢٢- أحمد بن علي بن حسن بن داود الجزري الكردي، الشيخ شهاب الدين أبو العباس بن أبي الحسن.

رجل جيد صالح من أهل القرآن، أقام مدة بحماة يقرئ القرآن، ثم انتقل إلى دمشق، وكان عانى الجندية في شبابه، وكان أبوه من الصالحين يؤذن بمدرسة الشيخ أبي عمر، ويصلي بها نيابة عن الشيخ العز إبراهيم.

حضر شيخنا المذكور في الثالثة على عبد الحميد بن عبد الهادي، ويوسف ين زغلي، وفي الرابعة على محمد بن عبد الهادي وإبراهيم بن خليل، وخطيب مردا، ومحمد بن عبد الحق، واليلداني وجماعة.

وأجاز له في سنة خمسين وست مئة من حران الشيخ مجد الدين ابن تيمية، وعيسى بن سلامة ابن الخياط، ومن بغداد المبارك بن محمد ابن الخواص، وإبراهيم بن أبي بكر الزعبي، وعبد القادر القزويني، وفضل الله ابن الجيلي، ويحي بن يوسف الصرصري. ومن مسموعه ((السيرة النبوية)) بكاملها على خطيب مردا حضورا في الخامسة.

مولده تقريبا في سنة تسع وأربعين وست مئة، وتوفي يوم الجمعة." (٢)

٤٠. "محمد بن عبد الهادي، عن أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي إجازة، قال: أخبرنا أبو محمد هبة الله بن أحمد الأكفاني، قال: أخبرنا الحافظ أبو بكر الخطيب إجازة. وحدثني عنه الحافظ أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، السبكي، تاج الدين ٤٢٩/١٠

(٢) معجم الشيوخ للسبكي، السبكي، تاج الدين ص/٨٤

وسمعت عليه جزءا ألفه إسماعيل بن إسحاق القاضي فيه من أحاديث أيوب بن أبي تميمة السختياني، بسماعه حاضرا في الرابعة من أبي العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي، بسماعه من الثقفي، عن أبي علي الحداد حضورا، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصبهاني، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد النصيبي، قال: أخبرنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، بسنده.

وترجمة الشيخ أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الحراني الشهير بابن **تيمية**، من ((مشيخة الدشتي)) تخريج.. ..، بإجازته من ابن **تيمية** المذكور.

وجزءا فيه الإملاء الخامس لأبي مطيع محمد بن عبد الواحد المصري، بإجازته من ابن عبد الهادي، عن السلفي، عنه.

وجزءا من حديث القاضي أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عبيد الهمذاني.

أخبرنا الشيخ المسند الصالح شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن الحسن بن داود الجزري الصالحي قراءة عليه وأنا أسمع، قال: أخبرنا الخطيب أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبي الفتح المقدسي خطيب مردا قراءة عليه وأنا حاضر، قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن علي بن سعود البوصيري، قال: أخبرنا أبو صادق مرشد بن يحيى ابن القاسم المديني قراءة عليه وأنا أسمع في ذي الحجة سنة ست عشرة وخمس مئة، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر بن محمد الحراني المعروف بابن حمصة، قال: حدثنا أبو القاسم حمزة بن محمد بن علي." (١)

٤١. "الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، قال: أخبرنا أبو سعيد بن حمدون، قال: أخبرنا أبو حامد ابن الشرقي، قال: حدثنا أحمد بن يوسف السلمي، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)) .

أخرجه الترمذي في الزهد عن عباس بن عبد العظيم العنبري، عن عبد الرزاق، فوقع لنا بدلا عاليا.

شيخ آخر

٦٦- عبد الرحمن بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن **تيمية** الحراني الأصل ثم الدمشقي، الشيخ زين الدين أبو الفرج ابن الشيخ شهاب الدين أبي المحاسن.

رجل مبارك، من بيت الفضل والخير والدين واشتغل هو بالكسب والتجارة، وسافر في ذلك، وهو مشهور بالديانة والأمانة، وحسن السيرة، وصلاح السريرة.

---

(١) معجم الشيوخ للسبكي، السبكي، تاج الدين ص/٩٢

سمع كثيرا مع والده وأخيه، سمع حضورا في الخامسة من ابن عبد الدائم، وسمع من ابن أبي اليسر، وابن عطاء، وابن الصيرفي،." (١)

٤٢. "وجماعة، وخرج له بعض الطلبة ((مشيخة)) وحدث بها.

مولده في ليلة نصف شعبان من سنة ثلاث وستين وست مئة بحران، وتوفي بدمشق في ليلة الخميس ثالث ذي القعدة سنة سبع وأربعين وسبع مئة، ودفن من الغد بالصوفية ظاهر دمشق.

سمعت عليه ((جزء الأنصاري)) عن ابن أبي اليسر، والمؤمل، والهروي، وابن البخاري، والعامري، ومحمد بن عبد المنعم ابن القواس، ويحيى ابن الصيرفي، وعبد الرحمن ابن البغدادي، ويحيى ابن الحنبلي، بسماع ابن البخاري من الكندي وابن طبرزد، وبسماع ابن الحنبلي من ابن طبرزد، وبسماع ابن أبي اليسر من ثلاثة: ابن طبرزد، وعبد اللطيف، وابن تزمش، وبسماع الستة الباقين من الكندي، وبسماع ابن الصيرفي للجزء دون الفوائد التي في آخره من ابن منينا أيضا، بسماعهم من القاضي أبي بكر الأنصاري، بسنده.

و ((جزء الحصائري)) ، بسماعه من ابن أبي اليسر، بسماعه من الخشوعي، بسنده.

وجزءا فيه أحاديث منتقاة من ((جزء أيوب)) رواية إسماعيل القاضي، بسماعه من ابن عبد الدائم، عن الثقفي، عن الحداد حضورا، عن أبي نعيم، عن ابن خلاد، عن إسماعيل القاضي.

أخبرنا الشيخ الصالح زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الشيخ شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني قراءة عليه وأنا أسمع، قال: أخبرنا الشيخ زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي قراءة عليه وأنا أسمع، قال: أخبرنا أبو الفرج يحيى بن محمود بن سعد الثقفي قراءة عليه، قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد قراءة عليه وأنا." (٢)

٤٣. "شيخ آخر

١٦٨- أبو بكر بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسي الصالحي، عماد الدين ابن محب الدين ابن الرضي القطان.

حضر على محمد بن عبد الهادي وأخيه عبد الحميد، وخطيب مردا، وسمع من أحمد بن عبد الدائم، وإبراهيم بن خليل، وعبد الله ابن الخشوعي، وإبراهيم بن عمر بن مضر بن البرهان، وعمر بن محمد الكرماني، وأبي بكر الهروي، وعبد الولي بن جبارة، وأحمد بن جميل، وعبد الرحمن بن أبي عمر، وغيرهم.

وأجاز له من مكة المرسي، ومن المدينة النبوية الملك الناصر داود ابن المعظم، ومن حران الشيخ مجد الدين ابن تيمية، وعيسى بن سلامة، ومن الديار المصرية سبط السلفي وغيره، وحدث.

---

(١) معجم الشيوخ للسبكي، السبكي، تاج الدين ص/٢١٤

(٢) معجم الشيوخ للسبكي، السبكي، تاج الدين ص/٢١٥

سمع منه البرزالي وذكره في مسودة ((معجمه)) ، فقال: وهو فقير حسن من أهل الخير، ومن بيت الرواية ومن حفاظ القرآن العظيم. انتهى كلامه. وخرج له بعض الطلبة أربعين حديثا وحدث بها، وسمع منه الذهبي وذكره في ((معجمه)) .

مولده في رجب سنة خمسين وست مئة، وتوفي ليلة السبت عاشر جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة بسفح قاسيون، وصلي عليه من الغد عقيب الظهر بالجامع المظفري، ودفن بسفح قاسيون.." (١)

٤٤. "كما أخرجناه. ويحيى بن عقيل بالضم هو الخزاعي البصري.

شيخة أخرى

١٨٦- فاطمة بنت محمد بن جميل بن حمد بن أحمد بن أبي عطاف بن أحمد البغدادية المولد الصالحية الدار والوفاة، أم محمد.

حضرت في الأولى على والدها ببغداد، وأجاز لها أبو القاسم عبد الرحمن سبط السلفي، والشيخ مجد الدين عبد السلام ابن تيمية، وأحمد بن سلامة النجار، ويوسف بن خليل، والحافظ زكي الدين المنذري، ومحمد ابن الأنجب النعال، وعبد الغني بن بنين، وغيرهم، وحدثت.

سمع منها الذهبي والبرزالي، وذكرها في مسودة ((معجمه)) ، وقال بعد كلام: وكان أبوها سافر إلى بغداد وخدم هناك جنديا، وولدت هي وأختها ببغداد، وكان له وجاهة وحرمة وثروة، ثم إنه توجه إلى اليمن وتركهما ببغداد، فأرسل إليهما عمهما الزين أحمد بن جميل وأحضرهما إلى دمشق وهما صغيرتان، وزوجهما بولديه. مولدها في سنة ست وأربعين وست مئة تقريبا. انتهى كلامه.

وتوفيت في التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبع." (٢)

٤٥. "ويقول الشيخ الإمام الوالد رحمه الله: إن دخلت الدار فأنت طالق، إنشاء للتعليق لا تعليق للإنشاء، ومعنى هذا أن السببية انعقدت في الحال، وحكمها تأخر بمقتضى الشرط إلى وجود الصفة.

وأقول أنا: إذا دخلت الدار طلقت، لكونه قال: إن دخلت الدار فأنت طالق، لا لكونها دخلت. فأفهم هذا فلقد ذهل عنه ذاهلون، وأعلم أن أحدًا منا لا يقول: إنها طلقت لدخولها؛ بل إنما طلقت بالتعليق وحده لما انتفت عنه الموانع.

فإن قلت: فقد قال الفقهاء: التعليق مع الصفة تطليق.

قلت: ليس معناه أن الصفة جزء من التطليق، بل إنها شرط يوقف الحكم ويؤخر من أجلها وليس كل ما توقف عليه الحكم علة ولا جزء علة.

هذا هو الحق: فالعلة فعل الزوج فقط. الذي يتصرف تارة بالتنجيز وتارة بالتعليق وليس لفعل الزوج أثر.

---

(١) معجم الشيوخ للسبكي، السبكي، تاج الدين ص/٥٣٨

(٢) معجم الشيوخ للسبكي، السبكي، تاج الدين ص/٦٢٠

وربما يقولو: الموقوف على دخول الدار، الطلاق لا التطليق.

وربما قالوا أيضًا: المعلق الطالقية نزولًا لا الطالقية سببًا. وقد عرفت ما يعنون بهذه العبارات كلها.

والحاصل أن تعليق الطلاق عندهم بمنزلة من يتخير الوكالة ويعلق التصرف على شرط لا بمنزلة من يعلق أصل الوكالة.

فإن قلت: حاصل هذا الكلام أن التعليق إيقاع وتطليق، والمجزوم به -في كلام الإمام والغزالي والرافعي والنووي ما نصه ومن لفظ الروضة نقلته "إن مجرد التعليق ليس بتلطليق ولا إيقاع ولا وقوع".

قلت: قد أطال الشيخ الإمام الوالد رحمه الله في كتاب التحقيق: في مسألة التعليق الذي رد به على ابن تيمية1 وهو من نفائس كتبه.

---

1 أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي أبو العباس تقي الدين ابن تيمية شيخ الإسلام ولد بحران كان كثير البحث في فنون الحكمة داعية إصلاح في الدين آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان له مصنفات عديدة انتفع بها أهل العلم على مختلف منحاهم:

الدرر الكامنة ١/ ١٤٤، البداية والنهاية ٤/ ١٣٥، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٧١، الأعلام ١/ ١٤٤.." (١)

٤٦. "١٠. جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرَّم الأنصاريّ (٧١١ هـ)، المعروف بابن منظور، صاحب (لسان العرب)، كان لا يملّ من مواصلة الكتابة، اشتُهر باختصار الكتب المطوّلة، أخذ عنه تقيّ الدين السُّبكيّ اللُّغة (رحمه الله١).

١١. أثير الدين أبو حيّان محمد بن يوسف الأندلسيّ (٧٤٥ هـ)، انتهت إليه رئاسة العربيّة في زمانه، وقصده الطلاب لعلم الإعراب، ومنهم تقيّ الدين السُّبكيّ (رحمه الله٢).

١٢. تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عطاء الله الإسكندريّ (٧٠٩ هـ)، الشيخ العارف، كان ملمّاً بآثار السلف الصالح، وكلام الصوفيّة، وله مشاركةٌ في الفضائل، وكان من كبار القائمين على تقيّ الدين بن تيميّة، صحبه تقيّ الدين السُّبكيّ في التصوّف (رحمه الله٣).

وغيرهم من العلماء البارزين الذين رحل إليهم تقيّ الدين السُّبكي في طلب الحديث في الإسكندريّة، والشّام، والحجاز.

وقد خرّج له تلميذه شهابُ الدين أحمد بن أيبك الدمياطيّ (٧٤٩ هـ) (معجماً) لشيوخه، جَمَعَ فيه الجمّ الغفير، والعدد الكثير (رحمه الله٤).

---

(١) الأشباه والنظائر للسبكي، السبكي، تاج الدين ٢/ ٢٨

- تلاميذه:

حَدّث تقيّ الدين السُّبكيّ بالقاهرة ، ودمشق، وبَرع في فُنونٍ عدّةٍ: كالفقه،

رحمه الله_______________

(رحمه الله١) () ينظر: الوافي بالوفيات ٥/ ٥٤، وأعيان العصر ٥/ ٢٦٩، والدرر الكامنة ٤/ ٢٦٢.

(رحمه الله٢) () ينظر: الدرر الكامنة ٤/ ٣٠٢، وطبقات الشافعيّة ٦/ ٣١، وبغية الوعاة ١/ ٢٨٠، والبدر الطالع ٢/ ٢٨٨.

(رحمه الله٣) () ينظر: طبقات الشافعيّة ٩/ ٢٣، وأعيان العصر ١/ ٣٤٥، والدرر الكامنة ١/ ٢٧٣، وشذرات الذهب ٦/ ١٩.

(رحمه الله٤) () ينظر: أعيان العصر ٣/ ٤٢٤.." [1]

٤٧. "المختصر من مصنّفاته لابدّ أن يشتمل على ما ليس في غيره من تحقيقٍ وتحريرٍ لقاعدة، واستنباطٍ وتدقيقٍ (رحمه الله١).

وأشاد ابن الجزريّ (٨٣٣ هـ) بتمكّنه في علم القراءات، فقال: ((كلامٌ في صحة القراءات العشر والردِّ على من طعن فيها، أبان فيه عن تحقيقٍ وحُسْنِ اطلاعٍ)) (رحمه الله٢).

وأمّا ولده تاج الدين السبكيّ فقد ذكر أنّ الشيخ تقيّ الدين بن **تيميّة** كان لا يُعظّم أحداً من أهل العصر كتعظيمه له، وأنّه كان كثيرَ الثناء على تصنيفه في الردّ عليه.

وأنّ الحافظ أبا الحجاج المِزّيّ لم يكتب بخطه لفظة (شيخ الإسلام) إلاّ له، وللشيخ تقيّ الدين بن **تيمية**، وللشيخ شمس الدين بن أبي عمر.

ثمّ قال: ((وبالجملة: أجمع من يعرفه على أنّ كلّ ذي فنٍّ إذا حضره يتصوّر فيه شيئين: أحدهما: أنّه لم ير مثله في فنّه، والثاني: أنّه لا فنّ له إلاّ ذلك الفنّ ... ولقد سمعت الحافظ العلاّمة صلاح الدين خليل بن كَيْكَلَدِيّ العلائيّ، يقول: النّاس يقولون: ما جاء بعد الغزاليّ مثلُه، وعندي أنّهم يظلمونه بهذا، وما هو عندي إلاّ مثلُ سفيان الثوريّ)) (رحمه الله٣).

وأماّ مكانته في اللّغة، والأدب، والنّحو، والبلاغة، فقد ذكر - أيضاً - ولده تاج الدين السُّبكيّ أنّه كان إماماً في كلّ فرعٍ من فروع اللّغة، فقد كان يستحضر أبياتَ العرب، وأمثالَها، وشواردَ اللُّغة، وأنّهم كانوا إذا قرؤوا عليه

رحمه الله_______________

(رحمه الله١) () ينظر: الدرر الكامنة ٣/ ١٣٥، وبغية الوعاة ٢/ ١٧٧.

---

[1] الابتهاج في شرح المنهاج ﴿كتاب الصداق﴾ ت الغامدي؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٥٤

(رحمه الله٢) () ينظر: غاية النهاية ١/ ٥٥١.

(رحمه الله٣) () ينظر: طبقات الشافعيّة ١٠/ ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧.." [(١)]

٤٨. "فهرس المصادر والمراجع

١. ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيّان الأندلسيّ، تحقيق ودراسة رجب عثمان محمد، ط ١، ١٤١٨ هـ، مكتبة الخانجيّ، القاهرة.

٢. الاستغناء في الاستثناء، للقرافيّ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط ١، ١٤٠٦ هـ، دار الكُتب العلميّة، بيروت.

٣. الأشباه والنظائر في النّحو، للسيوطيّ، تحقيق عبد العال سالم مكرّم، ط ١، ١٤٠٦ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤. الأصول في النّحو، لابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتليّ، ط ١، ١٤٠٥ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥. الأعلام، تأليف خير الدين الزركليّ، ط ٥، ١٩٨٠ م، دار العلم للملايين، بيروت.

٦. أعيان العصر وأعوان النصر، لصلاح الدين الصفديّ، تحقيق مجموعة، ط ١، ١٤١٨، دار الفكر، دمشق.

٧. الأمالي النّحويّة، لابن الحاجب، تحقيق هادي حمّوديّ، ط ١، ١٤٠٥ هـ، عالم الكتب، بيروت.

٨. الإيضاح في شرح المفصل، لابن حاجب، تحقيق، موسى العليليّ، مطبعة العاني، بغداد.

٩. الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزوينيّ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ط ٥، ١٤٠٠ هـ، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

١٠. البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسيّ، حققه مجموعة، ط ١، ١٤١٣ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١. البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق مجموعة، دار الكتب العلميّة، بيروت.

١٢. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للإمام الشوكانيّ، مكتبة ابن تيميّة، القاهرة.

١٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنّحاة، للسيوطيّ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت.

١٤. التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبريّ، تحقيق علي محمد البجاويّ، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى الحلبيّ وشركاه.

١٥. تذكرة الحفاظ، لشمس الدين الذهبي، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، ١٣٧٧ هـ، حيدر أباد.

(١) الابتهاج في شرح المنهاج ﴿كتاب الصداق﴾ ت الغامدي؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٥٨

١٦. التذييل والتكميل في شرح التسهيل، لأبي حيّان الأندلسيّ، دار الكتب المصريّة، الجزء الثالث (مخطوط).

١٧. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالكٍ، حققه محمد كامل بركات، ١٣٨٧ هـ، دار الكاتب العربيّ." (١)

٤٩. "بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله الذي أرسلَ رسولَه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

والصلاة والسلام على سيدنا محمَّدٍ الذي نصر دينه بالجلاد والجدال، وتكفَّلَ لأمَّته أن لا يزالوا على الحق ظاهرين حتى يقاتل آخرَهم الدجال، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الذين وصفهم بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، وألحق التابعين بإحسان في رضاه بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد ...

فإنه لما أحدثَ ابنُ تيمية ما أحدثَ في أصول العقائد، ونقضَ من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد، بعد أن كان مستتراً بتبعية الكتاب والسنة، مظهراً أنه داعٍ إلى الحق هادٍ إلى الجنة، فخرج عن الاتِّباع إلى الابتداع، وشذَّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسمية والتركيب في الذات المقدسة، وأن الافتقار إلى الجزء ليس بمحال، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى، وأنَّ القرآن محدَثٌ تكلَّم اللهُ به بعد أن لم يكن، وأنه يتكلم ويسكت ويحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات، وتعدى في ذلك إلى استلزام قدم العالم (والتزامه) بالقول بأنه لا أول للمخلوقات [١]!!، فقال بحوادث لا أول لها فأثبت الصفة القديمة حادثة، والمخلوق الحادث قديماً، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملّةٍ من الملل، ولا نحلة من النحل، فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاثة والسبعين التي افترقت عليها الأمة، ولا وقفت به مع أمة من الأمم همة [٢].

وكلُّ ذلك وإن كان كفراً شنيعاً مما تَقِلُّ جملته بالنسبة إلى ما أحدث في الفروع، فإن متلقي الأصول عنه وفَاهِمَ ذلك منه هم الأقلُّون [٣]، والداعي إليه من أصحابه هم الأرذلون، وإذا حُوققوا في ذلك أنكروه وفروا منه كما يفرون من المكروه، ونبهاء أصحابه ومتدينوهم لا يظهر لهم إلا مجرَّد التبعية للكتاب والسنة والوقوف عند ما دلت عليه من غير زيادة ولا تشبيه ولا تمثيل.

وأما ما أحدثه في الفروع فأمرٌ قد عمَّت به البلوى، وهو الإفتاء في تعليق الطلاق على وجه اليمين بالكفارة عند الحنث.

(١) الابتهاج في شرح المنهاج «كتاب الصداق» ت الغامدي؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٠٨

وقد استروحَ العامَّة إلى قوله وتسارعوا إليه وخَفَّت عليهم أحكام الطلاق، وتعدى إلى القول بأن الثلاثَ لا تقع مجموعة إذا أرسلها الزوج على الزوجة، وكتب في المسألتين كراريسَ مطوَّلة ومختصرة، أتى فيها بالعجب العجاب، وفتح من الباطل كلَّ باب [٤]!!

---

[١] وقد ردَّ عليه في هذه المسألة الإمام الإخميمي، في رسالة مفردة، مطبوعة مع تعليقات نفيسة للأستاذ العلامة سعيد فودة حفظه الله تعالى، ومنشورة على صفحات الانترنت في موقع الإمام الرازي. (جلال)

[٢] للاطلاع على آراء ابن تيمية العقائدية، والوقوف على ما خالف فيه أهل السنة والجماعة، انظر لزاماً (الكاشف الصغير عن عقائد ابن تيمية) تصنيف الأستاذ العلامة أبي الفداء سعيد فودة حفظه الله تعالى، وهو مطبوع، وقد امتاز عن غيره من الكتب بالدِّقة والتحقيق، وقد اشترط أن كل رأي ينسبه إلى ابن تيمية ينقل فيه عدة نقول من كلامه من كتبه المتفرقة، ولذا لم يستطع مدافعوه أن يجيبوا عمَّا فيه، ولا أن يشاغبوا عليه، ولا يغرنك في هذا الباب الدعاية الكبيرة التي حظي بها ابن تيمية في هذا العصر، فلذلك أسبابه السياسية المعروفة. (جلال)

[٣] وذلك أنهم يمنعون البحث في مسائل العقائد، ويعتبرون الحديث عنها من البدع المحدثة في الدين، مع أن ابن تيمية قد غاص في مذموم الكلام بغير إتقان، ففاه بما لا يقبله شرع، ولا يصدق به عقل صحيح، ولا يغرنك دعاوى التحقيق في مقلديه اليوم، فجلهم لا يتقن علوم العقائد، وعند المباحثة يتجلى مدى ما هم عليه من زيغ، والله المستعان. (جلال)

[٤] حتى تعدى ذلك إلى زماننا، رغم بعد الزمان، فدعا أهلُ الجهل إلى ترك أحكام الطلاق بالجملة، وسهلوا على الناس عدم إيقاعه لأدنى خلاف شاذ أو قول باطل لا اعتداد به، فأحلوا الفروج المحرمة، وخالفوا أمر الله تعالى في هذا الباب.

وقد تصدى الإمام الكوثري رحمه الله تعالى لبعض هذه المحاولات في كتابه (الإشفاق على أحكام الطلاق)، بين فيها مدى خطورة الأمر، ودحض بالدليل والبرهان تسهيلات المتساهلين، رحمه الله تعالى. (جلال)." (١)

٥٠. "وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة)، فجعل هزل الطلاق جداً.

ولم نعرف بين الأمة خلافاً في إيقاع طلاق الهازل، وما ذلك إلا لأنه أطلق لفظ الطلاق مريداً معناه، ولكنه لم يقصد حِلَّ قَيدِ نكاحِ امرأته بذلك ولا قصد إيقاع الطلاق عليها، بل هزل ولعب، ومع ذلك

---

(١) الدرة المضية في الرد على ابن تيمية (في مسألة الطلاق بالثلاث) ؟ السبكي، تقي الدين ص/٢

فلم يعتبر الشارع قصده وإنما ألزمه موجب لفظه الذي أطلقه وواخذه به، وما ذلك إلا لقوة الطلاق ونفوذه.

ثم إن الطلاق يكون منجَّزاً، ويكون معلَّقاً على شرط:

فالمنجز كقوله: (أنت طالق)، والمعلَّق كقوله: (إذا جاء رأس الشهر فأنت طالق، وإن دخلت الدار فأنت طالق)، وقد أجمعت الأمة على وقوع المعلَّق كوقوع المنجَّز، فإن الطلاق مما يقبل التعليق، لم يظهر الخلاف في ذلك إلا عن طوائف من الروافض.

ولما حدث مذهب الظاهرية المخالفين لإجماع الأمة المنكرين للقياس خالفوا في ذلك فلم يوقعوا الطلاق المعلّق، ولكنهم قد سبقهم إجماع الأمة فلم يكن قولهم معتبراً؛ لأن من خالف الإجماع لم يعتبر قوله، وقد سبق إجماع الأمة على وقوع الطلاق المعلق قبل حدوث الظاهرية.

وإنما اختلف العلماء إذا علَّق الطلاق على أمرٍ واقع أو مقصودٍ، كقوله: (إذا جاء رأس الشهر فأنت طالق)، هل يتنجز الطّلاقُ من حين علَّق ولا يتأخر إلى وقوع الشرط، وهو مجيء رأس الشهر، أو يتأخر إلى مجيء رأس الشهر؟

فيه قولان للعلماء مشهوران؛ لأنه لمّا عُلِّق على شرط واقع فقد قصد إيقاع الطلاق ورضي به فتنجز من وقته.

وهذا ابن تيمية لم يخالف في تعليق الطلاق، وقد صرَّح بذلك، فليس مذهبه كمذهب الظاهرية في منع نفوذ الطلاق المعلق.." (١)

٥١. "ثم إن الطلاق المعلَّق منه ما يعلق على وجه اليمين، ومنه ما يعلَّق على غير وجه اليمين: فالطلاق المعلَّق على غير وجه اليمين كقوله: (إذا جاء رأس الشهر فأنت طالق) أو (إن أعطيتني ألفاً فأنت طالق)، والذي على وجه اليمين كقوله: (إن كلمت فلاناً فأنت طالق) أو (إن دخلت الدار فأنت طالق) وهو الذي يقصد به الحث أو المنع أو التصديق، فإذا علَّق الطلاق على هذا الوجه ثم وجد المعلق عليه وقع الطلاق.

وهذه المسألة التي ابتدأ ابن تيمية بدعته، وقصد التوصل بها إلى غيرها إن تمت له.

وقد اجتمعت الأمة على وقوع الطلاق المعلَّق، سواء كان على وجه اليمين أو لا على وجه اليمين، هذا مما لم يختلفوا فيه وإجماع الأمة معصوم من الخطأ.

وكل من قال بهذا من العلماء لم يفرِّق بين المعلَّق على وجه اليمين أو لا على وجه اليمين، بل قالوا: الكلُّ يقع.

---

(١) الدرة المضية في الرد على ابن تيمية (في مسألة الطلاق بالثلاث) ؟ السبكي، تقي الدين ص/٥

وقد لبَّس ابن تيمية بوجود خلاف في هذه المسألة، وهو كذب وافتراء وجرأة منه على الإسلام.

وقد نقل إجماع الأمة على ذلك أئمة لا يرتاب في قولهم، ولا يتوقف في صحة نقلهم.

فممن نقل ذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه، وناهيك به فانه الإمام القرشي الذي ملأ طبق الأرض علماً، وثناء إمام هذا المبتدع الذي ينتسب إليه وهو بريئ من بدعته –وهو الإمام أحمد رضي الله عنه– على الشافعي معروف، وتبعيته له ومشيه في ركابه وأخذه عنه مشهور.

وممن نقل الإجماع على هذه المسألة الإمام المجتهد أبو عبيد، وهو من أئمة الاجتهاد كالشافعي وأحمد وغيرهما.

وكذلك نقله أبو ثور وهو من الأئمة أيضاً.

وكذلك نقل الإجماع على وقوع الطلاق الإمام محمد بن جرير الطَّبري، وهو من أئمة الاجتهاد أصحاب المذاهب المتبوعة.

وكذلك نقل الإجماع الإمام أبو بكر بن المنذر.

ونقله أيضاً الإمام الرباني المشهور بالولاية والعلم محمد ابن نصر المروزي.." (١)

٥٢. "ونقله الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتابيه (التمهيد) و (الاستذكار)، وبسط القول فيه على وجهٍ لم يبق لقائل مقالاً.

ونقل الإجماع الإمام ابن رشد في كتاب (المقدمات) له.

ونقله الإمام الباجي في (المنتقى)، وغير هؤلاء من الأئمة.

وأما الشافعي وأبو حنيفة ومالك وأتباعهم فلم يختلفوا في هذه المسألة، بل كلهم نصُّوا على وقوع الطلاق وهذا مستقر بين الأمة، والإمام أحمد أكثرهم نصاً عليها، فإنه نص على وقوع الطلاق ونص على أن يمين الطلاق والعتاق ليست من الأيمان التي تكفر ولا تدخل فيها الكفارة، وذكرَ [١] العتقَ وذكر الأثر الذي استدل به ابن تيمية فيه، وهو خبر ليلى بنت العجماء، الذي بنى ابن تيمية حجَّته عليه وعلَّله وردَّه، وأخذ بأثر آخر صحَّ عنده، وهو أثر عثمان بن حاضر، وفيه فتوى ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وجابر رضي الله عنهم بإيقاع العتق على الحانث في اليمين به، ولم يعمل بأثر ليلى بنت العجماء، ولم يُبقِ في المسألة إلباساً رضي الله عنه، بل كان قصده الحق.

وإذا كانت الأمة مجمعة على وقوع الطلاق لم يجز لأحد مخالفتهم، فإن الإجماع من أقوى الحجج الشرعية، وقد عصم الله هذه الأمة عن أن تجتمع على الخطأ فان إجماعهم صواب.

وقد أطلق كثيرٌ من العلماء القول بأن مخالف إجماع الأمة كافرٌ.

---

(١) الدرة المضية في الرد على ابن تيمية (في مسألة الطلاق بالثلاث) ؟ السبكي، تقي الدين ص/٦

وشرطُ المفتي أن لا يفتي بقول يخالف أقوال العلماء المتقدمين، وإذا أفتى بذلك ردتْ فتواه ومُنع من أخذ بقوله.

ودل الكتاب والسنة على أنه لا يجوز مخالفة الإجماع قال الله تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً)، فقد توعد على مخالفة سبيل المؤمنين واتباع غير سبيلهم بهذا الوعيد العظيم، ومخالف إجماع الأمة متبع غير سبيل المؤمنين فكيف يعتبر قوله.

---

[١] أي الإمام أحمد عليه رحمة الله تعالى.." [(١)]

٥٣. "وقال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) والوسط الخيار، والشهداء على الناس العدول عليهم، فلا يجتمعون على الخطأ.

وقال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وهذا يدل على أن مجموعهم يأمرون بكلِّ معروف وينهون عن كل منكر، فلوا أجمعوا على الخطأ لأمروا ببعض المنكر ونهوا عن بعض المعروف، ومحال أن يتصفوا بذلك وقد وصفهم الله بخلافه!!

وقد ورد في الأحاديث ما يدلُّ مجموعه على عصمة جماعتهم لهن عن الخطأ والضلال، والمسألة مبسوطة مقررة في موضعها.

والقصد هنا أن الأمةَ مجتمعةٌ على وقوع هذا الطلاق، فمن خالفهم فقد خالف الجماعة وخالف النبي صلى الله عليه وسلم في أمره بلزوم الجماعة، وكان الشيطان معه فان الشيطان مع الواحد.

ثم إن هذا المبتدع ابن تيمية ادَّعى أن هذا القول قال به طاوس، واعتمد على نقلٍ شاذٍ وجَدَه في كتاب ابن حزم الظاهري عن مصنف عبد الرزاق.

ولم يُنقل هذا القول عن أحدٍ بخصوصه في الطلاق إلا عن طاوس كما ذكر وعن أهل الظاهر.

أما طاوس فقد صحَّ النقل عنه بخلاف ذلك، وقد أفتى بوقوع الطلاق في هذه المسألة، ونقل ذلك عنه بالسند الصحيح في عدة مصنفات جليلة منها كتاب (السنن) لسعيد بن منصور، ومنها (مصنف عبد الرزاق) الذي ادعى المخالف أن النقل عنه بخلاف ذلك، وقد وَضَحَ كذبه في هذا النقل، فإن المنقول في مصنَّف عبد الرزاق عن طاوس خلاف هذا الذي نسبه ابن تيمية، والأثر الذي نقله عن طاوس إنما ذكره عبد الرزاق في طلاق المكره، فلبس ابن حزم الظاهري النقل وتبعه هذا المبتدع.

وعن كلام طاوس لو صحَّ عنه أجوبةٌ كثيرة غير هذا مبينة في كتابنا (الرد على ابن تيمية).." [(٢)]

---

(١) الدرة المضية في الرد على ابن تيمية (في مسألة الطلاق بالثلاث) ؟ السبكي، تقي الدين ص/٧

(٢) الدرة المضية في الرد على ابن تيمية (في مسألة الطلاق بالثلاث) ؟ السبكي، تقي الدين ص/٨

٥٤. "وأما أهل الظاهر فيقولون إن الطلاق المعلَّق كلَّه لا يقع، ولم يقل ابن تيمية بذلك، وهم مخالفون للإجماع لا يعتبر قولهم، ويقولون إن الطلاق المعلَّق على وجه اليمين لا كفارة فيه، ولم يقل ابن تيمية بذلك، فهو مخالف لهم في بدعته متمسك بقولهم الذي لا يعتبر.

وقد قال ابن حزم: إن جميع المخالفين له لا يختلفون في أن اليمين بالطلاق والعتق لا كفارة في حنثه، بل إما الوفاء بالمحلوف عليه أو باليمين.

وقال هذا المبتدع: إن هذه المسألة لم يتكلم فيها الصحابة، لأنه لم يكن يحلف بالطلاق في زمانهم، ثم بعد هذا القول نسب إلى الصحابة رضوان الله عليهم أنهم يقولون بقوله فكذب أولاً وآخراً:

أما كذبه أولاً فلأنه قال: (إن الصحابة لم تتكلم في هذه المسألة)، وليس كذلك، ففي صحيح البخاري فتوى ابن عمر رضي الله عنهما بالإيقاع.

قال البخاري: قال نافع: طلق رجل امرأته البتة إن خرجت، فقال ابن عمر: إن خرجت فقد بانت منه، وإن لم تخرج فليس بشيء.

وهذه فتوى ظاهرها في هذه المسألة بإيقاع الطلاق البتة إن خرجت، وهو وقوع المعلَّق عليه، وبه يحصل الحنث، فأوقع ابن عمر الطلاق على الحالف به عند الحنث في يمينه، ومن مثل ابن عمر رضي الله عنهما في دينه وعلمه وزهده وورعه وصحة فتاويه؟!

ولا يُعرَفُ أحدٌ من الصحابة خالف ابن عمر في هذه الفتوى ولا أنكرها عليه، وقد قضى علي رضي الله عنه في يمين بالطلاق بما يقتضي الإيقاع، فإنهم رفعوا الحالف إليه ليفرقوا بينه وبين الزوجة بحنثه في اليمين فاعتبر القضية، فرأى فيها ما يقتضي الإكراه، فردَّ الزوجة عليه لأجل الإكراه، وهو ظاهرٌ في أنه يرى الإيقاع لولا الإكراه.

وفي (سنن البيهقي) بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه في رجل قال لامرأته: إن فعلتْ كذا وكذا فهي طالق ففعلته، قال: هي واحدة، وهو أحقُّ بها، فأوقع الطلاق واحدة عند الحنث بمقتضى اللفظ ولم يوجب كفارة.." (١)

٥٥. "ولم يكتف الشيخ بعلماء بلده، بل رحل إلى الاسكندرية، وبغداد ودمشق، فتولى القضاء فيها مع خطابة الجامع الأموي (رحمه الله١).

يقول عنه الذهبي: ((فخر الحفاظ ... ، كان جم الفضائل، حسن الديانة، صادق اللهجة، قوي الذكاء، من أوعية العلم)) (رحمه الله٢).

ويقول السيوطي: ((برع في الفنون، وتخرّج به خلق في أنواع العلوم، وناظر، وأقرَّ له الفضلاء، وولى قضاء

---

(١) الدرة المضية في الرد على ابن تيمية (في مسألة الطلاق بالثلاث) ؟ السبكي، تقي الدين ص/٩

الشام .. ، وكان محققاً مدققاً نظاراً جدلياً، بارعاً في العلوم، له في الفقه وغيره الاستنباطات الجليلة، والرقائق اللطيفة، والقواعد المحرّرة التي لم يسبق إليها)) (رحمه الله٣).

ونقل التاج السبكي عن نسخة وقف عليها لابن تيمية في ردّه على الرد في مسألة الطلاق: ((لقد برز هذا على أقرانه)) (رحمه الله٤) يعني به: تقي الدين

السبكي.

ثالثاً: شيوخه وأبرز مؤلفاته

عرفت مما سبق أن الشيخ تقي الدين السبكي، طاف الأمصار طلباً للعلم. غير أن أعظم تحصيله تلقاه من علماء القاهرة التي دخلها في صحبة أبيه. وإليك ترجمة لأبرزهم:

رحمه الله________________

(رحمه الله١) () انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٣١٧.

(رحمه الله٢) () انظر: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٥٠٧.

(رحمه الله٣) () انظر: بغية الوعاة ٢/ ١٧٧.

(رحمه الله٤) () انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٣٣٣.." [(١)]

٥٦. "أما مؤلفاته فيقول عنها السيوطي: ((صنّف نحو مئة وخمسين كتاباً مطوّلاً ومختصراً، والمختصر منها لابد وأن يشمل على ما لا يوجد في غيره، من تحقيق وتحرير لقاعدة، واستنباط وتدقيق)) (رحمه الله١).

وقد ذكر ابنه طائفة من هذه المصنفات منها:

١ - " تكملة المجموع في شرح المهذب " أكمل فيه ما بدأه النووي من باب الربا ووصل إلى أثناء التفليس. والمطبوع المتداول حتى آخر كتاب خيار البيع.

٢ - " الابهاج في شرح المنهاج " للبيضاوي في أصول الفقه عمل منه قطعة يسيرة ثم أكمله ولده تاج الدين وهو مطبوع.

٣ - "كتاب التحقيق في مسألة التعليق " فيه رد على تقي الدين ابن تيمية في مسألة الطلاق.

٤ - " السهم الصائب في قيض دين الغائب " وهو موضوع هذا الكتاب.

٥ - " فتاوى السبكي " وهي مجموعة فتاوى في شتى الفنون يغلب عليها الفقه، جمعت من الفتاوى التي كانت ترده ويحررها وهو مطبوع.

٦ - " الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم " ولم يكمله (رحمه الله٢)،

رحمه الله________________

(١) السهم الصائب في قبض دين الغائبت العروسي؟ السبكي، تقي الدين ص/٧

(رحمه الله١) () انظر: بغية الوعاة ٢/ ١٧٧.

(رحمه الله٢) () انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٣٩٣ - ٣٩٥.." [1]

٥٧. "التعريف بكتاب «السيف الصقيل»

في أثناء القرن السابع الهجري رحل من حران إلى الشام بيت علم وفضل، خوفا على أنفسهم من التتر واستوطنوا دمشق. وكان منهم طفل صغير من مواليد حران حمله أبوه معه فيما حمل من أهله، فألحقه بمدرسة من مدارس دمشق. ذلك الصغير، هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام المعروف بابن تيمية. وعبد السلام كان من خيرة العلماء، له في مذهب أحمد تصانيف، وله منتقى الأخبار الذي شرحه الشوكاني وأسماه: نيل الأوطار. فأقبل ذلك الصغير على العلم وظهرت عليه مخايل الذكاء، وتفقه في مذهب أحمد كأسرته الحنابلة، وقرأ في كثير من الفنون والعلوم، وظهرت عليه مخايل الذكاء، واشتهر بجودة الحفظ وقوة الذاكرة، وتصدّر للفتيا وإلقاء الدروس في سن مبكرة، وظهرت عليه آثار النسك والعبادة، فأحبته العامة وأثنت عليه الخاصة، وبالغ في الدعاء إلى السنة ومجانبة البدعة. وقد آنس من نفسه قوة ذهن وشدة عارضة فلم يحفل بالرجوع إلى شيوخ الوقت وأكابره، ورفعت إليه الأسئلة والاستفتاءات، فأجاب وأفتى، وهو مرموق في كل ذلك بعين التجلّة من الجميع. حتى إذا قارب سن الأربعين سن الكمال عادة، بدأ النقص يظهر فيه، فبدأ يسير على طريق الكرامية والحشوية (١)، ويحيي بدعة القول بالجهة والمكان والأجزاء لله.

---

(١) وهناك صورة مجملة عن الكرامة والحشوية، حتى تستبطن حقيقتها، وتختبر عودها، وتنظر في أصلهما فيحكي لنا الإيجي أنهما فرعان لشجرة حنظل واحدة، هي شجرة التشبيه. تشبيه الخالق بالمخلوق. وإن اختلفوا في طريقته فمنهم مشبهة غلاة الشيعة ومنهم مشبهة الحشوية كمضر وكهمس والهجيمي ومنهم مشبهة الكرامية أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام. ويؤكد الرازي على أن اليهود أكثرهم مشبهة. وأن ظهور التشبيه في الإسلام قد بدأ من الروافض مثل بيان بن سمعان الذي كان يثبت لله تعالى الأعضاء والجوارح، وهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي، ويونس بن عبد الرّحمن القمي، وأبو جعفر الأحوال الذي كان يدعى شيطان الطاق. وهؤلاء رؤساء علماء الروافض، ثم تهافت في ذلك المحدثون ممن لم يكن لهم نصيب من علم المعقولات. =." [2]

٥٨. "خالف ذلك فهو معطل ملحد عدو للدين منابذ للإسلام والمسلمين، فأحيا بذلك بدعة الحشو بعد ما ماتت أو كادت، حتى لقد رآه ابن بطوطة - في بعض رحلاته - يخطب على المنبر، وتلا

---

(١) السهم الصائب في قبض دين الغائبت العروسي؟ السبكي، تقي الدين ص/٩

(٢) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٠٩

حديث النزول ثم قال: ينزل كنزولي هذه ونزل درجة، فأنكر عليه بعض الحاضرين، فهاج العامة على المنكر وضربوه ضربا شديدا. بل لقد تعصب له بعض الحنابلة أولا، حتى إذا استطار، في الناس ضرره جعلوا يوجهون إليه النصائح بالمشافهة والمكاتبة. وحسبك نصحة الحافظ الذهبي له – وهي مثبتة في ذيل تكملة السيف الصقيل الذي بين يديك – وهو شيخ الحنابلة والحديث – وكان قبل ذلك يكثر الثناء عليه بل يطريه – فيقول: «كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخيتهما» ثم قال: إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد ... الخ وستأتيك بتمامها». ونقول: لقد برع في الاحتيال لنشر آرائه المخالفة للمعقول والمنقول، وبرز في نصر بدع الكرامية، وإحياء ما اندرس من شبههم وشبه غيرهم، وترى ذلك في منهاجه الذي يرد به على الروافض وفي الحقيقة لقد خالف فيه منهاج السنة، فأثبت بأنه لا أول للحوادث وأنه لا ابتداء لها، وأن ذلك هو مذهب الصحابة والتابعين، وتراه مع ذلك .. في تناقض واضح – ينقل خلاف الصحابة والتابعين في أول مخلوق، هل هو العرش أو القلم أو الماء؟!! وفي صفحة واحدة دون خالجة من الخجل!!

وله في ثلب الكرام طريق غريبة ماكرة، تجد ذلك في كيديه للانتصار للأئمة الأربعة وإن حفل نصفه الأول بالثناء عليهم فقد انسرب مكره بهم في النصف الثاني تمهيدا لجرأة العامة عليهم وكذلك كان صنيعه مع إمامي أهل السنة أبي الحسم الأشعري وأبي منصور الماتريدي. ولا عليك فإن جاءك خلاف بين الأشاعرة والحنابلة فلا تشك أنه هو وأتباعه فقط. ولم يسلم من لسانه إمام من أئمة أهل السنة فارجع إلى موافقة معقولة تجده قد وقع في إمام الحرمين وحجة الإسلام الغزالي ووصفهما بأنهما أشد كفرا من اليهود والنصارى!! .. ولكن هل تركه علماء عصره على هذه الضلالات؟ ونبادر إلى القول بأن علماء عصره على اختلاف مذاهبهم قد تصدوا له، فهذا هو علامة عصره تقي الدين الحصني في كتابه «دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد» يقول: أخبرنا أبو الحسن على الدمشقي عن أبيه قال: «كنا جلوسا في مجلس ابن تيمية، فذكر ووعظ وتعرض لآيات الاستواء ثم قال: واستوى الله على عرشه كاستوائي هذا: قال: فوثب الناس عليه وثبة واحدة وأنزلوه من الكرسي، وبادروا إليه ضربا باللكم والنعال .. حتى أوصلوا إلى بعض الحكام واجتمع." (١)

٥٩. "في ذلك المجلس العلماء فشرع يناظرهم فقالوا: ما الدليل على ما صدر منك؟ فذكر آية الاستواء فضحكوا منه، وعرفوا أنه جاهل ... » وكان الإمام العلامة شيخ الإسلام في زمانه أبو الحسن علي بن إسماعيل القونوي يصرح بأنه من الجهلة بحيث لا يعقل ما يقول. ونقل عن صلاح الدين الكتبي ويعرف بالتريكي في الجزء العشرين من تاريخه ما قام به العلماء في جهاد هذا الرجل. وذكر قبل ذلك صورة المرسوم الذي أصدره السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وذكره أيضا العلامة الكوثري بنصه. ناقلا

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤١١

له مما رآه بنفسه من خط ابن طولون في تكملته للسيف الصقيل. ومع هذا فقد ترك بعد موته أئمة ابتداع عبّوا من حياضه الآسنة وعلى رأسهم الإمام ابن رفيل الشهير بابن القيم – وكان أبوه قيم المدرسة الجوزية ولذلك يقولون أحيانا: ابن قيم الجوزية، يعنون بها تلك المدرسة – كان أتبع لشيخه ابن تيمية من ظله، وقد أفنى عمره في خدمة بدع أستاذه بفنون من التلبيس، فيؤلف في السيرة النبوية، وفي الفوائد الصوفية وفي المواعظ، ويدس في خلال ذلك من حشو شيخه وأضاليله ما استطاع ثم يعود إلى ما يعرفه العلماء، وكثيرا ما يحكي المسألة المجمع عليها بين العلماء إجماعا ظاهرا فيذكر فيها خلافا فيقول: قالت طائفة بذلك ويحتج لها ويطيل الاحتجاج.

وقالت طائفة أخرى ويطول الاحتجاج بما يظنه حجة من أوهام شيخه. كما وقوع الطلاق الثلاث المجموع ثلاثا وغيرهما كثير وقلما يسلم له كتاب من تشعيب ودس وتهويش، وقد جمع شواذ شيخه في قصيدة سخيفة نونية بلغها ستة آلاف بيت تقريبا (١). وكان إخوانه وتلاميذه يخفونها خوفا من أهل العلم وأهله، حتى وقعت في يد شيخ الإسلام تقي الدين أبي الحسن علي السبكي، فكتب عليها كتابة سماها:

السيف الصقيل في الرد على ابن رفيل – وقد وضع العلامة الكوثري تكملة لهذا السيف وأجاد كل الإجادة – وهو الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ الكريم – ومن قرأ هذه المنظومة النونية وقرأ كتب ابن تيمية – وهو من أهل العلم – لا يرتاب في أنه نسخة منه، فإنه يرمي من تقدمه من محققي أهل العلم وأكابر العلماء بأنهم أعداء الإسلام، وذلك لأنهم لم يقولوا بما قال به ابن تيمية من التجسيم والتشبيه، وإن كان ابن الجوزي قد أثخن أهل التجسيم والتشبيه بالجراح في كتابه القيم: دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه في الرد على المجسمة والمشبهة بتحقيق: محمد زاهد الكوثري وتصدير العلامة محمد أبي زهرة وتقديم الدكتور: جمعه الخولي بما يشفي الصدر ويثلج

---

(١) وعدد أبياتها على التحقيق ستة آلاف بيت إلا واحدا وخمسين بيتا.." (١)

٦٠. "مداركه. وأما من جمع بين الرواية والدراية على زعمه وألف في ذات الله وصفاته، وصدر منه مثل هذا فلا يوجد بين علماء أهل السنة من يعذر مثله بل أطبقت كلماتهم على إلزامه مقتضى كلامه، وليس لعالم عذر في الميل إلى شيء من التشبيه والقرمطة لظهور سقوطهما لكل ناظر. قال القاضي أبو بكر بن العربي في القواصم والعواصم: «ما لقيت طائفة إلا وكانت لي معهم وقفة عصمني الله منها بالنظر – بتوفيقه – إلا الباطنية والمشبهة فإنهما زعنفة تحققت أنه ليس وراءهما معرفة فقذفت نفسي

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤١٢

كلامهما من أول مرة» اهـ. بل لا يتصور أن يميل إلى أحدهما عاقل إلا إذا كان له غاية إلحادية، وأنى يستعجم على عالم باللسان العربي المبين ما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من الدلالة على تنزيه الله جلّ شأنه من الجسمية والجسمانيات والمادة والماديات، بخلاف العامي الذي هو قريب العهد من الجاهلية.

فضل علماء أصول الدين في حراسة الدين

جزى الله علماء أصول الدين عن الإسلام خيرا، فإن لهم فضلا جسيما في صيانة عقائد المسلمين بأدلة ناهضة مدى القرون أمام كل فرقة زائغة، وإنما يكون التعويل في كل علم على أئمته دون من سواهم، لأن من يكون إماما في علم كثيرا ما يكون بمنزلة العامي في علم آخر، فإذا لا يعول في العقائد إلا على أئمة أصول الدين لا على الرواة البعيدين عن النظر، وكم بينهم من يرثي لمداركه حيث يقل عقله عن عقول الأطفال وإن بلغ في السن مبلغ الرجال. ومن طالع ما ألفه بعض الرواة على طول القرون من كتب في التوحيد والصفات والسنة والردود على أهل النظر يشكر الله سبحانه على النور الذي أفاضه على عقله حتى نبذ مثل تلك الطامات بأول نظرة.

محاولة ابن تيمية بعث الحشوية من مرقدها

وقد استمرت فتن المخدوعين من الرواة على طول القرون مجلبة لسخط الله تعالى ولاستسخاف العقلاء من غير أن يخطر ببال عاقل أن يناضل عن سخافات هؤلاء، إلى أن نبغ في أواخر القرن السابع بدمشق حراني تجرد للدعوة إلى مذهب هؤلاء الحشوية السخفاء متظاهرا بالجمع بين العقل والنقل على حسب فهمه من الكتب بدون أستاذ يرشده في مواطن الزلل، وحاشا العقل الناهض والنقل الصحيح أن يتضافرا في الدفاع عن تخريف السخفاء إلا إذا كان العقل عقل صابئ والنقل نقل صبي، وكم انخدع بخزعبلاته أناس ليسوا من التأهل للجمع بين الرواية والدراية في شيء وله مع خلطائه هؤلاء موقف في يوم القيامة لا يغبط عليه. ومن درس حياته." (١)

٦١. "يجدها كلها فتنا لا يثيرها حاظ بعقله غير مصاب في دينه، وأنّى يوجد نص صريح منقول أو برهان صحيح معقول يثبت الجهة والحركة والثقل والمكان ونحوها لله سبحانه؟ وسيمر بك سرد بعض مخازيه مع نقضها إن شاء الله تعالى.

وكل ما في الرجل أنه كان له لسان طلق، وقلم سيّال، وحافظة جيدة، قلب – بنفسه بدون أستاذ رشيد – صفحات كتب كثيرة جدا من كتب النّحل التي كانت دمشق امتلأت بها بواسطة الجوافل من استيلاء

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤١٧

المغول على بلاد الشرق، فاغترّ بما فهمه من تلك الكتب من الوساوس والهواجس، حتى طمحت نفسه إلى أن تكون قدوة في المعتقد والأحكام العملية فوفاه في القبيلين بما لم يفه به أحد من العالمين مما هو وصمة عار وأمارة مروق في نظر الناظرين فانفضّ من حوله أناس كانوا تعجلوا في اطرائه بادئ بدء قبل تجريبه وتخلوا عنه واحدا إثر واحد على تعاقب فتنه المدونة في كتب التاريخ ولم يبق (١) معه إلا أهل مذهبه في الحشو من جهلة المقلدة، ومن ظن أن علماء عصره صاروا كلهم إلبا واحدا ضده حسدا من عند أنفسهم فليتهم عقله وإدراكه قبل اتهام الآخرين، بعد أن درس مبلغ بشاعة شواذه في الاعتقاد والعمل وهو لم يزل يستتاب استتابة إثر استتابة، وينقل من سجن إلى سجن إلى أن أفضى إلى ما عمل وهو مسجون فقبر هو وأهواؤه في البابين بموته وبردود العلماء عليه وما هي ببعيدة عن متناول رواد الحقائق.

مسايرة ابن القيم لابن تيمية في فتنته

وكان ابن زفيل الزرعي المعروف بابن القيم يسايره في شواذه كلها حيا وميتا، ويقلده فيها تقليدا أعمى في الحق والباطل، وإن كان يتظاهر بمظهر الاستدلال لكن لم يكن استدلاله المصطنع سوى ترديد منه لتشغيب قدوته دائبا على إذاعة شواذ شيخه، متوخيا في غالب مؤلفاته تلطيف لهجة أستاذه في تلك الشواذ، لتنطلي وتنفق على الضعفاء، وعمله كله التلبيس والمخادعة والنضال عن تلك الأهواء المخزية حتى أفنى عمره بالدندنة حول مفردات الشيخ الحراني. تراه يثرثر في كل واد، ويخطب بكل ناد بكلام لا محصل له عند أهل التحصيل، ولم يكن له حظ من المعقول، وإن كان كثير السرد لآراء أهل النظر. ويظهر مبلغ تهافته واضطرابه لمن طالع (شفاء العليل) له بتبصر، ونونيته وعزوه من الدلائل على أنه لم يكن ممن له علم بالرجال ولا ينقد الحديث حيث

---

(١) وثناء بعض المتأخرين عليه لم يكن إلا عن جهل بمضلات الفتن في كلامه ووجوه الزيغ في مؤلفاته ومنهم من ظن أنه دام على توبته بعد ما استتيب فدام على الثناء ولا حجة في مثل تلك الأثنية، وأقواله الماثلة أمامنا في كتبه لا يؤيدها إلا غاو غوى، نسأل الله السلامة.." [١]

٦٢. "أثنى فيهما على أناس هلكى، واستدل فيهما بأخبار غير صحيحة على صفات الله سبحانه. وقد ذكره الذهبي في المعجم المختص بما فيه عبرة، ولم يترجم له الحسيني ولا ابن فهد ولا السيوطي في عداد الحفاظ في ذيولهم على طبقات الحفاظ، وما يقع من القارئ بموقع الإعجاب من أبحاثه الحديثية في زاد المعاد وغيره فمختزل مأخوذ مما عنده من كتب قيمة لأهل العلم بالحديث «كالمورد الهني شرح

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤١٨

سير عبد الغني للقطب الحلبي» ونحوه ولو لا محلى ابن حزم وإحكامه ومصنف ابن أبي شيبة وتمهيد ابن عبد البر لما تمكن من مغالطاته وتهويلاته في أعلام الموقعين. وكم استتيب وعزر مع شيخه وبعده على مخاز في الاعتقاد والعمل تستبين منها ما ينطوي عليه من المضي على صنوف الزيغ تقليدا لشيخه الزائغ وسيلقى جزاء عمله هذا في الآخرة – إن لم يكن ختم له بالتوبة والإنابة – كما لقي بعض ذلك في الدنيا.

نماذج من أقوال أصحاب ابن القيم وأضداده والمتحايدين

قال الذهبي في المعجم المختص عن ابن القيم هذا: عني بالحديث بمتونه وبعض رجاله وكان يشتغل في الفقه ويجيد تقريره، وفي النحو ويدريه، وفي الأصلين. وقد حبس مدة لإنكاره على شد الرحيل لزيارة قبر الخليل (إبراهيم عليه السلام) ثم تصدر للاشتغال ونشر العلم لكنه معجب برأيه جريء على الأمور اهـ.

قال ابن حجر في الدرر الكامنة: غلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر له في جميع ذلك، وهو الذي هذّب كتبه ونشر علمه .. واعتقل مع ابن تيمية بالقلع بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروبا بالدرة، فلما مات أفرج عنه وامتحن مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية وكان ينال من علماء عصره وينالون منه اهـ.

قال ابن كثير كان يقصد للإفتاء بمسألة الطلاق حتى جرت له بسببها أمور يطول بسطها مع ابن السبكي وغيره .. وكان جمّاعا للكتب فحصل منها ما لا يحصر حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهرا طويلا سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم .. وهو طويل النفس في مصنفاته يتعانى الإيضاح جهده، فيسهب (١) جدا، ومعظمها من كلام شيخه يتصرف في ذلك، وله في ذلك ملكة قوية، ولا يزال يدندن حول مفرداته وينصرها ويحتج لها .. وجرت له محن مع القضاة منها في

---

(١) الإسهاب: الإطناب، وهو عكس الإيجاز.." (١)

٦٣. "ربيع الأول طلبه السبكي بسبب فتواه بجواز المسابقة بغير محلل فأنكر عليه وآل الأمر إلى أنه رجع عما كان يفتي به من ذلك اهـ. وقال: التقى الحصني: كان ابن تيمية ممن يعتقد ويفتي بأن شد الرحال إلى قبور الأنبياء حرام لا تقصر فيه الصلاة، ويصرح بقبر الخليل وقبر النبي صلى الله عليهما وسلم. وكان على هذا الاعتقاد تلميذه ابن قيم الجوزية الزرعي وإسماعيل بن كثير الشركويني، فاتفق أن ابن قيم الجوزية سافر إلى القدس الشريف ورقى على منبر في الحرم ووعظ وقال في أثناء وعظه بعد أن ذكر المسألة: وها أنا راجع ولا أزور الخليل. ثم جاء إلى نابلس وعمل له مجلس وعظ وذكر المسألة بعينها

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤١٩

حتى قال فلا يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقام إليه الناس وأرادوا قتله فحماه منهم والي نابلس، وكتب أهل القدس وأهل نابلس إلى دمشق يعرفون صورة ما وقع منه فطلبه القاضي المالكي فتردد وصعد إلى الصالحية إلى القاضي شمس الدين بن مسلم الحنبلي وأسلم على يديه فقبل توبته وحكم بإسلامه وحقن دمه ولم يعزره لأجل ابن تيمية .. ثم أحضر ابن قيم الجوزية وادعى عليه بما قاله في القدس الشريف وفي نابلس فأنكر، فقامت عليه البينة بما قاله فأدب وحمل على جمل ثم أعيد في السجن ثم أحضر إلى مجلس شمس الدين المالكي وأرادوا ضرب عنقه فما كان جوابه إلا أن قال إن القاضي الحنبلي حكم بحقن دمي وبإسلامي وقبول توبتي، فأعيد إلى الحبس إلى أن أحضر الحنبلي فأخبر بما قاله فأحضر وعزر وضرب بالدرة وأركب حمارا وطيف به في البلد والصالحية وردوه إلى الحبس – وجرسوا ابن القيم وابن كثير وطيف بهما في البلد وعلى باب الجوزية لفتواهم في مسألة الطلاق اهـ.

قال ابن رجب: قد امتحن وأوذي مرات وحبس مع الشيخ تقي الدين في المدة الأخيرة بالقلعة منفردا ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ اهـ.

وقد سقت هنا نماذج من كلمات أصحابه وأضداده والمتحايدين في حقه في هذا الكتاب، وأرجو أن الحق لا يتعدى ما دللت عليه في حقه فيما كتبناه.

أحق الناس بالرثاء

وأحق الناس بالرثاء وأجدرهم بالترحم من أفنى عمره في سبيل العلم منصاعا لمبتدع يرديه من غير أن يتخير أستاذا رشيدا يهديه، ومثله إذا دوّن أسفارا لا يزداد بها إلا بعدا عن الله وأوزارا، وهو الذي يصبح متفانيا في شيخه الزائغ بحيث لا يسمع إلا بسمعه ولا يبصر إلا ببصره في جميع شئونه، ويبقى في أحط دركات الجهل من." (١)

٦٤. "التقليد الأعمى، ولو فكر قليلا لكان أدرك أن من السخف بمكان وضعه لشيخه في إحدى كفتي الميزان ليوازن به جميع العلماء والفقهاء من هذه الأمة في كفته الأخرى فيزنهم ويغالبهم به فيغلبهم في علومهم! وهذا ما لا يصدر من حاظ بعقله، ولا سيما بعد التفكير في تلك المخازي من شواذه. نعم يمكن أن يكون عنده أو عند شيخه بعض تفوق في بعض العلوم على بعض مشايخ حارته أو أهل خطه أو قريته أو مضرب خيام عشيرته، لكن لا يوجب هذا أن يصدق في ظنه في حق نفسه أن جو هذه الأرض يضيق عن واسع فهومه، وعرض هذه البحار لا يتسع لزاخر علومه.

أخطر ما يطغى من صنوف الاستغناء

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٢٠

ومن الآفات المردية التي تعتري الإنسان وتقذف به إلى هاوية الخسران طغيانه حينما يرى نفسه على شيء من الاستغناء بمال أو جاه أو علم، لكن المال عرض زائل، والجاه الدنيوي قلما يدوم على حال، وعلم الإنسان مهما اتسع فما أوتي من العلم إلا قليلا، وتلك الخلال لو روعيت حدودها لكانت أكبر عون للمرء على إحراز مرضاة الله سبحانه، وأما إذا اتخذها أداة طغيان فإذ ذاك تنقلب تلك النعم مجلبة لسخط الله عزّ وجل ومقت الخلق، فيصبح ذلك الطاغي من الأخسرين أعمالا في الدارين، وليعلم أن ضرر العلم – إذا زاغ صاحبه – دونه كل ضرر، فإن الطاغي بالمال يزول ضرره بزوال ماله، كصاحب الجاه الذي لا يدوم جاهه، وأما صاحب العلم الذي لعب به الشيطان وخلّد كتبا فيما طغى به فهمه وطاش قلمه، فيدوم ضرره ويتضاعف وزره ما دامت آثاره دارجة يضل بها أناس، فإذا هي أخطر تلك الآفات، ولا يخفف عن مؤلفها العذاب إلا بإعراض الناس عن كتبه المغوية بتنبيه أهل العلم المهتدين على ما حوته من صنوف الزيغ والضلال، فيكون في الكشف عن مواطن الغواية من أمثال تلك الكتب تخفيف لعذاب مؤلفيها، وصون للأمة عن الوقوع في مهاويها. وقد عنى الموفقون من علماء هذه الأمة بنقض أمثال تلك الكتب لتلك الغاية النبيلة قديما وحديثا ومن هلك بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

ردود السبكي على ابن تيمية والكلام في رده على نونية ابن القيم

وللحافظ التقي السبكي فضل مشكور وعمل مبرور في الرد على ابن زفيل وشيخه في شواذهما المردية، ومن جملة مؤلفاته في هذا الصدد «رده على نونية ابن القيم» وقد نقل السيد محمد المرتضى الزبيدي في شرح الإحياء عند الكلام على." (١)

٦٥. "من حلف بطلاق امرأته وحنث لا يقع عليه طلاق. واتفق العلماء على حبسه الحبس الطويل فحبسه السلطان (١) ومنع من الكتابة في الحبس وأن يدخل إليه أحد بدواة ومات في الحبس. ثم حدث من أصحابه من يشيع عقائده ويعلم مسائله ويلقي ذلك إلى الناس سرا ويكتمه (٢) جهرا فعمّ الضرر بذلك حتى وقفت في هذا الزمان على قصيدة نحو ستة آلاف بيت يذكر ناظمها فيها عقائده وعقائد غيره ويزعم بجهله أن عقائده عقائد أهل الحديث (٣). فوجدت هذه القصيدة تصنيفا في علم الكلام الذي نهى العلماء عن النظر فيه لو كان حقا، فكيف وهي تقرير للعقائد الباطلة وبوح بها وزيادة على ذلك وهي حمل العوام على تكفير كل من سواه وسوى طائفته فهذه ثلاثة أمور هي مجامع ما تضمنته هذه القصيدة.

فالأول من الثلاثة حرام لأن النهي عن علم الكلام إن كان نهي تنزيه فيما تدعو

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٢١

= الرد عليه مؤلف شفاء السقام في تلك المسألة بل جمع الحافظ الصلاح العلائي طرق حديث الزيارة في الرد عليه أيضا بطلب ابن الفركاح ولم يستمر على مشايعته بعد ذلك إلا مكسرو الحشوية تحت الخفاء، وكم استتيب وأخذ خطه بالتوبة ثم نقض مواثيقه. راجع (نجم المهتدي) و (دفع الشبه) و (الدرر الكامنة).

(١) الملك الناصر محمد بن قلاوون ولم يكن له عداء شخصي نحو ابن تيمية أصلا كما اعترف بذلك أشياع ابن تيمية لكن لما رأى توالي فتنه واتفق علماء المذاهب ضده ومعهم قاضي قضاة الحنابلة لم يسعه إلا أن يصدر مرسوما لأهل دمشق ومرسوما لسائر البلدان أسوة بما أصدره بمصر ضد هذا الزائغ. ونصوص تلك المراسيم مدوّنة في (نجم المهتدي) و (عيون التواريخ) و (دفع الشبه) بألفاظ متقاربة في المعنى وفي الاطلاع عليها عبرة بالغة. وقد تليت تلك المراسيم على المنابر نصحا للأمة وإفهاما لها أن ذلك الرجل مجسم زائغ اعتقادا وعملا فلا يجوز الاغترار به.

(٢) ويظهر من ذلك أن نونية ابن القيم لم تكن تذاع في ذلك العهد إلا سرا وكفى هذا سعيا بالفساد ولا يحسبن القارئ أن ابن القيم ربما يكون تاب وأناب عن هذه العقيدة الزائغة التي احتوتها تلك القصيدة فإنه يرى في ترجمته من طبقات الحنابلة لابن رجب أن ابن رجب سمعها من لفظ ابن القيم عام وفاته وهذا من الدليل على أنه استمر على هذا المعتقد الباطل إلى أواخر عمره. وعدد أبياتها ستة آلاف بيت إلا واحدا وخمسين بيتا.

(٣) وبيّن أهل الحديث من القدرية والخوارج وصنوف الشيعة والمجسمة من كرامية وبربهارية وسالمية رجال لا يحصيهم العد كما لا يخفى على من له إلمام بعلم الرجال فليس لهم عقيدة جامعة فيكون عزو عقيدة إلى جماعة الحديث مخادعة وتمويها على العقول، فإن كان يريد تخصيص هذا الاسم بصنوف المجسمة فهذه التسمية إنما تكون تسمية ما أنزل الله بها من سلطان، وإنما التعويل على أهل الحديث في روايتهم الحديث فقط فيما لا يتهمون به، وأما علم أصول الدين فله أئمة معروفون وبراهين مدوّنة في كتبهم، وأهل الحديث المبرءون من البدع يسيرون سيرهم.." (١)

٦٦. "فصل

مناظرة خيالية بين المشبه والمنزه ... إلخ

قال: «جمع مجلس المذاكرة بين مثبت للصفات والعلو ومعطل» إلى أن قال: «من كلام المثبت أن كهيعص وحمعسق وق ون كلام الله حقيقة وأن الله تكلم بالقرآن العربي الذي سمعه الصحابة».

مراده بذلك أن كلام الله حرف وصوت وهذا الجاهل لا يفرق بين كلام الله واللفظ الدال عليه (١).

ثم قال: «ومن قال ليس لله في الأرض كلام فقد جحد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم» هذا الكلام

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٢٧

يحتمل وجهين (٢) لا نطول بهما، ثم قال: «إن الله فوق سماواته». يقول له: أين قال الله أو رسوله إنه فوق سماواته؟ وأنت قلت في صدر كلامك

---

(١) بل بين الكلام اللفظي والكلام النفسي وفي أوائل تفسير (روح المعاني) بسط لطيف في الكلام النفسي بحيث لا يدع شكا لمرتاب. وبعد أن انتهى الألوسي فيه من الكلام في الكلام النفسي قال: ومن أحاط بذلك اندفع عنه كل إشكال في هذا الباب ورأى أن تشنيع ابن تيمية وابن القيم وابن قدامة (الموفق) وابن قاضي الجبل والطوفي (سليمان بن عبد القوي) وأبي نصر (السجزي) وأمثالهم صرير باب أو طنين ذباب ... وقد انحرفت أفكارهم واختلطت أنظارهم فوقعوا في علماء الأمة وأكابر الأئمة وبالغوا في التعنيف والتشنيع وتجاوزوا في التسخيف والتفظيع ولو لا الخروج عن الصدد لوفيتهم الكيل صاعا بصاع ولتقدمت إليهم بما قدموا باعا بباع ولعلمتهم كيف يكون الهجاء بحروف الهجاء ولعرفتهم إلام ينتهي المراء بلا مراء:

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ... ولي فرس للجهل بالجهل مسرج

فمن رام تقويمي فإني مقوّم ... ومن رام تعويجي فإني معوج

على أن العفو أقرب للتقوى والإغضاء مبنى الفتوة وعليه الفتوى والسادة الذين تكلم فيهم هؤلاء إذا مروا باللغو مروا كراما وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اهـ.

(٢) لعله يريد وجود الكلام النفسي ووجود الكلام اللفظي فنفي وجود الثاني في الأرض نفي لوجود كتاب الله وشرعه في الأرض وهو كفر صراح ولا قائل بذلك من فرق المسلمين. وأما زعم وجود الكلام النفسي القائم بالله في الأرض فقول بالحلول كقول النصارى في الكلمة، وقد كفر غير واحد من أئمة السنة، السالمية على قولهم بأنه تعالى يقرأ على لسان كل قارئ، تعالى الله عما يأفكون. وقد ذكرنا ما يتعلق بذلك بنوع من البسط فيما علقناه على التبيين وفي (لفت اللحظ إلى ما في الاختلاف في اللفظ).." (١)

٦٧. "«نقول ما قاله ربنا» وأين قال ربنا: إنه بائن من خلقه. ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، فقد نسبت إلى قول الله ما لم يقله، ومن هو المعطل الذي عنيته فإنا لا نعرف اليوم أحدا معطلا يتظاهر بين المسلمين بل ولا معتزليا ولا فيلسوفا يتظاهر بقول الفلاسفة (١) فلعلك عنيت الأشعرية فإنهم القائمون اليوم من أكثر المذاهب ثم قال (٢): «فلما سمع المعطل منه ذلك أمسك ثم أسرها في نفسه وخلا بشياطينه وبني جنسه وأوحى بعضهم إلى بعض أصناف المكر والاحتيال وراموا أمرا يستحمدون به إلى نظرائهم من أهل البدع والضلال وعقدوا مجلسا بيتوا فيه ما لا يرضاه الله

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٣٠

من القول وراموا استدعاء المثبت ليجعلوا نزله ما لفقوه من الكذب وتمموه فلم يتجاسروا وخذلهم المطاع فمزق ما كتبوه من المحاضر، فسعى في عقد مجلس عند السلطان فلم يذعنوا فطالبهم بإحدى ثلاث: مناظرة فأبوا، فدعاهم إلى مكاتبة فأبوا، فدعاهم إلى المباهلة (٣) بين الركن والمقام فلم يجيبوا فحينئذ عقد المثبت لله مجلسا بينه وبين خصمه وما كان أهل التعطيل أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون».

هذا كله مقصوده به والله أعلم طوائف الأشعرية الشافعية والمالكية والحنفية الذين كانوا مقاومين لابن تيمية فهم الذين يسميهم المعطلة، وكان مراده بالمثبت ابن تيمية والعاقد للمجلس فيما بينه وبين خصمه إما ابن تيمية وإما هذا النحس المتشبع بما لم يعط.

---

(١) هذا بالنظر إلى عهد المؤلف، فإن العلماء كانوا قائمين بواجبهم إذ ذاك يوقفون المبتدعة الذين يحاولون الاعتداء على حريم قدس الدين عند حدهم وما ألف في الرد على هذا الزائغ وشيخه من الكتب في ذلك العصر يعد بالعشرات فضلا عن باقي أهل الضلالة. وأما اليوم فقلّما تجد بين العلماء من يسهر على السنة النقية البيضاء والدين الحنيف فاتسع المجال لتمويه الضلال.

وأدعو الله سبحانه أن يوقظ أهل الشأن من سباتهم العميق ويرشدهم إلى حراسة الشرع من اعتداء المعتدين.

(٢) مما اختص به ناظم القصيدة من بين دعاة الحشوية تصوير مناظرات في مسائل يدس في غضون كلام الطرفين ما يشاء من وسائل استدراج الضعفاء إلى ضلاله وهذه طريقة الأقدمين من أعداء الدين بعثها من مرقدها هذا الناظم ليصل إلى إضلالهم بطريقة روائية خيالية فمن مشى على الاستسلام له فيما يراه من مناظراته الخيالية في هذا الكتاب وفي شفاء العليل وأعلام الموقعين ونحوها فإنه معرّض للانحلال وسنكشف الستار عن وجوه تضليله وتدجيله بحول الله وتوفيقه.

(٣) راجع الآية ٦١ من سورة آل عمران.." [1]

٦٨. "مجسمة (١) فلا تسمع تراهم والعنهم واحكم بسفك دمائهم فهم أضل من اليهود والنصارى، واحذر تجادلهم ب «قال الله وقال الرسول» وهم أولى به، فإذا ابتليت بهم فغالطهم على التأويل للأخبار والقرآن، وعلى التكذيب للآحاد.

هذان أصلان أوصى بهما أشياخنا أشياخهم، وإذا اجتمعت بهم في مجلس فابدأ بإيراد وشغل زمان لا يملكوه عليك بالآثار وتفسير القرآن، فإن وافقت صرت مثلهم، وإن عارضت صرت زنديقا كافرا، وإن سكت يقال جاهل، فابدأ ولو بالفشر والهذيان

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٣١

= مجالا للكلام، بمثل هذه المخازي، كأنه وشيخه كانا يحاولان القضاء على البقية الباقية من الإسلام، ومن علوم الإسلام، إتماما لما لم يتم بأيدي المغول، لكنهما قضيا على أنفسهما ومداركهما قبل أن يقضيا على السنة باسم السنة وعلى عقول الناس باسم النظر عاملهما الله سبحانه بعدله.

(١) يسعى الناظم بكل قواه في تهوين أمر التجسيم أسوة بشيخه، لكن القائلين بقدم الجسم طائفتان ليس بين طوائف البشر أسخف أحلاما من كلتا الطائفتين. إحداهما الطبيعيون وقد تسمى الملاحدة والزنادقة والدهرية والمعطلة وهم القائلون بنفي الصانع، وهم كما يقول المطهر المقدسي أقل الناس عددا وأفيلهم رأيا، وأشرهم حالا وأوضعهم منزلة، يقولون بقدم أعيان العالم والأجسام وتولد النبات والحيوان من الطبائع باختلاف الأزمنة والثانية المجسمة وقد تسمى الحشوية والمشبهة على اختلاف بينهم فيما يختلقونه في الله من السخافات والحماقات، تعالى الله عما يصفون، وهم مشاركون لهؤلاء في القول بجسم قديم قدما ذاتيا إلا أنهم يؤلهونه ويتعبدونه بخلاف هؤلاء، سواء أطلقوا لفظ الجسم عليه أم لم يطلقوا بعد أن قالوا بمعنى الجسم الشاغل للفراغ، الذاهب في الجهات، حيث خاضوا في ذات الله سبحانه بعقولهم الضئيلة التي تعجز عن اكتناه ذوات المخلوقات وإنما علمهم بالمخلوقات عبارة عما تخيلوه بشأنها من إحساسهم بأغراضها، فكيف يجترءون على تخيل الحوم حول حمى الخالق جلّ وعلا.

قال ابن تيمية في التأسيس في رد أساس التقديس المحفوظ في ظاهرية دمشق في ضمن المجلد رقم ٢٥ من الكواكب الدراري، وهذا الكتاب مخبأة ووكر لكتبهم في التجسيم وقد بينت ذلك فيما علقته على المصعد الأحمد (ص ٣١): «فمن المعلوم أن الكتاب والسنة والإجماع لم ينطق بأن الأجسام كلها محدثة وأن الله ليس بجسم ولا قال ذلك إمام من أئمة المسلمين فليس في تركي لهذا القول خروج عن الفطرة ولا عن الشريعة اهـ».

وقال في موضع آخر منه: «قلتم ليس هو بجسم، ولا جوهر ولا متحيز ولا في جهة ولا يشار إليه بحس ولا يتميز منه شيء وعبرتم عن ذلك بأنه تعالى ليس بمنقسم ولا مركب وأنه لا حد له ولا غاية، تريدون بذلك أنه يمتنع عليه أن يكون له حد وقدر أو يكون له قدر لا يتناهى ... فكيف ساغ لكم هذا النفي بلا كتاب ولا سنة اهـ». وفي ذلك عبر للمعتبر، وهل يتصور لمارق أن يكون أصرح من هذا بين قوم مسلمين؟.." (١)

٦٩. "يهتز فوق أصابع (١) الرّحمن وأن قلب العبد بين اثنتين من أصابعه، وأنه يضحك عند

= أن يكون قبض الله من قبيل احتواء الأنامل على شيء، وما زاد على ذلك في الروايات من أنه يأخذ السماوات بيده اليمنى ويأخذ الأرض بشماله – وحاشا أن يكون له شمال وكلتا يديه يمين – فمن

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٤٥

تصرفات الرواة أثناء النقل بالمعنى كما لا يخفى على أهل هذه الصناعة المستحضرين لأحاديث الباب ومبلغ اضطرابها سندا ومتنا.

وأما حديث الحبر اليهودي فيوضع أجزاء الكون على إصبع فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فيه لا يدل على تصديق ذلك وإن ظنه بعض الرواة تصديقا - في بعض الطرق - بل يدل على الإنكار والاستهجان. وقد برهن ابن الجوزي في دفع الشبه وابن حجر في الفتح على أن ذلك إنكار لا تصديق رغم توهم ابن خزيمة كونه تصديقا لزيغ مشهور في معتقده، كما سيأتي بيانه، بل نزول قوله تعالى: ﴿ومَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ والْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزّمر: ٦٧] أي تحت تصرف مالك يوم الدين لا يجري لأحد سواه حكم في ذلك اليوم ﴿والسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزّمر: ٦٧] أي بقدرته لا حساب على سكانها بخلاف أهل الأرض فإنهم محاسبون ﴿سُبْحَانَهُ وتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] عقب حديث حبر اليهود دليل واضح على الإنكار على أن إثباتهم الأصابع الحسية بالوجه السابق إشراك. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١] فمن الذي يظن أن ذلك بالمماسة؟ وكذلك القبض، وإن هذى الشيخ محمد المنبجي الحنبلي تلميذ، الناظم في جزء (إثبات المماسة) بما شاء من صنوف الهذيان، وكل ذلك من بلايا ابن تيمية حيث لفق الروايات في هذا الصدد وقال ما شاء أن يقوله في الأجوبة المصرية وذكر ما ورد في بعض طرق الحديث وهو (قبض كفيه فجعل يقبضهما ويبسطهما) ثم قال: «وهنا شبه القبض والبسط بقبضه وبسطه» اهـ. وهذا تشبيه صريح من ابن تيمية ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النّحل: ١٧] ومغالطة مكشوفة، واللفظ المذكور لم يقع إلا في بعض الروايات، والاضطراب في الحديث سندا ومتنا زيادة ونقصا ظاهر جدا لمن اطلع على طرقه بحيث لا يصح الاستدلال به ولا سيما في مثل هذا المطلب وعلى فرض ثبوت أن النبي صلى الله عليه وسلم قبض كفيه وبسطهما أثناء الخطبة لم ينسب إليه صلى الله عليه وسلم في حديث أنه قال: هكذا يقبض ويبسط حتى يصح كلام ابن تيمية، بل البسط غير موجود فيما يروى عما يفعله سبحانه عند قيام الساعة حتى يظن به صلى الله عليه وسلم إذا قبض كفيه وبسطهما أنه أراد تشبيههما بقبض الله وبسطه، على أن الخطيب كثيرا ما تصدر منه حركات وإشارات أثناء الخطبة، وحملها على معان لم ينطق هو بها تقويل للخطيب ما لم يقله، ومن الظاهر جدا أن الأرض تحتوي على الأنجاس والأرجاس فكيف يتصور أن يكون قبض الله كقبض أحد من خلقه حقيقة بحيث يستلزم ذلك القبض على الأخباث والأرواث، تعالى الله عن ذلك. وهذا مما لا يتصوره من يخاف مقام ربه ولو كان جاهلا باستحالة الجسمية على الله سبحانه. ولا نتعرض هنا لرواية كاتب الليث في الخبزة ولعل فيما ذكرنا كفاية.

الأصابع في كلام الجبر

(١) لم يرد في حديث وضع السماوات على إصبع إضافة الأصابع إلى الرّحمن أصلا وهذا كذب وتصرف في الحديث بالتحريف والتغيير قال القاضي أبو بكر بن العربي في القواصم والعواصم: =." (١)

٧٠. "المسلمين البرآء من السوء كل قبيح، وجعل ذلك طريقا للخروج من الدين والانسلاخ من الإيمان وانتهاك الحرام، وعدم اعتقاد شيء فهل وصلت الزنادقة والملاحدة والطاعنون في الشريعة إلى أكثر من هذا؟ بل هذا، وإيهامه الجهال أنه هو المتمسك بالقرآن والسنة، لينفق عندهم كلامه ويخفي عنهم سقامه.

= الإخلال بتلك الأمانة سقط من نظرهم وأكنّوا له في صدورهم من الازدراء به كعالم ما يجعله في نظرهم كأنه مسخت إنسانيته وأصبح مخلوقا آخر من المخلوقات التي لا يقع في النفوس أنها تكون في وقت من الأوقات مصدرا لأي معنى ينتفع به بنو الإنسان من الناحية الأدبية، هذا نظرهم لمن يخون في النقل عن رجل مثلهم ما قال الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم إنه معصوم.

وإذا كان الأمر كذلك في هذا فليقل لي حضرات إخواننا المساكين المغرورين بابن القيم كيف يدومون على غرورهم به وإمام عظيم من أئمة المسلمين يقول عنه بعبارة صريحة فصيحة بيّنة لا تحتمل التأويل، لا يقولها فقط بلسانه بل يكتبها في كتاب تبقى فيه على ممر الدهور يقرؤها البعيد والقريب والصغير والكبير والعالم والجاهل والمؤمن والكافر يقول تلك الكلمة هذا الإمام النادر المثال في فضله وزهده وورعه وعلمه وهو يعلم أنه مسئول عنها عند ربه ولي أمره في دنياه وفي أخراه، وأي كلمة هذه الكلمة هي قوله: إن ابن القيم كذب على الله ورسوله – ليقل لي حضرات المغرورين بابن القيم كيف يكون نظرهم إليه في الحقارة والصغار وهم يسمعون إماما كبيرا لا ينسب إمامهم إلى الخيانة في النقل عن فريق العلماء جميعا بل ينسبه إلى الخيانة في النقل عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يقول عنه إنه يكذب عليهما ويسند إليهما ما لم يقله كتاب ولا سنة أمع هذا يبقون على غرورهم وإفراطهم في تعظيم ذلك الرجل الذي يقول عنه الإمام السبكي بحق: إنه ما زاد عنه الزنادقة والملاحدة والطاعنون في الشريعة في الخروج على الإسلام والمسلمين، أنا لا أتوهم بعد اطلاع هؤلاء المساكين على حال هذا الرجل أن يبقى في قلوبهم مثقال ذرة من التعظيم له والعطف عليه، كيف لا وهم مؤمنون والله يقول في كتابه الكريم عن كل من اتصف بالإيمان: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] وإني أعيذهم بالله من احترام رجل لا يزيد عنه في الخروج على الإسلام والمسلمين لا الزنادقة ولا الملاحدة ولا الطاعنون في الشريعة، إني أرجو

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٥٢

إخواننا المغرورين بابن القيم أن يفهموا أن كذب صاحبهم على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في أصول الإسلام ليعلموا هذا جيدا ثم ليوقنوا أن الذي يكذب في الأصول هين جدا عنده أن يكذب في الفروع وإذن ترتفع بكل معناها عن ابن القيم فلا يجوز لمسلم أن يعتمد عليه في نقل لا في أصول ديننا ولا في فروعه وهو على هذه الحالة سيئة واحدة من سيئات شيخه الكبير إمامكم العظيم لا في هذا ولا عشر نظركم ابن تيمية. ما ثبت له يثبت لشيخه بالأولى ثم بالأولى. وبناء على هذا أؤكد عليكم أن تنظروا إلى كل كتاب خطته براعة هذا الرجل وشيخه نظر من لا أثر للثقة في قلبه بهما وبما يكتبانه وإلا فمثلكم حينئذ مثل من يرى اللص بعينه يسرق العظائم من أموال الناس ثم في الوقت عينه يقول ما أصلحه وما أجله وما أوثق دينه.." [1]

٧١. "وتعاقب (١) الكلمات».

هذا هو الذي ابتدعه ابن تيمية والتزم به حوادث لا أول لها، والعجب قوله مع ذلك إنه قديم، وحين النطق بالباء لم تكن السين موجودة، فإن قال النوع قديم وكل واحد من الحروف حادث عدنا إلى الكلام في كل واحد من حروف القرآن، فيلزم حدوثها وحدوثه، فالذي التزمه من قيام الحوادث بذات الرب لا ينجيه بل يرديه، وهذا آفة التخليط والتطفل على العلوم وعدم الأخذ عن الشيوخ.

كلام واف في أحاديث الصوت

ثم قال: «واذكر حديثا في صحيح محمد ذاك البخاري فيه نداء الله (٢) يوم معادنا بالصوت».

---

(١) فيكون محلا للحوادث، تعالى الله عن ذلك، وابن تيمية تابع الكرامية في ذلك وأربى عليهم في الزيغ بدعوى القدم النوعي في الكلام، مع أنه لا وجود للكلي إلا في ضمن الأفراد، فلا معنى لوصف النوع بالقدم بعد الاعتراف بحدوث كل فرد من أفراده وقد أطال العلامة قاسم بن قطلوبغا الحافظ فيما كتبه على المسايرة الكلام في ذلك فلا نطيل الكلام بما هو في متناول أيدي صغار التلاميذ. والناظم من أتبع الناس لابن تيمية في سخافاته، وقد نقل ابن رجب في طبقاته عن الذهبي في حق ابن تيمية أنه أطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا وجسر هو عليها اهـ، فيدور أمره بين أن يكون مصابا في عقله أو دينه، فتبا لمن يتخذ مثله قدوة.

(٢) إن كان يريد حديث جابر عن عبد الله بن أنيس «يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ... » الحديث، فهو حديث ضعيف علقه البخاري بقوله ويذكر عن جابر دلالة على أنه ليس من شرطه ومداره على عبد الله بن محمد بن عقيل وهو ضعيف باتفاق، وقد انفرد

---

[1] السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٥٧

عنه القاسم بن عبد الواحد وعنه قالوا إنه ممن لا يحتج به. وللحافظ أبي الحسن المقدسي جزء في تبيين وجوه الضعف في الحديث المذكور، وأما إن كان يريد حديث أبي سعيد الخدري «يقول الله يا آدم يقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك ... » الحديث، فلفظ ينادي فيه على صيغة المفعول جزما بدليل «إن الله يأمرك» ولو كان على صيغة الفاعل لكان إني آمرك كما لا يخفى على أن لفظ (صوت) انفرد به حفص بن غياث وخالفه وكيع وجرير وغيرهما فلم يذكروا الصوت، وسئل أحمد عن حفص هذا فقال كان يخلط في حديثه كما ذكره ابن الجوزي، فأين الحجة للناظم في مثله؟ على أن الناظم نفسه خرج في حادي الأرواح – وفي هامشه إعلام الموقعين – (٢ – ٩٧) عن الدار قطني من حديث أبي موسى «يبعث الله يوم القيامة مناديا بصوت يسمعه أوله وآخرهم إن الله وعدهم ... » الحديث، وهذا يعين أن الإسناد مجازي على تقدير ثبوت الحديثين فظهر بذلك أن الناظم متمسك في ذلك بالسراب والمؤلف تساهل في الرد عليه وفي (القواصم والعواصم) لابن العربي ما يقصم ظهر الناظم في (٢ – ٢٩) منه.." (١)

٧٢. "اليوناني بدوام هذا العالم المشهود والأرواح في أزل وليس بفان، واندفع في ذكر النصير الطوسي لعنه الله فهو معذور فيه، لكنه لا فرق بينه وبين القائلين بقدم العالم إلا أنه لا يقول بقدم هذه الأجسام المشاهدة والأرواح وهذه الأجسام والأرواح كالحوادث اليومية التي أجمع كل عاقل على حدوثها، فلو جاء زنديق وقال إنه لم يزل أجسام وأرواح خلقا من قبل خلق وإنه كان قبل هذه السماوات سماوات غيرها لا إلى نهاية، وأرواح غير هذه الأرواح لا إلى نهاية لم يكن بينه وبين هذا الناظم فرق إلا أن هذه في غير ذاته تعالى، وما قاله الناظم، بحدوثه في ذاته سبحانه وتعالى والتسلسل عنده جائز فبم ينكر على الزنديق الذي يدعي ذلك؟ وأي فرق بين قوله وقوله؟ فإن التزم جوازهما فأي فرق بينهما وبين جرم هذه السماء (١)؟ وقوله (تخلف التأثير بعد تمام موجبه) ففيه اعتراضان: أحدها أن المؤثر خلاف الفاعل بالاختيار والله تعالى فاعل بالاختيار والثاني قوله (بعد تمام موجبه) إن أراد الإيجاب الذاتي فهو قول الفلاسفة والله فاعل بالاختيار، ومن ضرورة الفعل بالاختيار تأخر الفعل عن الاختيار، والتأخر يقتضي الحدوث فكيف يتخلص عن هذه اللكنة. [و إن أراد الوجوب عن الله فسياق العبارة ينافيه].

فصل

القول في تجويز التسلسل في الماضي

قال: «فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل قلنا صدقتم وهو ذو إمكان كتسلسل التأثير في مستقبل، وهل بينهما (٢) فرق؟ وأبو علي الجبائي وابنه أبو هاشم والأشعري وابن الطيب الباقلاني وجميع أرباب الكلام

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٦٢

الباطل فرقوا وقالوا ذلك فيما لا يزال حق وفي الأزل ممتنع لأجل تناقض الأزلي والأحداث، فانظر إلى التلبيس في ذا الفرق ترويجا على العوران والعميان ما قال ذو عقل بأن ذا أزلي لذي ذهن ولا أعيان بل كل فرد فهو مسبوق بفرد ونظيره كل فرد ملحوق بفرد فالآحاد تفنى والنوع (٣) لا يفنى أزلا

---

(١) ولعل المصنف لم ير جزء (حوادث لا أول لها) لابن تيمية إذ قوله فيه خطر جدا.

(٢) لو كان الناظم سعى في تعلم أصول الدين عند أهل العلم قبل أن يحاول الإمامة في الدين لبان له الفرق بين الماضي والمستقبل في ذلك، ولعلم أن كل ما دخل في الوجود من الحوادث متناه محصور وأما المستقبل فلا يحدث فيه حادث محقق إلا وبعده حادث مقدر لا إلى غير نهاية بخلاف الماضي كما سبق وسيأتي كلام أبي يعلى وغيره في ذلك.

(٣) عدم فناء النوع في الأزل بمعنى قدمه، وأين قدم النوع مع حدوث أفراده؟ وهذا لا يصدر إلا =." (١)

٧٣. "وأبدا وتعاقب الآنات ثابت في الذهن كذا في العين، فإن قلتم الآنات حادثة فيقال ما ذا تعنون بالآنات؟ هل تعنون مدة من حين إحداث السماوات؟ ونظنكم تعنون ذاك ولم يكن قبلها شيء من الأكوان، هل جاءكم في ذاك من أثر ومن نص ومن نظر ومن برهان؟ إنا نحاكمكم إلى ما شئتم منها أوليس خلق الكون في الأيام أوليس ذلكم الزمان بمدة، فحقيقة الأزمان (١) نسبة حادث لسواه، واذكر حديث السبق بخمسين ألف سنة سابقة، وعرش الرب فوق الماء من قبل السنين بمدة وزمان والحق أن العرش كان قبل القلم والذين لم يقولوا بدوام فعله (٢) عموا عن القرآن والحديث ومقتضى العقول وفطرة الرّحمن والبرهان وأسسوا أصل الكلام وبنوا قواعدهم عليه وقادهم قسرا إلى التعطيل، نفى القيام لكل أمر حادث بالرب خوف تسلسل الأعيان

---

(٣) - ممن به مس بخلاف المستقبل وقد سبق بيان ذلك، وقال أبو يعلى الحنبلي في المعتمد: «والحوادث لها أول ابتدأت منه خلافا للملحدة اهـ». وهو من أئمة الناظم فيكون هو وشيخه من الملاحدة على رأي أبي يعلى هذا فيكونان أسوأ حالا منه في الزيغ نسأل الله السلامة.

الرد على كلام الناظم في الزمان

(١) بل الزمان متجدد معلوم يقدر به متجدد مبهم إزالة لإبهامه عند المتكلمين، وجوهر مجرد عند بعض الفلاسفة، وعرض غير قار الذات عند جمهورهم أو هو الفلك الأعظم أو حركته أو مقدار تلك الحركة

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٧٠

عند طوائف منهم، وقول الناظم لا يطابق واحدا منها والكلام في الزمان والمكان طويل الذيل مبسوط في موضعه، فكأن الناظم يريد أن يقول: إن الزمان كان موجودا قبل هذه السماوات بدليل تلك الأحاديث فلا مانع من وجود حوادث لا أول لها متعاقبة في الماضي في آنات متعاقبة لا أول لها، وهو قول الدهرية نفاة الصانع. فيا ترى ما ذا يريد من كون العرش قبل القلم فإن كان أراد أن يجعل لله عرشا يستقر عليه أزلا إما بقدم العرش قدما نوعيا، كما روى الدواني عن ابن تيمية أو قدما شخصيا لورود «أول ما خلق الله القلم» فحاشاه أن يستقر على عرش استقرار تمكن حادثا كان العرش أو غير حادث. تعالى الله عن هذا وذاك. ولأهل العلم كلام واف في الأحاديث الواردة في أول ما خلق الله تعالى ولا غرض لنا يتعلق بذلك هنا. والعرش هو المخلوق الثالث عند محققي أهل العلم بالحديث.

(٢) القول بدوام فعله تعالى في جانب الماضي قول بحوادث لا أول لها، وقد سبق تسخيف ذلك مرات، قال القاضي أبو يعلى الحنبلي: «لا يجوز وجود موجدات لا نهاية لعددها سواء كانت قديمة أو محدثة خلافا للملحدة، والدلالة عليه أن كل جملة لو ضممنا إليها خمسة أجزاء مثلا لعلم ضرورة أنها زادت، وكذلك عند النقص، وإذا كان كذلك وجب أن تكون متناهية بجواز قبول الزيادة والنقصان عليها، لأن كل ما يأتي فيه الزيادة والنقصان وجب أن يكون متناهيا من جهة العدد اهـ» راجع المعتمد المحفوظ تحت رقم ٤٥ من التوحيد في ظاهرية دمشق وهذا بالنظر إلى الماضي كما سبق فتبا لمن يكون أسوأ حالا في هذه المباحث من أبي يعلى المذكور حاله في دفع شبه التشبيه لابن الجوزي.." (١)

٧٤. "فصل

نصوص عن ابن تيمية في الفوقية الحسية

قال: «ولقد أتانا عشرة أنواع من المنقول في فوقية (١) الرّحمن مع مثلها أيضا يزيد بواحد، ها نحن نسردها بلا كتمان».

أخذ هذا الخلف السوء يذكر ما قاله شيخه في كتاب العرش وكأنه المقصود بهذا النظم فإنه أطال فيه.

قال: «هذا ومن عشرين وجها يبطل التفسير ب (استولى) لذي العرفان قد أفردت بمصنف لإمام هذا الشأن بحر العالم (٢) الحراني».

---

(١) شيخ الناظم يريد بالفوقية الفوقية الحسية كما صرح به فيما رد به على الرازي حيث قال: «إن العرش في اللغة السرير وذلك بالنسبة إلى ما فوقه كالسقف بالنسبة إلى ما تحته، فإذا كان القرآن جعل لله عرشا وليس هو بالنسبة إليه كالسقف علم أنه بالنسبة إليه كالسرير بالنسبة إلى غيره وذلك يقتضي أنه فوق العرش اهـ». ومثل هذه الفوقية لا يقول به إلا مجسم، ونقل البيهقي في مناقب أحمد عن رئيس

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٧١

الحنابلة وابن رئيسها أبي الفضل التميمي أنه قال: «أنكر أحمد على من قال بالجسم وقال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف والله تعالى خارج عن ذلك كله فلم يجز أن يسمى جسما لخروجه عن معنى الجسمية ولم يجيء في الشريعة ذلك فبطل» انتهى.

فالناظم وشيخه متقولان على الشرع وعلى اللغة وعلى إمامهما فضلا عن باقي الأئمة، عاملهما الله بعدله.

(٢) بل هو وارث علوم صابئة حران حقا، والمستلف من السلف ما يكسوها كسوة الخيانة والتلبيس.

وعن هذا الحراني – الذي اتخذه الناظم إماما – يقول ابن حجر في الدرر الكامنة في ترجمته: «واستشعر أنه مجتهد فصار يرد على صغير العلماء وكبيرهم، قديمهم وحديثهم، حتى انتهى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فخطأ في شيء فبلغ الشيخ إبراهيم الرقى الحنبلي فأنكر عليه فذهب إليه واعتذر واستغفر وقال في حق عليّ كرّم الله وجهه أخطأ في سبعة عشر شيئا ثم خالف فيها نص الكتاب، منها اعتداد المتوفى عنها زوجها أطول الأجلين، وكان لتعصبه لمذهب الحنابلة يقع في الأشاعرة حتى إنه سبّ الغزالي فقام عليه قوم كادوا يقتلونه. وذكروا أنه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين فقال: كنزولي هذا، فنسب إلى التجسيم. وافترق الناس فيه شيعا، منهم من نسبه إلى التجسيم لما ذكر في العقيدة الحموية التي ردّ عليها ابن جهبل والواسطية وغيرهما من ذلك، كقوله: إن اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله وإنه مستو على العرش بذاته فقيل له يلزم من ذلك التحيز والانقسام فقال: أنا لا أسلم أن التحيز والانقسام من خواص الأجسام فألزم بأنه يقول بالتحيز في ذات الله تعالى، ومنهم من ينسبه إلى الزندقة لقوله: إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يستغاث به. لأن في ذلك تنقيصا ومنعا من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أشد الناس عليه في ذلك النور البكري، فإنه لما عقد له المجلس =." [1]

٧٥. "..

....

= بسبب ذلك، قال بعض الحاضرين: يعزر فقال البكري: لا معنى لهذا القول فإنه إن كان تنقيصا يقتل وإن لم يكن تنقيصا لا يعزر، ومنهم من ينسبه إلى النفاق لقوله في علي كرّم الله وجهه ما تقدم، ولقوله إنه كان مخذولا حيثما توجه وإنه حاول الخلافة مرارا فلم ينلها وإنما قاتل دون الرئاسة لا للديانة، وأن عثمان رضي الله عنه كان يحب المال. ولقوله أبو بكر رضي الله عنه أسلم شيخا لا يدري ما يقول وعليّ كرّم الله وجهه أسلم صبيا والصبي لا يصح إسلامه على قول. ونسب قوم إلى أنه كان يسعى في الإمامة

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٧٥

الكبرى فإنه كان يلهج بذكر تومرت ويطريه فكان ذلك مؤكدا لطول سجنه وله وقائع شهيرة، وكان إذا حوقق وألزم يقول لم أرد هذا إنما أردت كذا فيذكر احتمالا بعيدا اهـ».

والدرر الكامنة من مخفوظات دار الكتب المصرية وقد طبعت حديثا بمعرفة دائرة المعارف بحيدرآباد الدكن وليس بين هؤلاء من ذكره بالإمامة والقدوة في الدين ومن اتخذه إماما إنما اتخذه إماما في الزيغ والشذوذ من غير أن يتهيب ذلك اليوم الذي يدعى فيه كل أناس بإمامهم، فليعتبر بذلك من ظن أن ابن حجر العسقلاني في صف المثنين على إمامته على الإطلاق. وهذا كلام ابن حجر في هذا الزائغ مع أنه لم يطلع على جميع مخازيه. ومن أثنى عليه من أهل السنة في مبدأ أمره قبل انكشاف الستر عن بدعه الطامة إنما أثنى عليه تشجيعا له على العلم لما كانوا يرون فيه في مبدأ نشأته من القابلية للعلم كما كانوا يفعلون مثل ذلك مع كل ناشئ لكن لما تشعبت هموم ابن تيمية وتوزعت مواهبه في مختلف الأهواء وضاع صوابه بين أمواج البدع التي ارتضاها لنفسه تراجع كل من أثنى عليه من هؤلاء على توالي فتنه بين الأمة وتعاقب أهوائه المخزية وانقلبوا ضده، ولو لا مغامراته في شتى العلوم التي يكفي واحد منها ليختص فيه أذكى العلماء لربما برع في علم يتفرغ له بعزيمة صادقة لكن جنى على نفسه بتشتيت مساعيه وراء أهواء بشعة فأصبح في موضع هزء البارعين كلما اختبروه في علم من العلوم التي يدعي الإمامة فيها ومن أمثلة ذلك أن صفي الدين الأرموي المشهور كان طويل النفس في التقرير إذا شرع في وجه يقرره لا يدع شبهة ولا اعتراضا إلا وقد أشار إليه في التقرير بحيث لا يتم التقرير إلا ويعز على المعترض مقاومته، وكان حضر حينما جمعت العلماء لأجل النظر في المسألة الحموية، ولما عقد المجلس لأجل امتحان ابن تيمية عما أورده في الحموية أخذ الصفي الأرموي يقرر المسألة على طريقته البارعة ليقطع الطرق على ابن تيمية من جميع الوجوه فبدأ ابن تيمية يعجل عليه على عادته ويخرج من شيء إلى شيء على أمل أن ينفق عليه تشغيبه لكن سقط في يده حيث قال له الصفي الأرموي: ما أراك يا بن تيمية إلا كالعصفور حيث أردت أن أقبضه من مكان يفر إلى مكان آخر اهـ. وما ابن تيمية في نظر مثل الأرموي إلا كعصفورة في العلم وإن اتخذه الجهلة الأغرار إماما بأن نبذوا الأئمة المتبوعين وراء ظهورهم حيث راجت عليهم ثرثرته الفارغة، ولا غرو فإن كل ساقطة لاقطة والطير على أشكالها تقع.

والمسألة الحموية هذه تتضمن القول بالجهة وحبس ابن تيمية بعد هذا المجلس بسبب هذه المسألة ونودي عليه في البلد وعلى أصحابه وعزلوا من وظائفهم، وهذه المسألة هي التي ردّ عليها العلامة ابن جهبل ردا مشبعا، وقد علمت بذلك قيمة علم ابن تيمية عند البارعين من أهل العلم. وهاهنا لا بد من التنبيه على شيء وهو أني كنت كتبت فيما علقت على دفع الشبه لابن =." (١)

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٧٦

٧٦. "قول أبي حيان في ابن تيمية

المصنف المذكور هو كتاب العرش لابن تيمية (١) وهو من أقبح كتبه، ولما

= الجوزي في (ص ٤٧): (بل يروي عن نفسه أعني ابن تيمية) أنه نزل درجة وهو يخطب على المنبر في دمشق وقال: «ينزل الله كنزولي هذا» على ما أثبته ابن بطوطة من مشاهداته في رحلته. وقال الحافظ ابن حجر في (الدرر الكامنة): ذكروا أنه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين فقال: «كنزولي هذا» فنسب إلى التجسيم اهـ. وهنا انتهى ما علقته على الموضع المذكور.

وأما ما زاد على ذلك وهو: «ويقول بعض علماء دمشق بأنه رأى هذه الخطبة في مخطوط قديم بزيادة (لا) قبل (كنزولي) والله أعلم. فزيادة من الأستاذ الناشر اعتمادا على ما سمعه من الشيخ بدران الدوماني كأنه لم يكن يعرف مبلغ اجترائه على المجازفات وإرسال الكلام بدون ميزان ولم تكن الجماعة تعتقد أن نزول الله كنزول ابن تيمية حتى يكون لهذا الكلام معنى ما ولأجل ما زيد في كلامي هنا نكت الشيخ خضر الشنقيطي رحمه الله على في (استحالة المعية) وأنا بريء من تلك الزيادة، سامحه الله.

صيغة استتابة ابن تيمية في الاستواء والصوت وخطوط كبار العلماء

(١) وقد استتيب مرات في أمور خطرة وهو ينقض مواثيقه وعهوده في كل مرة وأوردت هنا صورة من صيغ استتابته كما هي مسجلة في (نجم المهتدي) لتكون عبرة للمعتبر وهي هذه:

«الحمد لله. الذي أعتقده أن القرآن معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديمة الأزلية وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت وليس هو حالا في مخلوق أصلا، لا ورق ولا حبر ولا غير ذلك، والذي أعتقده في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)﴾ [طه: ٥] أنه على ما قال الجماعة الحاضرون وليس على حقيقته وظاهره، ولا أعلم كنه المراد به، بل لا يعلم ذلك إلا الله، والقول في النزول كالقول في الاستواء أقول فيه ما أقول فيه، لا أعرف كنه المراد به بل لا يعلم ذلك إلا الله وليس على حقيقته وظاهره كما قال الجماعة الحاضرون، وكل ما يخالف هذا الاعتقاد فهو باطل، وكل ما في خطي أو لفظي مما يخالف ذلك فهو باطل، وكل ما في ذلك مما فيه إضلال الخلق أو نسبة ما لا يليق بالله إليه فأنا بريء منه، فقد برئت منه وتائب إلى الله من كل ما يخالفه. كتبه أحمد بن تيمية، وذلك يوم الخميس سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعمائة.

وكل ما كتبته وقلته في هذه الورقة فأنا مختار في ذلك غير مكره. كتبه أحمد بن تيمية حسبنا الله ونعم الوكيل».

وبأعلى ذلك بخط قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ما صورته: اعترف عندي بكل ما كتبه بخطه في

التاريخ المذكور، كتبه محمد بن إبراهيم الشافعي. وبحاشية الخط: أعترف بكل ما كتب بخطه، كتبه عبد الغني بن محمد الحنبلي، وبآخر خط ابن تيمية رسوم شهادات هذه صورتها: كتب المذكور بخطه أعلاه بحضوري واعترف بمضمونه، كتبه أحمد بن الرفعة. =." (١)

٧٧. "وقف عليه الشيخ أبو حيان (١) ما زال يلعنه حتى مات بعد أن كان يعظمه. قال:

= صورة خط آخر: أقر بذلك، كتبه عبد العزيز النمراوي.

صورة خط آخر: أقر بذلك كله بتاريخه، علي بن محمد بن خطاب الباجي الشافعي.

صورة خط آخر: جرى ذلك بحضوري في تاريخه، كتبه الحسن بن أحمد بن محمد الحسيني.

وبالحاشية أيضا ما مثاله: كتب المذكور أعلاه بخطه واعترف به، كتبه عبد الله بن جماعة.

مثال خط آخر: أقر بذلك وكتبه بحضوري، محمد بن عثمان البوريجي.

وكل هؤلاء من كبار أهل العلم في ذلك العصر، وابن الرفعة وحده له (المطلب العالي في شرح وسيط الغزالي) في أربعين مجلدا وفي ذلك عبر. ولو لا أن ابن تيمية كان يدعو العامة إلى اعتقاد ضد ما في صيغة الاستتابة هذه بكل ما أوتي من حول وحيلة لما استتابه أهل العلم بتلك الصيغة وما اقترحوا عليه أن يكتب بخطه ما يؤاخذ به إن لم يقف عند شرطه، وبعد أن كتب تلك الصيغة بخطه توج خطه قاضي القضاة البدر ابن جماعة بالعلامة الشريفة وشهد على ذلك جماعة من العلماء كما ذكرنا، وحفظت تلك الوثيقة بالخزانة الملكية الناصرية، لكن لم تمض مدة على ذلك حتى نقض ابن تيمية عهوده ومواثيقه، كما هي عادة أئمة الضلال، وعاد إلى دعوته الضالة ورجع إلى عادته القديمة في الإضلال وكم له من فتن في مختلف التواريخ في سني ٦٩٨ و ٧٠٥ و ٧١٨ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٦ وهي مدوّنة في كتب التواريخ وفي كتب خاصة، ومجرد تصور شواذه التي ألممنا ببعضها في هذا الكتاب يدل المسترشد المنصف على ما ينطوي عليه من الزيغ وإضلال الأمة، والله سبحانه ينتقم منه.

والغريب أن أتباع هذا الرجل يسيرون وراءه ويتشبهون به في إثارة القلاقل والفتن بين الأمة بمواجهتها بالحكم على أفرادها بالشرك والزيغ والكفر وعبادة الأوثان والطواغيت، يعنون أحباب الله الأنبياء والأولياء يقولون إن من يزورهم يكون عابد الأوثان والطواغيت ومن هذا الطراز في زمننا كثير نراهم بأعيننا ونسمعهم بآذاننا، طهّر الله الأرض منهم وأراح العباد من شرهم.

(١) قال أبو حيان الأندلسي الحافظ في تفسير قوله تعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقد قرأت في كتاب لأحمد بن تيمية هذا الذي عاصرناه وهو بخطه سماه كتاب العرش «إن الله

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٧٧

يجلس على الكرسي وقد أخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحيل عليه محمد بن عبد الحق وكان من تحيله أنه أظهر أنه داعية له حتى أخذ منه الكتاب وقرأنا ذلك فيه» كما ترى في النسخ المخطوطة من تفسير أبي حيان وليست هذه الجملة بموجودة في تفسير الحبر المطبوع، وقد أخبرني مصحح طبعه بمطبعة السعادة أنه استفظعها جدا وأكبر أن ينسب مثلها إلى مسلم فحذفها عند الطبع لئلا يستغلها أعداء الدين، ورجاني أن أسجل ذلك هنا استدراكا لما كان منه ونصيحة للمسلمين.

وقد علمت العواتق في خدورهن حكاية هجر أبي حيان لابن تيمية لهذا السبب بعد أن كان تسرع في إطرائه، وإطراؤه مدوّن في الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي وأما تقول بعض المداهنين بأنه إنما كان هجره لوقوعه في سيبويه حيث قال: أكان سيبويه نبي النحو وقد غلط في كيت وكيت. فرجم بالغيب أما تصريح أبي حيان صاحب القصة، نعم هذا تهور وقلة أدب من ابن تيمية وما هي قيمة نحوه في جانب استبحار سيبويه وأبي حيان في النحو، وإن كان لكل إمام غلطات معدودة في علمه لكن وقوعه في سيبويه في جنب الوقوع في الله سبحانه ليس =." (١)

٧٨. "ولو أتى بالاستيلاء لم يكن له هذه الطلاوة والحسن، والمراد بالاستواء كمال الملك هو مراد القائلين بالاستيلاء، ولفظ الاستيلاء قاصر عن تأدية هذا المعنى، فالاستواء في اللغة له معنيان أحدهما استيلاء بحق وكمال فيفيد ثلاثة معان ولفظ الاستيلاء لا يفيد إلا معنى واحدا، فإذا قال المتكلم في تفسير الاستواء الاستيلاء مراده المعاني الثلاثة وهو أمر يمكن في حق الله سبحانه وتعالى فالمقدم على هذا التأويل لم يرتكب محذورا ولا وصف الله تعالى بما لا يجوز عليه والمفروض المنزه لا يقدم على التفسير بذلك لاحتمال أن يكون المراد خلافه وقصور أفهامنا عن وصف الحق سبحانه وتعالى مع تنزيهه عن صفات الأجسام قطعا، والمعنى الثاني للاستيلاء في اللغة الجلوس والقعود، ومعناه مفهوم من صفات الأجسام لا يعقل منه في اللغة غير ذلك والله تعالى منزّه عنها، ومن أطلق القعود وقال إنه لم يرد صفات الأجسام قال شيئا لم تشهد به اللغة فيكون باطلا وهو كالمقر بالتجسم (١) المنكر له فيؤاخذ بإقراره ولا يفيد إنكاره واعلم أن الله تعالى كامل الملك أزلا وأبدا، ولكن العرش وما تحته حادث، فإن قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] لحدوث العرش لا لحدوث الاستواء.

فصل

قال: «وثانيها لفظ العلي والأعلى (٢) والعلو بمطلقه عام ونفيه نقص وعلوه فوق

---

(١) والإقرار بتجويز الجسمية بكل صراحة موجود في كلام شيخه فيما ردّ به على الفخر الرازي كما

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٧٨

سبق، بل لصاحب الفرج بعد الشدة الشيخ محمد المنبجي الحنبلي من أخص تلاميذ الناظم رسالة في الرد على من ينفي المماسة بكل وقاحة، وما تخفي صدور هؤلاء أكبر فالمؤمن الرشيد يجب عليه أن يتوقى من الوقوع في هاويتهم والمسألة مسألة كفر وإيمان وسننقل نصوصا من الكتابين المذكورين في مواضع تحذيرا للمغترين.

(٢) العلو ومشتقاته من صفات التنزيه تعالى الله عما يصف به المجسمة، والحمل على علو المكان نزعة وثنية، قال ابن تيمية في التأسيس: «والباري سبحانه وتعالى فوق العالم فوقية حقيقية ليست فوقية الرتبة كما أن التقدم على الشيء قد يقال إنه بمجرد الرتبة كما يكون بالمكان مثل تقدم العالم على الجاهل وتقدم الإمام على المأموم فتقدم الله على العالم ليس بمجرد ذلك بل هو قبلية حقيقية وكذلك العلو على العالم قد يقال إنه يكون بمجرد الرتبة كما يقال العالم فوق الجاهل وعلو الله على العالم ليس بمجرد ذلك بل هو عال عليه علوا حقيقيا وهو العلو المعروف والتقدم المعروف اهـ». فهل يشك عاقل أن ابن تيمية يريد بذلك الفوقية الحسية والعلو الحسي، تعالى الله عما يأفكون، واستعمال العلو ومشتقاته في اللغة العربية بمعنى علو الشأن في غاية من الشهرة رغم تقول المجسمة.." (١)

٧٩. "الخليقة كلها فطرت عليه الخلق» فيقال أسماء الله قديمة فإن لزم من العلى والأعلى كونه فوق جسم لزم قدم العالم والذي فطرت عليه والبديهة التعظيم إلى أعلى غاية.

فصل

كلمة ابن تيمية في العلو والفوقية والرد عليه

قال: «وثالثها صريح الفوق (١) مصحوبا بمن وبدونها أحدهما قابل للتأويل والأصل الحقيقة والمجرور لا يقبل التأويل وأصح لفائدة جليل قدرها إن الكلام إذا أتى بسياقه يبدي المراد أضحى كنص قاطع».

فيقال المجرور أولى بالتأويل لأن قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النّحل: ٥٠] يحتمل أن المراد خوفا من فوقهم وليس في سياق الكلام ما يبدي المراد الذي ادعاه فأين الفائدة؟ والفوقية بمعنى القهر وعلو القدر متفق عليها والجهة هي عين النزاع ويلزم منها قدم الجهة.

فصل

قال: «ورابعها عروج الروح والملائكة في سورتي السجدة والمعارج قالوا هما بزمان وعندي يوم واحد عروجهم فيه إلى الديّان فالألف مسافة نزولهم وصعودهم إلى السماء الدنيا والخمسون ألف من العرش إلى الحضيض الأسفل».

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٨٠

فيقال له في الآيتين ﴿إِلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٨] فعلى قوله يكون الله في مكانين أحدهما في السطح التحتاني من السماء الدنيا لأنه نهاية الألف والثاني في العرش ثم إن المسافة

---

(١) ينص شيخه في كتابه المذكور على أن المراد بالفوقية الفوقية الحسية فكأنه لم يتل في كتاب الله ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] و ﴿وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] والمراد بالفوقية فوقية العزة والقهر والتنزه. «والله فوق ذلك» في حديث الترمذي بمعنى أنه يعلو عن مدارك البشر بدليل ما في سنن الترمذي أيضا من حديث «لو دليتم» قال ابن جهبل: الفوقية ترد لمعنيين: أحدهما نسبة جسم إلى جسم بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل بمعنى أن أسفل الأعلى من جانب رأس الأسفل، وهذا لا يقول به من لا يجسم، وثانيهما بمعنى المرتبة كما يقال الخليفة فوق السلطان والسلطان فوق الأمير، وكما يقال: جلس فلان فوق فلان والعلم فوق العمل والصياغة فوق الدباغة. قال تعالى: ﴿ورَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزّخرف: ٣٢] ولم يطلع أحدهم فوق أكتاف الآخر وقال تعالى عن القبط: ﴿وإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] وما ركبت القبط أكتاف بني إسرائيل ولا ظهورهم اهـ. فظهر بذلك بطلان التمسك بكلمة فوق في الآيات والأحاديث في إثبات الجهة له تعالى الله عن مزاعم المجسمة.." (١)

٨٠. "جوابه: إن القلب متوجه إلى الرب العالي قدرا وقهرا على كل شيء والإشارة إلى جهة العلو التي هي محل ملكه وسلطانه وملائكته والعليين عن خلقه، وقبلة دعائه ومنزل وحيه وهكذا رفع (١) الأيدي في الدعاء.

فصل

قال: «وثاني عشرها وصفه تعالى بالظاهر وفسر في الحديث (أنت الظاهر فليس فوقك شيء)».

يقال لهذا المدبر إن كان الظاهر يقتضي الفوقية الحسية فاسم الباطن يقتضي التحتية الحسية – تعالى الله.

فصل

دعوى الناظم في الرؤية بدون مقابلة

قال: «وثالث عشرها إخباره أنا نراه في الجنة وهل نراه إلا من فوقنا (٢) ودعوى

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٨١

=كيف يشاء في أثناء خطبته. وجعل ذلك حجة في شيء لا يصدر إلا ممن في قلبه مرض على أن الأرض كرية فالواقف في شرق الأرض تكون أخمصه في مقابلة أخمص الواقف في غرب الأرض، ومن ضرورة ذلك أن يكون سمتا رأسيهما إلى جهتين متعاكستين فتكون إشارة أحدهما إلى جهة تعاكس الجهة التي يشير إليها الآخر، وهكذا، وكرية الأرض منصوصة في الكتاب والسنة كما في فصل ابن حزم والمنكر لذلك ليس بمنكر لقول أهل الهيئة فقط، ولا للمحسوس فقط. ونسي الناظم الاستدلال في هذا الصدد بالإشارة في التشهد؟!

(١) ورفع الأيدي إلى السماء لأجل أن السماء منزل البركات والخيرات لأن الأنوار إنما تنزل منها والأمطار، وإذا ألف الإنسان حصول الخيرات من جانب مال طبعه إليه فهذا المعنى هو الذي أوجب رفع الأيدي إلى السماء وقال الله تعالى: ﴿وفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ومَا تُوعَدُونَ (٢٢)﴾ [الذّاريات: ٢٢] ذكره ابن جهبل فيما رد به على العقيدة الحموية لابن تيمية وهذا الرد يحق أن يكتب بماء الذهب، ومن حاول الرد عليه من الحشوية فقد وقع على أم رأسه وكتاب ابن جهبل حقه أن يفرد بالطبع من طبقات ابن السبكي – ونسخة مخطوطة من كتاب ابن جهبل هذا توجد بمكتبة (لاله لى) باسطنبول.

(٢) قال: «إذ رؤية لا في مقابلة من الرائي محال ليس في الإمكان». وهذا صريح في أنه لا يرى رؤية لا يكون المرئي فيها في مقابلة الرائي فلا يكون أصرح من هذا في القول بالتجسيم ومن جملة ما يهذي به الناظم في شفاء العليل (١٥٩): «كيف يصح عند ذي عقل، مرئي يرى بالأبصار عيانا لا فوق الرائي ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه ولا أمامه» اهـ وهذا مثل ما هنا وهو من أبعد الناس عن نفي الرؤية فيكون مجسما صريحا، ورؤية الله كما يرى القمر في ليلة البدر يقول عنها ابن قتيبة في (الاختلاف في اللفظ) لم يقع التشبيه فيها على =." (١)

٨١. "سواها مكابرة ولذا قال محقق منكم للمعتزلة ما بيننا خلف فاحملوا معنا على المجسمة إذ قالوا يرى كما يرى القمران فيلزمهم العلو وليس فوق العرش رب هذا الذي والله مودع كتبهم».

ينبغي أن يحضر هذا النحس ويلزم بأن يخرج من كتبهم أنه ليس فوق العرش رب ولن يجده في كتبهم أبدا وتوهمه أنه لا يرى إلا من فوق لقصور عقله. ونقله اتفاقنا مع المعتزلة لعدم فهمه بل بيننا وبينهم وفاق وخلاف فقوله: ما بيننا وبينكم خلف كذب علينا.

فصل

بسط الكلام في السؤال ب «أين» في حديث الجارية

قال: «ورابع عشرها أين الله في كلام النبي صلى الله عليه وسلم في حديث معاوية بن الحكم وفي تقريره

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٨٤

لمن سأله رواه أبو رزين».

أقول: أما القول فقوله صلى الله عليه وسلم للجارية «أين (١) الله؟ قالت: في السماء» وقد تكلم

= حالات القمر من التدوير والمسير والحدود وغير ذلك وإنما وقع التشبيه في أن إدراكه يوم القيامة كإدراكنا القمر ليلة البدر لا يختلف في ذلك كما لا يختلف في هذا، والعرب تضرب بالقمر المثل في الشهرة والظهور اهـ فعار على الناظم وشيخه أن يغيب عنهما ما لم يغب عن مثل ابن قتيبة، لكن الهوى يعمي ويصم، وكلامهما ينبئ عن تشبيه المرئي بالمرئي بل عادة ابن تيمية تهوين شأن التشبيه حتى تجده يقول فيما ردّ به على الرازي (٢٤ – الكواكب) «ليس في كتاب الله ولا سنّة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين ولا الأكابر من أتباع التابعين ذم المشبهة وذم التشبيه ونفي مذهب التشبيه ونحو ذلك وإنما اشتهر ذم هذا من جهة الجهمية اهـ» كأنه لم يتل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشّورى: ١١] وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النّحل: ١٧] وهو الذي يروي عن ابن راهويه في موضع آخر من ذلك الكتاب «من وصف الله فشبّه صفاته بصفات أحد من خلقه فهو كافر بالله العظيم» ويروى أيضا مثله عن نعيم بن حماد في موضع آخر وهو من أئمتهم بل يروى عن الإمام أحمد نفسه «لا يشبهه شيء من خلقه» في موضع آخر من كتابه المذكور وهذا مما يدل على وقاحته البالغة وقلة دينه، وهل أدل على قلة عقل الرجل من تناقضه في كتاب واحد؟ والله ينتقم منه.

(١) وراوي هذا الحديث عن ابن الحكم هو عطاء بن يسار وقد اختلفت ألفاظه فيه ففي لفظ له «فمدّ النبي صلى الله عليه وسلم يده إليها وأشار إليها مستفهما من في السماء ... » الحديث، فتكون المحادثة بالإشارة على أن اللفظ يكون ضائعا مع الخرساء الصماء فيكون اللفظ الذي أشار إليه الناظم والمؤلف لفظ أحد الرواة على حسب فهمه لا لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم. ومثل هذا الحديث يصح الأخذ به فيما يتعلق بالعمل دون الاعتقاد، ولذا أخرجه مسلم في باب تحريم الكلام في الصلاة – =."
(١)

.٨٢ "..
....

= الشيخ عبد القادر – وهم الجمهور – يبرءونه من تلك البدع ويعدونها مدسوسة في كتبه ولا يوجد بين أهل الحق من يعترف له بالصلاح مع فرض ثبوت تلك المخازي عنه، فعلى فرض ثبوتها عنه فلا

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٨٥

حب ولا كرامة، ومخارق حفيده عبد السلام المتربي لديه تدعو الباحث إلى غاية من الاحتياط في حقه، وقد أشار الحافظ أبو شامة المقدسي في ذيل الروضتين إلى ما جرى بينه وبين أبي الفرج ابن الجوزي الحنبلي والوزير العالم ابن يونس الحنبلي نسأل الله السلامة. وبين المتصوفة من يلهج كثيرا بمرتبة الإطلاق ومراتب التنزل في المظاهر أخذا من مذهب السالمية لكن أئمة أصول الدين ليسوا على تصديق التجلي في الصور الذي يقول به هؤلاء بل يعدون ذلك والحلول على حد سواء، فمن حاول الجمع بين أقوال المتكلمين والمتصوفة والحكماء والحشوية في ذلك كالبرهان الكوراني فإنما حاول المحال والانسلاخ من قيد العقل والنقل معا، نسأل الله العافية، وليس بقليل بين الأئمة من جاهر بإكفار القائلين بالجهة كما نقلت نص ذلك من شرح مشكاة المصابيح للعلامة ناصر السنة علي القاري فيما علقته على «دفع شبه التشبيه» لابن الجوزي (ص ٥٧) وشأن من يخاف الله سبحانه أن ترتعد فرائصه في موطن جاهر فيه بعض الأئمة المتبوعين في أصول الدين؛ بالإكفار.

بسط الكلام في رد القول بالجهة

ولم يرد لفظ الجهة في حديث ما بل قال أبو يعلى الحنبلي في «المعتمد في المعتقد»: ولا يجوز عليه الحد ولا النهاية ولا قبل ولا بعد ولا تحت ولا قدّام ولا خلف لأنها صفات لم يرد الشرع بها وهي صفات توجب المكان اهـ ولعله آخر مؤلفاته بدليل أن امتحانه في الصفات كان سنة ٤٢٩ قبل وفاته بنحو ثلاثين سنة فمن أثبت له تعالى جهة فقد أثبت له أمثالا وأشباها مع أنه لا مثل له ولا شبيه له تعالى، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشّورى: ١١] وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النّحل: ١٧] فلعائن الله على من يثبت له تعالى ما لم يثبت له الكتاب ولا السنة من الجهة ونحوها، وأما ابن رشد الحفيد ففيلسوف ظنّين يسعى في إثارة وجوه من التشكيك حول آراء المتكلمين من أهل السنة لينتقم منهم بسبب ردودهم على الفلاسفة إخوانه ولا سيما من أبي المعالي الجويني وأبي حامد الغزالي، فمن طالع فصل المقال ومناهج الأدلة لابن رشد وخاصة في بحث قدم العالم قدما زمانيا وعلم الله بالجزئيات والبعث الجسماني يتيقن ما قلنا في حقه على أنه يقول في فصل المقال (ص ١٣): إن هاهنا ظاهرا من الشرع لا يجوز تأويله، فإن كان تأويله في المبادي فهو بدعة، وهاهنا أيضا ظاهر يجب على أهل البرهان تأويله وحملهم إياه على ظاهره كفر في حقهم، وتأويل غير أهل البرهان له وإخراجه عن ظاهره كفر في حقهم. ومن هذا الصنف آية الاستواء وحديث النزول اهـ.

وهذا الكلام يهد على رأس ابن تيمية وتلميذه ما يريدان أن يبنيا على كلامه ولو علما مغزى كلامه لأبيا كلا الإباء أن يحوما حول كلامه في مثل هذه الأبحاث. فما يكون كفرا في حق طائفة عند ابن رشد يكون إيمانا في حق طائفة أخرى عنده وبالعكس وهذا هو الذي يحتج ابن تيمية في التأسيس

وغيره بقوله في الجهة من غير أن يعقل مغزى كلامه الطويل في مناهج الأدلة. وأما ما وقع في كلام ابن أبي زيد وابن عبد البر مما يوهم ذلك فمؤول عند محققي =." (١)

٨٣. "..

....

= المالكية ولو كان ابن عبد البر لم يكتف بالطلمنكي في أصول الدين ورحل إلى الشرق كالباجي لم يقع في كلامه ما يوهم ولم يقع ذكر الجهة في حق الله سبحانه في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا في لفظ صحابي أو تابعي ولا في كلام أحد ممن تكلم في ذات الله وصفاته من الفرق سوى أقحاح المجسمة وأتحدى من يدعي خلاف ذلك أن يسند هذا اللفظ إلى أحد منهم بسند صحيح فلن يجد إلى ذلك سبيلا فضلا عن أن يتمكن من إسناده إلى الجمهور بأسانيد صحيحة، وأول من وقع ذلك في كلامه ممن يدعي الانتماء إلى أحد الأئمة المتبوعين – فيما أعلم – هو أبو يعلى الحنبلي المتوفى سنة ٤٥٨ حيث قال عند إثباته الحد له تعالى في كتابه (إبطال التأويلات لأحاديث الصفات): «إن جهة التحت تحاذي العرش بما قد ثبت من الدليل والعرش محدود فجاز أن يوصف ما حاذاه من الذات أنه حد وجهة له وليس كذلك فيما عداه لأنه لا يحاذي ما هو محدود بل هو مار في اليمنة واليسرة والفوق والأمام والخلف إلى غير غاية فلذلك لم يوصف واحد من ذلك بالحد والجهة وجهة العرش تحاذي ما قابله من جهة الذات ولم تحاذ جميع الذات لأنه لا نهاية لها اهـ». تعالى الله عما يقول المجسمة علوا كبيرا وهو عين ما ينسب إلى المانوية الحرانية من تلاقي النور من جهة الأسفل مع الظلمة وعدم تناهيه من الجهات الخمس – سبحانك ما أحلمك – ثم تابعه أناس من الحنابلة في نسبة الجهة إلى الله سبحانه منهم أبو الحسن علي بن عبيد الله الزاغوني الحنبلي المتوفى سنة ٥٢٧ ووقع بعده في غنية الشيخ عبد القادر وقد سبق رده، وإثبات ذلك له تعالى ليس بالأمر الهين عند جمهور أهل الحق بل قال جمع من الأئمة إن معتقد الجهة كافر كما صرح به العلم العراقي، وقال إنه قول أبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني اهـ فانظر قول ابن تيمية في التسعينية (ص ٣): أما قول القائل، الذي نطلب منه أن ينفي الجهة عن الله والتحيز فليس في كلامي إثبات لهذا اللفظ لأن إطلاق هذا اللفظ نفيا وإثباتا بدعة اهـ، وهذه مغالطة، فإن ما لم يثبته الشرع في الله فهو منفي قطعا، لأن الشرع لا يسكت عما يجب اعتقاده في الله، وقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشّورى: ١١] نص في نفي الجهة عنه تعالى إذ لو لم تنف عنه الجهة لكانت له أمثال لا تحصى، تعالى الله عن ذلك – ثم انظر قوله في منهاجه (١ – ٢٦٤): فثبت أنه في الجهة على التقديرين اهـ» لتعلم كيف رماه الله بقلة الدين وقلة الحياء في آن واحد.

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٩٠

وأما ما ينقله الذهبي وغيره من الحشوية من تفسير القرطبي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] من أنه قال: وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله فتساهل منه في العبارة، فإنه لم يرد لفظ الجهة في عبارة السلف ولا في كتاب الله، ولو أراد ورود هذا اللفظ لكذبه كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم والآثار المروية عن السلف لأن الوارد لفظ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] و ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] ونحو ذلك بدون تعرض للتكييف بالجهة، وهكذا الوارد في السنة وآثار السلف ويعين قوله «كما نطق به كتابه» أن مراده الفوقية والعلو بلا كيف وذكر الجهة سبق قلم منه فلا يكون =." (١)

٨٤. "........

= «متى اختص بجهة يكون في مكان وحيز فيلزم الحركة والسكون اهـ» وهو القائل أيضا في (التذكار في أفضل الأذكار) ص ١٣: «يستحيل على الله أن يكون في السماء أو في الأرض إذ لو كان في شيء لكان محصورا أو محدودا ولو كان ذلك لكان محدثا وهذا مذهب أهل الحق والتحقيق اهـ».

تناقض ابن تيمية في الجهة وكذبه

وفي (ص ٢٠٧) من الكتاب المذكور: «ثم متبعو المتشابه لا يخلو اتباعهم من أن يكون لاعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما يوهم ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا أن البارئ تعالى جسم مجسّم وصورة مصوّرة ذات وجه وغير ذلك من يد وعين وجنب وإصبع، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، والصحيح القول بتكفيرهم إذ لا فرق بينهم وبين عبّاد الأصنام والصور، ويستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا كما يفعل بمن ارتد. اهـ».

فبذلك تبين أن تمسك الحشوية بقول القرطبي السابق من قبيل الاستجارة من الرمضاء بالنار وبه يظهر مذهب المالكية فيمن يقول بذلك كما يظهر قول الشافعية فيه من كفاية الأخيار للتقي الحصني، حيث قال فيها بعد أن أشار إلى كلام الرافعي في كتاب الشهادات: «جزم النووي في صفة الصلاة من شرح المهذب بتكفير المجسمة.

قلت: وهو الصواب الذي لا محيد عنه اهـ».

ومن حذّاق النظار من استدل على بطلان القول بالجهة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١] باعتبار أن فيه استدلالا على بطلان التعدد ببطلان لازمه الذي هو

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٩١

انحياز الإله إلى جهة. راجع شعب الإيمان للحليمي. وفي الإكمال شرح مسلم للقاضي عياض «ثم من صار من دهماء الفقهاء والمحدثين وبعض متكلمي الأشعرية وكافة الكرامية إلى الجهة أول (في) ب (على). ومن أحال ذلك – وهم الأكثر – فلهم فيها تأويلات ... وقد أجمع أهل السنة على تصويب القول بالوقف من التفكر في ذاته تعالى لحيرة العقل هنالك، وحرمة التكييف. والوقف في ذلك غير شك في الوجود ولا جهل بالموجود فلا يقدح في التوحيد بل هو حقيقته. وقد تسامح بعضهم في إثبات جهة تخصه تعالى أو أشار إليه بحيز يحاذيه، وهل بين التكييفين – أي التكييف المحرم إجماعا والتكييف بالجهة – فرق؟! وبين التحديد في الذات والجهة فرق؟! وقد أطلق الشرع أنه القاهر فوق عباده وأنه استوى على العرش فالتمسك بالآية الجامعة للتنزيه الكلي الذي لا يصح في العقل غيره وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشّورى: ١١] «عصمة لمن وفقه الله تعالى» اهـ. وقد تعقبه الأبي تعقبا شديدا، وقال ما نسب من القول بالجهة إلى الدهماء ومن بعدهم من الفقهاء والمتكلمين لا يصح ولم يقع إلا لأبي عمر في الاستذكار والتمهيد ولابن أبي زيد في الرسالة وهو عنهما متأول. ثم نقل عن الفقهاء التونسيين كابن عبد السلام وابن هارون والفاسيين كالسطي وابن الصباغ اتفاقهم على إنكار ذلك في مجلس الأمير أبي الحسن ملك المغرب. راجع شرح مسلم (٢ – ٢٤١) للأبي. أقول: إنما ذكر القاضي عياض من صار من الدهماء إلى القول بالجهة وأين في ذلك نسبة ذلك =." (١)

٨٥. "وأبو الوليد [ابن رشد الفيلسوف] وأبو العباس (١) الحراني [ابن تيمية] وله اطلاع، لم

= إلى الدهماء على أن لفظ الجهة لم يقع في كلام أبي عمر ولا في كلام ابن أبي زيد وإن كان ظاهر كلامهما يوهم ذلك وقد تأول كلامهما المالكية ليكونا مع الجمهور في هذه المسألة الخطرة ولو ترك كلامهما على الظاهر لهويا في هاوية التجسيم وذلك عزيز عليهم أيضا، وقول القاضي عياض ليس يشمل المشارقة حيث لم يرحل إلى الشرق وإنما قوله بالنظر إلى معنى كلام بعض الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من أهل بلاده من أصحاب الطلمنكي وابن أبي زيد وأبي عمر بل لا أذكر وقوع لفظ الجهة في كلام أحد منهم، وإنما جرى ابن رشد الفيلسوف في المناهج على التساهل بذكر ما لم يجر على لسانهم باعتباره معنى كلامهم كما سبق، والحاصل أن التكييف غير جائز إجماعا – ويمكن جمع جزء في الآثار الواردة في المنع من التكييف والتشبيه – ولا شك أن القول بالجهة تكييف لم يقع إلا في عبارات أناس هلكى، وأما تأويل القائلين بالجهة ما يوهم كونه في السماء بمعنى على السماء، كما ذكر القاضي عياض، فلا ينجيهم من ورطة التجسيم لأن (في) في قوله تعالى: ﴿ولَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] لم تزل تفيد تمكين المصلوب في الجذع كتمكين المظروف في الظرف، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٩٢

سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١] فحمل لفظ (في) على معنى (على) لا يجدي في الإبعاد عن التمكن وإنما التأويل الصحيح ما أشار إليه الباجي من استعمال العرب لفظ «هو في السماء» يعنون علو شأنه ورفعة منزلته بدون ملاحظة كونه في السماء أصلا كقول الشاعر:

علونا السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا

وظاهر أنه لم يرد إلا علو الشأن. وليس قوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] من هذا القبيل بل الظاهر أن المراد خاسف سدوم وعد «في السماء» بمعنى على السماء ثم جعل على السماء بمعنى «على العرش» باعتبار أن السماء مأخوذة من السمو، غفلة عن شمولها للسقف والسحاب على هذا التقدير غير المتبادر وتخصيصها بالعرش عن هوى مجرد كما لا يخفى. وفيما ذكرناه كفاية لأهل التبصر.

مخالفات ابن تيمية

(١) يوجد من يذكره بلقب شيخ الإسلام - وللمبتدعة افتتان بهذا التلقيب لزعمائهم - إيهاما للضعفاء في العلم أن ما يدعو إليه هذا الزائغ هو الإسلام الصحيح ويخاف على من يستمر على تلقيبه به بعد أن عرف مخالفاته لشرع الإسلام ومن ذكره بهذا اللقب من أهل السنة إنما ذكره قبل أن يجاهر ذلك المبتدع ببدعه المعروفة، وأما من استمر على هذا التلقيب من المتأخرين فإنما استمر جهلا ببدعه التي نقلناها من أوثق المصادر أو ظنا من أنه تاب وأناب وحافظ على عهوده وقد توسعنا في بيان ذلك فيما علقناه على ذيول طبقات الحفاظ. على ترجمة العلاء البخاري فليراجع هناك، ولعل في كتبنا ولا سيما في هذا الكتاب ما يقنع المنصف في أمر هذا الزائغ. ومما قال المصنف في حقه في فتاويه (٢ - ٢١٠) في أثناء رده على فتيا له في الوقف: «وهذا الرجل كنت رددت عليه في حياته في إنكاره السفر لزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي إنكاره وقوع الطلاق إذا حلف به ثم ظهر لي من حاله ما يقتضي أنه ليس ممن يعتمد عليه في نقل ينفرد به لمسارعته إلى النقل لفهمه - كما في هذه المسألة - ولا في بحث ينشئه لخلطه المقصود بغيره =." (١)

٨٦. "ابن حنبل الرضى الشيباني ولأي شيء كان أيضا خصمكم شيخ الوجود العالم الحراني (١)».

---

(١) ونحن معاشر أهل الحق لا نبالي بعداء مثله من المبطلين ولا تزال تطن في آذان رواد الحقائق شواذ ابن تيمية السخيفة باطلاعهم عليها في مؤلفاته نفسه وفيما رواه ثقات أهل العلم عنه وكلمته فيما رد به على الرازي في المجلد رقم ٢٥ من الكواكب الدراري بظاهرية دمشق حيث قال: «لو شاء لاستقر

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٩٣

على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته فكيف على عرش عظيم» آية من آيات خرقه وحمقه فليصادق من شاء من الخرقى مثله على عدائه لأهل الحق والمراسيم الملكية الصادرة في حقه بعد محاكمته أمام جماعة كبار العلماء في عصره مسجلة في كتب التاريخ وكتب خاصة مثل عيون التواريخ ونجم المهتدي ودفع الشبه وغيرها، ولا بأس أن أسجل هنا صورة منها بالنقل من خط الحافظ شمس الدين بن طولون وهي كما رأيتها بخطه رحمه الله: «نسخة مثال شريف سلطاني ملكي تاريخه ثامن عشري رمضان سنة ٧٠٥.

أحد المراسيم الصادرة في حق ابن تيمية

الحمد لله الذي تنزّه عن الشبيه والنظير، وتعالى عن المثال فقال: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشّورى: ١١] نحمده على أن ألهمنا العمل بالسنة والكتاب ورفع في أيامنا أسباب الشك والارتياب، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يرجو بإخلاصه حسن العقبى والمصير ونزّه خالقه عن التحيز في جهة لقوله تعالى: ﴿وهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي نهج سبيل النجاة بما سلك طريق مرضاته وأمر بالتفكر في آلائه ونهى عن التفكر في ذاته – صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين علا بهم منار الإيمان – ورفع وشيد بهم قواعد الشرع وما شرع، وأخمد بهم كلمة من حاد عن الحق ومال إلى البدع. وبعد، فن العقائد الشرعية وقواعد الإسلام المرعية وأركان الإيمان العلية ومذاهب الدين المرضية هي الأساس الذي يبنى عليه والموئل الذي يرجع كل أحد إليه والطريق الذي من سلكها فقد فاز فوزا عظيما، ومن زاغ عنها فقد استوجب عذابا أليما، فلهذا يجب أن تنفذ أحكامها ويؤكد دوامها وتصان عقائد هذه الملة عن الاختلاف وتزان بالائتلاف وتخمد نوائر البدع ويفرق من فرقها ما اجتمع، وكان التقي ابن تيمية في هذه المدة قد بسط لسان قلمه ومدّ عنان كلمه وتحدث في مسائل الصفات والذات، ونص في كلامه على أمور منكرات وتكلم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون وفاه بما تجنبه السلف الصالحون وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام وانعقد على خلافه إجماع العلماء والحكام، وشهر من فتاويه ما استخف به عقول العباد وخالف في ذلك فقهاء عصره وعلماء شامه ومصره وبعث برسائل إلى كل مكان وسمّى فتاواه بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان فلما اتصل بنا أنه صرح في حق الله بالحرف والصوت والتجسيم، قمنا في الله مشفقين من هذا النبأ العظيم. وأنكرنا هذه البدعة وعزّ علينا أن يشيع عمن تضم ممالكنا هذه السمعة، وكرهنا ما فاه به المبطلون، وتلونا قوله سبحانه وتعالى عما يصفون، فإنه جلّ جلاله تنزّه في ذاته وصفاته عن العديل والنظير ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)﴾

[الأنعام: ١٠٣] وتقدمت مراسيمنا باستدعاء التقي ابن تيمية إلى أبوابنا عند ما سارت فتاواه في شامنا ومصرنا، وصرّح فيها بألفاظ =." (١)

٨٧. "..
....

= ما سمعها ذو فهم إلا وتلا ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤] ولما وصل إلينا تقدمنا بجمع أولي العقد والحل وذوي التحقيق والنقل وحضر قضاة الإسلام وحكام الأنام وعلماء الدين، وفقهاء المسلمين وعقدوا له مجلس شرع في ملأ من الأئمة وجمع، فثبت عند ذلك جميع ما نسب إليه بمقتضى خط يده الدال على سوء معتقده، وانفصل ذلك الجمع وهم عليه وعلى عقيدته منكرون وآخذوه بما شهد به قلمه قائلين ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ ويُسْئَلُونَ﴾ [الزّخرف: ١٩] وبلغنا أنه استتيب مرارا فيما تقدم وأخره الشرع لما تعرض إليه وأقدم ثم عاد بعد منعه ولم تدخل تلك النواهي في سمعه ولما ثبت عليه ذلك في مجلس الحكم العزيز المالكي حكم الشرع الشريف أنه يسجن هذا المذكور ويمنع من التصرف والظهور، ومن يومنا هذا نأمر بأن لا يسلك أحد مسلك المذكور من المسالك، وننهي عن التشبه به في اعتقاده مثل ذلك، أو يعود له في هذا القول متبعا أو لهذه الألفاظ مستمعا، وأن يسري في التجسيم مسراه، أو يفوه بحد العلو مخصصا كما فاه أو يتحدث إنسان في صوت أو حرف أو يوسع القول في ذات أو وصف أو ينطق بتجسيم أو يحيد عن الصراط المستقيم أو يخرج عن رأي الأئمة وينفرد به عن علماء الأمة أو يحيز الله تعالى في جهة أو يتعرض إلى حيث وكيف، فليس لمن يعتقد هذا المجموع عندنا إلا السيف، فليقف كل واحد على هذا الحد، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وليلزم كل الحنابلة بالرجوع عما أنكره الأئمة من هذه العقيدة والخروج من هذه التشبهات الشريدة ولزوم ما أمر الله به والتمسك بأهل المذاهب الحميدة، فإنه من خرج عن أمر الله فقد ضلّ سواء السبيل، وليس له غير السجن الطويل مستقرا ومقيلا، فقد رسمنا أن ينادي في دمشق المحروسة والبلاد الشامية وتلك الجهات مع النهي الشديد والتخويف والتهديد أن لا يتبع التقي ابن تيمية في هذا الأمر الذي أوضحناه، ومن تابعه منهم تركناه في مثل مكانه وأحللناه ووضعناه عن عيون الأمة كما وضعناه، ومن أعرض عن الامتناع وأبى إلا الدفاع أمرنا بعزلهم من مدارسهم ومناصبهم وإسقاطهم من مراتبهم، وأن لا يكون لهم في بلادنا حكم ولا قضاء ولا إمامة ولا شهادة ولا ولاية ولا إقامة، فإننا أزلنا دعوة هذا المبتدع من البلاد وأبطلنا عقيدته التي ضلّ بها العباد أو كاد، ولتثبت المحاضر الشرعية على الحنابلة بالرجوع عن ذلك ولتسير إلينا المحاضر بعد إثباتها على قضاة الممالك، فقد أعذرنا حيث أنذرنا، وأنصفنا حيث حذرنا، وليقرأ مرسومنا هذا على

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٠١

المنابر ليكون أبلغ واعظ وزاجر وأجمل ناه وآمر، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه، الحمد لله، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم».

انتهى ما رأيته بخط الحافظ ابن طولون في المجموعة الحسبية التي كان فيها الدرة المضية والمقالة في الرد على من ينكر الزيارة المحمدية للتقي الأخنائي والاعتبار في بقاء الجنة والنار ودفع شبه من شبه وتمرد وغيرها، ونص المرسوم المقروء على الجمهور على منبر جامع القاهرة بعد صلاة الجمعة وعلى منبر جامع الفسطاط بعد العصر سلخ رمضان مدوّن في نجم المهتدي لابن المعلم القرشي. وما قرئ على منبر جامع دمشق بعد وصول ابن صصرى القاضي من مصر به في اليوم السادس عشر من شهر ذي القعدة سنة سبعمائة وخمس مدوّن في دفع الشبه للتقي الحصني وما نقلناه هنا من المراسيم التي قرئت على منابر البلاد الشامية وألفاظ تلك المراسيم كلها متقاربة في المعنى وفي ذلك كله عبر بالغة، فما ذا علينا من عداء مثل هذا =." (١)

٨٨. "السماء لرغبتي ولرهبتي أدعوه كل أوان، فأقره الهادي البشير صلى الله عليه وسلم ولم يقل أنت المجسم قائل مكان واذكر شهادته لمن قال ربي في السماء (١) بالإيمان وشهادة المعطل له بالكفران، وحديث (٢) الأطيط، وحديث النزول (٣) وحديث (٤) ابن رواحة،

= العالمين في السماء فحصين الخزاعي في كفره يومئذ كان أعلم بالله من المريسي وأصحابه ...
وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء وحدّوه بذلك .. وكل أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية اهـ» راجع معقول ابن تيمية في هامش منهاجه (٢ - ٣٠) تجده ينقل ذلك عنه بنصه وفصه بدون استنكار، والناظم أتبع له من ظله في كل صغير وكبير ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النّور: ٤٠] وعثمان الدارمي هذا مجسم قح كما ترى وهو إمام الناظم وشيخه وإسلام عمران بن حصين أيام خيبر وهذه المحادثة وقعت قبل الهجرة وحصين مشرك ولا يكون من التقرير في شيء ما يشاهده النبي صلى الله عليه وسلم في المشرك وسكت عليه، وكيف يتصور عاقل أنه أقره على ما يدّعيه الناظم؟ إذ من المحال أن يقره على ستة في الأرض، على أن عرضه الإسلام يدل على استنكار ما قاله حصين وعلى أنه كان على شر وضلال فيما قال، وشبيب بن شيبة ضعفه النسائي وغيره وبمثل هذا السند لا يستدل في الأعمال فضلا عن الاستدلال به في المعتقد، وأما ما أخرجه ابن خزيمة في التوحيد فبلفظ آخر زيد فيه كلمة إنقاذا للموقف لكن في سنده عمران بن خالد وحاله أسوأ من أن يقال: إنه ضعيف بل هو مكشوف الأمر والروايتان مختلفتان فلا تجمعان ولا تلفقان ولا ينقذ هذا الموقف بمثل ذلك الترقيع، فليتق الناظم رب العالمين من أن يسوق في صفات الله سبحانه أمثال تلك الروايات.

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٠٢

(١) وليس في رواية يحي الليثي عن مالك لفظ «فإنها مؤمنة» في حديث الجارية وقد سبق بيان اضطراب هذا الحديث سندا ومتنا وعدم صلاحية مثله للاحتجاج إلا في الأعمال دون المطالب الاعتقادية وقد حمل الشريف الجرجاني لفظ «أين» في الحديث على السؤال الاستكشافي، ومن أهل العلم من قال إن العامي الذي يعلو عن مداركه التنزيه عن المكان يؤخذ بالرفق ويعذر لهذا الحديث بخلاف من عنده بعض إلمام بالعلم، وجعل ابن رشد الحفيد لصاحب البرهان شأنا غير شأن العامي في ذلك، وقد سبق بسط ذلك كله.

(٢) قال الذهبي في كتاب العلو: لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت اهـ. وقد ألّف الحافظ أبو القاسم بن عساكر جزءا سماه (بيان التخليط في حديث الأطيط) بيّن فيه وجوه التخليط في روايات الأطيط فلا حاجة لتكلف التأويل بعد ثبوت بطلان تلك الروايات.

(٣) وقد سبق بيان ما فيه كفاية في هذا الصدد فلا نعيد الكلام بدون موجب.

الشعر المنسوب إلى ابن رواحة

(٤) يشير به إلى ما ينسب إلى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه من أنه أنشد:

شهدت بأنّ وعد الله حقّ ... وأن النار مثوى الكافرينا

وأنّ العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا

إيهاما لامرأته أنه يتلو القرآن دفعا لما اتهمته به من نيله جارية له حتى قالت زوجته آمنت بالله وكذبت عيني اهـ وهذه قصة تذكر في كتب المحاضرات والمسامرات دون كتب الحديث =." [١]

٨٩. "..

....

= بعد التدبر فمن نفى التأويل جملة وتفصيلا فقد جهل الكتاب والسنة ومناحي كلام العرب في التخاطب. وأبو يعلى الحنبلي المسكين – من أئمة الناظم – ألّف كتابا سماه (إبطال التأويلات في أخبار الصفات) أتى فيه بكل طامة حتى قال عنه أبو محمد رزق الله التميمي الحنبلي: لقد بال أبو يعلى على الحنابلة بولة لا يغسلها ماء البحار. كما ذكره سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، ولفظ ابن الأثير في الكامل أفظع وأما لفظ ابن الجوزي في دفع الشبع فرواية بالمعنى، وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي في دفع شبه التشبيه كثيرا من مخازيه بل في تأسيس ابن تيمية نقول كثيرة من كتاب (إبطال التأويلات) منها إثبات الحد له تعالى من الجانب الأسفل، تعالى الله عن ذلك. ويأسف الإنسان كل الأسف أن

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٠٧

يضل مثل أبي يعلى هذا الضلال وما ذلك إلا من عدوى خلطائه، فلو كان والده الذي كان من أخص أصحاب أبي بكر الرازي الجصاص رأى ما آل إليه أمر ابنه اليتيم عنه لبكى بكاء مرا وتبرأ منه ومن عقائده. ومما زاد في ويلات الكتاب اعتداده بكل خبر غير مميز بين المختلق وغيره. ولأبي يعلى هذا كتاب المعتمد في المعتقد وهو قريب إلى السنة ونرجو أن يكون هذا آخر مؤلفاته ليكون قاضيا على ما سلف منه وإلا فيا للعار والنار من مسايرة الأشرار، فمن أول في كل موضع فهو قرمطي كافر، ومن أبي التأويل في كل آية وحديث فهو حجري زائغ كابن الفاعوس الحنبلي الذي لقب بالحجري حيث كان يقول إن الحجر الأسود يمين الله حقيقة قال أبو بكر بن العربي عن الظاهرية:

قالوا الظواهر أصل لا يجوز لنا ... عنها العدول إلى رأي ولا نظر

بينوا عن الخلق لستم منهم أبدا ... ما للأنام ومعلوف من البقر

وقد قال ابن عقيل الحنبلي «هلك الإسلام بين طائفتين: الباطنية والظاهرية والحق بين المنزلتين وهو أن نأخذ بالظاهر ما لم يصرفنا عنه دليل ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع» وللغزالي جزء لطيف سماه قانون التأويل وهو يقول فيه عند البحث فيما إذا كان بين المعقول والمنقول تصادم في أول النظر وظاهر الفكر: «والخائضون فيه تحزّبوا إلى مفرط بتجريد النظر إلى المنقول وإلى مفرط بتجريد النظر إلى المعقول وإلى متوسط طمع في الجمع والتلفيق والمتوسطون انقسموا إلى من جعل المعقول أصلا والمنقول تابعا وإلى من جعل المنقول أصلا والمعقول تابعا وإلى من جعل كل واحد أصلا»: ثم شرح هؤلاء الأصناف الخمسة شرحا جيدا لا يستغني عنه باحث، حفظنا الله سبحانه من الإفراط والتفريط وسلك بنا سواء السبيل وفي الاطلاع على جزء الغزالي هذا فوائد في هذا الصدد.

قول ابن حجر في التأويل وأما قول ابن حجر في فتح الباري «إنه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة بطريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك – يعني المتشابهات – ولا المنع من ذكره ومن المحال أن يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بتبليغ ما أنزل إليه ربه وينزل عليه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبة إليه تعالى وما لا يجوز مع حثه على التبليغ عنه بقوله صلى الله عليه وسلم: «ليبلغ الشاهد الغائب» حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وما فعل بحضرته فدلّ على أنهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذي أراده الله تعالى منها ووجب تنزيهه عن =." (١)

.٩٠ "..

....

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥١١

= للحشوية أن يعملوا شيئا إزاء أمثال تلك النصوص غير محاولة تأويلها مجازفة أو العدول عن القول بالاستقرار المكاني فأين التمسك بالظاهر في هاتين الحالتين؟ وهكذا سائر مزاعمهم على أن من عرف أقسام النظم باعتبار الوضوح والخفاء وأقرّ بكون آيات الصفات وأخبارها من المتشابه كيف يتصور في هذا المقام ظاهرا يحمل المتشابه عليه؟ وإنما حقه أن يحمل المتشابه في الصفات على محكم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشّورى: ١١] بالتأويل الإجمالي ومن الحشوية من يزعم أن الآية المذكورة متشابهة ليتنكب الحمل المذكور، بل منهم من بلغ به الكفر إلى حد أن يقول (له ساق كساقي هذه والمراد بالآية نفي المماثلة في الإلهية لا في كل أمر) كما تجد ذلك في ترجمة العبدري الظاهري في تاريخ ابن عساكر. وهذا كفر بواح، فتلاوة المشبه الآية المذكورة لا تفيد بمجردها التنزيه بالمعنى الذي يفهمه أهل الحق من الآية فلا تغفل ولا تنخدع فمن المضحك المبكي تمسكهم مرة في نفي العلم بالتأويل بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] باعتبار الوقف على الاسم الكريم مع دعوى الحمل على الظاهر، وزعمهم أخرى أن التأويل بمعنى التفسير مع الوقف على ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] مدّعين أنهم يعلمون تأويل المتشابه باعتبار أنهم من الراسخين في العلم ومجترئين على النطق بكلمات في المتشابهات لا ينطق بمثلها من يخاف مقام ربه، وأما أهل الحق فلا يدعون معرفة جميع التأويل بل يفوضون علمه إلى الله ويردون المتشابه إلى المحكم جملة وتفصيلا ولا يحملون لفظ التأويل في تلك الآية على خلاف معناه المعلوم من السياق بل يحمل بعض المحققين منهم النفي في الآية – بالوقف على لفظة اَللَّهُ كما هو المؤيد دراية ورواية – على سلب العموم دون عموم السلب بالنظر إلى أن التأويل مصدر مضاف فيكون من ألفاظ العموم فبانصباب النفي على العموم يكون المعنى: ما يعلم غيره تعالى بنفسه جميع التأويل وهذا لا يمانع معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم جميع التأويل بتعليم الله سبحانه وحيا ولا يمنع أهل العلم من الأمة من السعي في معرفة ما دون الجميع من التأويل كما هو حكم رفع الإيجاب الكلي، ومنهج كثير من السلف الذين اختاروا الوقف على لفظة اَللَّهُ فضلا عن الخلف وبهذا تعرف قيمة ما أطال به ابن تيمية الكلام في تفسير سورة الإخلاص متظاهرا بالمسايرة مع الخلف مخادعة منه في صدد توهين الوقف على لفظة اَللَّهُ مع إخراج التأويل عن معناه ليتمكن من حمل المتشابهات على معتقد الحشوية، فإذا تدبرت كلامه الطويل هناك تحت نور هذا البيان تجده يضمحل ويذهب هباء ومن الطريف تأويل التأويل ممن ينكر التأويل ويدعي الأخذ بالظاهر.

ثم إني أوصي الشحيح بدينه أن لا يلتفت إلى كلام مثل البرهان الكوراني (وله أمثال) ممن ضاع صوابه بين نزعات متضاربة من حشوية وتصوف وفلسفة وكلام حيث أطلق عنان الهذيان في التلفيق بينها من غير أن يستبحر في علم منها والكلام بعد الاستطراف المجرد موقع في التخريف ومصداق ذلك في (الأمم لإيقاظ الهمم) له في (ص ٢٣ – ٢٦) منه فما يرويه فيه عن كتب تنسب إلى الأشعري على خلاف

ما هو مدوّن في كتب أصحابه وأصحاب أصحابه ليس بموضع تعويل لمنافاته لنقل الكافة ولإبادة الحشوية لكتبه في فتن بغداد ولتصرفهم في البقية الباقية التي يذيعونها بما يخالف نقل الكافة ولعدم روايتها سماعا بطريق أهل السنة، كما بينت =." (١)

٩١. "قال الله تعالى في المتشابه: ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧] فكيف يكون تأويله تفسيره بالظاهر والمتشابه لا ظاهر له وقوله ما قال منهم أحد إن التأويل صرف عن الرجحان: كذب بل خلق قالوا ذلك وينطلق التأويل أيضا على تدبر القرآن وتفهم معناه.

فصل

فيما يلزم مدعى التأويل.

ثم قال: «دليل صارف واحتمال اللفظ وتعيين المقصود».

هذا كثرة كلام في أمر سهل مفروغ منه.

فصل

«في طريقة ابن سينا (١) وذويه من الملاحدة في التأويل».

ذكر ابن سينا والملاحدة هنا للتنفير وإلا لما جاء بابن سينا والملاحدة معنا.

قال: «ويقول تأويلي كتأويل الفوقية والصفات والعلو تأويله أشد من تأويل القيامة وحدوث العالم».

ليس مقصود هذا الناظم إلا أن يفظع مقالات خصومه من الفقهاء وأهل العلم ويجعلها في قلوب العامة أقبح من مقالات الفلاسفة لتشتد نفرتهم عنها واندفع في مخارق وسفه ودعاوى لا حقيقة لها.

تبديع الفلاسفة وإكفارهم

(١) ذكر الغزالي مخالفته لما عليه أهل الحق في نحو عشرين مسألة أكفره بثلاث منها وبدعه في الباقي في كتاب التهافت فقدم العالم وإنكار الحشر الجسماني ومسألة العلم بالجزئيات هي المكفرات عنده لكن الناظم وشيخه قائلان بالقدم النوعي ولا يقولان بإعادة الأجزاء المعدمة بل ولا يجمع الأجزاء المفرقة – راجع تفسير سورة الإخلاص لشيخه – وقولهما في العلم بالمتجددات معروف – راجع ما سننقله من مفردات ابن تيمية من ذخائر القصر – فهما من أوقع الناس في شبكة التفلسف عن جهل، على أن قول ابن رشد في تهافت التهافت ومناهج الأدلة وقول الرازي في المطالب العالية وقول الدواني في شرح العضدية مما يثير اهتمام الباحث بتلك المسائل. وقد صرح ابن سيناء في بعض كتبه بأن العقل لا يدرك

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥١٤

غير الحشر الروحاني وأما البعث الجسماني فطريق معرفته وحي الرسل وليس في هذا إنكار للبعث الجسماني.." (١)

٩٢. "فصل

سوى فيه بينهم وبين المنافين والقرامطة وجعل المجسمة مقابل الجميع، وأن ما ثم إلا التجسيم أو التعطيل وقد تقدم مثله، وإنما زاد التكرير والتفظيع ليزرع الريبة في القلوب.

فصل

قال: «الاستواء ونحوه والمشيئة ونحوها كلاهما من صفات الأجسام – وطلب الفرق بينهما – والله لو نشرت شيوخك كلها لم يقدروا أبدا على فرقان».

انظر هذا الجلف الجاري على ما لا يعلم، وكل عاقل يعلم أن الاستواء بمعنى القعود أقرب إلى صفات الأجسام من المشيئة والقدرة.

قال: «قال زعيمهم في الفرق هذه الصفات بالعقل والقرآن فيقال إن نفي العقل التجسيم فانفوها وانسلخوا من القرآن وإن أثبته فلم الفرار؟ وإن نفاه في وصف وأثبته في وصف فما الفرق؟.

انظر هل بعد هذا الكلام شيء في التجسيم (١)؟.

فصل

كله سفاهة.

فصل

حكى مذاهب خصومه بأقبح ما يكون ثم قال: «جربت هذا كله ووقعت في

نص من ابن تيمية في الحد والجسم

(١) وشيخه أصرح منه وأجهر صوتا في ذلك حيث يقول فيما ردّ به على أساس التقديس: «ومن المعلوم بالاضطرار أن اسم الواحد في كلام الله لم يقصد به سلب الصفات – يريد ما يشمل المجيء ونحوه – ولا سلب إدراكه بالحواس ولا نفي الحد والقدر ونحو ذلك من المعاني التي ابتدع نفيها الجهمية وأتباعهم، ولا يوجد نفيها في كتاب ولا سنة اهـ». وهذا صريح جدا لعلك لا تحوجني إلى شرح ذلك، راجع الكواكب الدراري لابن زكنون الحنبلي المحفوظ بظاهرية دمشق ففي المجلد رقم ٢٤ و ٢٥ و ٢٦

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥١٦

منه رده على أساس التقديس وفيه فوق ما تقدم التصريح بأنه يمكنه التزام قدم بعض الأجسام يريد الباري سبحانه فهل يتصور أن ينطق مبتدع مارق بأصرح من هذا في وسط المسلمين والناظم متقلد مذهبه بدون تفكير والله سبحانه ينتقم منهما بما أثارا من الفتن بين العوام.." (١)

٩٣. "تلك الشباك وكنت ذا طيران حتى أتاح لي الإله بفضله من ليس تجزيه يدي ولساني حبر أتى من أرض حران فيا أهلا بمن قد جاء من حران» (١).

---

(١) وكم أضلّ من خلطائه ولهم معه موقف يوم القيامة لا يغبط عليه وهو الذي جاهر بقيام الحوادث بذاته تعالى – بعزو ذلك إلى أئمة أبرياء من مثل هذا الإلحاد – وبالقدم النوعي، وبالجهة والحركة والثقل وتجويز الجسمية والاستقرار في جانب الله سبحانه مع التطاول على كثير من الأئمة والشذوذ عما عليه جمهور أهل العلم في كثير من المسائل الفرعية، والرد على كبير العلماء وصغيرهم حتى الصحابة وتلبيس ذلك بمذهب السلف خيانة وكذبا، ومما يجب التنبه إليه أن من وجوه تحيل الناظم وشيخه ومن على شاكلتهما من المتشبعين بما لم يعطوا تتبع ما دون ضد الأئمة المتبوعين من مؤاخذات في مسائل واتخاذ تلك المؤاخذات وسيلة للتهجم عليهم كلما شاءوا لأجل أن يظهروا بمظهر أنهم من السعة في العلم بحيث تضيق علوم الأئمة عن علومهم ويجب هجر آراء هؤلاء إلى أهوائهم، هذا شأنهم في أئمة علوم الشرع وهكذا صنيعهم مع علماء باقي العلوم بدون تفرغ العلم، ولا شك أن كل عالم مهما علت منزلته في علمه لا بد وأن تقع منه هفوات تكون مدوّنة في كتاب لأحد نقاد هذا العلم المتفرغين للتمحيص فيه خاصة إذ لا عصمة لغير الأنبياء عليهم السلام، فمن تعوّد أن يجمع تلك المؤاخذات من مظانها كالباب الخاص في مصنف أبي شيبة في مخالفات أبي حنيفة لأحاديث صحيحة صريحة في نظر صاحب المصنف، وكتاب إبراهيم ابن علية في مالك وكتاب محمد بن عبد الحكم في حق الشافعي، وكتاب الكياهراسي في مفردات أحمد وكتاب الأهوازي في الأشعري ونحوها، وأخذ يتحامل على الأئمة بتوجيه تلك المؤاخذات إليهم متظاهرا بأنها من بنات أفكاره داسا في غضون كلامه ما شاء من الأباطيل يظن به من لا بصر له بالحقائق من العامة أن له من العلم ما يجعله فوق الأئمة فهما وتحقيقا وإحاطة مع أنه لابس ثوبي زور، وقد ردّ على غالب تلك المؤاخذات في كتب خاصة بحيث لا تقوم لها قائمة لكن الذي يجهل ذلك ينخدع بخزعبلاته ويقع في المهالك إذا تقاعس علماء أهل الحق عن البحث والتنقيب والرد على الشذاذ بمثل أسلحتهم كما يجب، والله سبحانه يتولى هدانا بمنّه وكرمه وأيقظنا جميعا من رقدتنا وألهمنا طريق حراسة مذاهب أهل الحق في الأصول والفروع وأشعرنا عظم المسئولية في الآخرة ووقانا شر التساهل في ذلك إنه سميع مجيب.

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥١٨

قال الحافظ ابن طولون في «ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر» عند ذكره سبب انتقال الشيخ عبد النافع بن عراق من المذهب الحنبلي إلى المذهب الشافعي بعد أن جعله والده حنبليا: «قال الحافظ صلاح الدين العلائي (وقل من أفضله عليه من متأخري الشافعية في الجمع بين الفقه والحديث كما يجب) ذكر المسائل التي خالف فيها ابن تيمية الناس في الأصول والفروع. فمنها ما خالف فيها الإجماع، ومنها ما خالف الراجح في المذاهب: فمن ذلك يمين الطلاق قال بأنه لا يقع عند وقوع المحلوف عليه بل عليه فيها كفارة يمين، ولم يقل قبله بالكفارة فيها واحد من فقهاء المسلمين البتة ودام إفتاؤه بذلك زمانا طويلا وعظم الخطب ووقع في تقليده جم غفير من العوام وعمّ البلاء، وأن طلاق الحائض لا يقع وكذلك الطلاق في طهر جامع فيه زوجته، وأن الطلاق الثلاث يرد إلى واحدة، وكان قبل ذلك قد نقل إجماع المسلمين في هذه المسألة على خلاف ذلك، وإن من خالفه فقد كفر، ثم إنه أفتى بخلافه وأوقع خلقا =." (١)

٩٤. "...

....

= كثيرا من الناس فيه، وأن الصلاة إذا تركت عمدا لا يشرع قضاؤها، وأن الحائض تطوف في البيت من غير كفارة وهو مباح لها، وإن المكوس حلال لمن أقطعها، وإذا أخذت من التجار أجزأتهم عن الزكاة وإن لم يكن باسم الزكاة ولا على رسمها، وأن المائعات لا تنجس بموت الفأرة ونحوها فيها، وأن الجنب يصلي تطوعه بالليل بالتيمم ولا يؤخره إلى أن يغتسل عند الفجر وإن كان بالبلد. وقد رأيت من يفعل ذلك ممن قلده فمنعته منه، وسمعته حين سئل عن رجل قدّم فراشا لأمير فيجنب بالليل في السفر ويخاف إن اغتسل عند الفجر أن يتهمه أستاذه فأفتاه بصلاة الصبح بالتيمم وهو قادر على الغسل (ومسألة أبي يوسف غير هذه)، وسئل عن شرط الواقف قال غير معتبر بالكلية بل الوقف على الشافعية يصرف إلى الحنفية وعلى الفقهاء إلى الصوفية وبالعكس، وكان يفعل هكذا في مدرسته فيعطي منها الجند والعوام ولا يحضر درسا على اصطلاح الفقهاء وشرط الواقف بل يحضر فيها ميعادا يوم الثلاثاء ويحضره العوام ويستغني بذلك عن الدرس، وسئل عن جواز بيع أمهات الأولاد فرجحه وأفتى به.

ومن المسائل المنفرد بها في الأصول مسألة الحسن والقبح التي يقول بها المعتزلة (بل أربى عليهم بتحكيم العقل في الخلود راجع المعتمد لأبي الحسين البصري المعتزلي في المسألة وكلام ابن تيمية فيها حتى تعلم مبلغ مجازفته وتهوره) فقال بها ونصرها وصنف فيها وجعلها دين الله بل ألزم كل ما يبنى عليه كالموازنة في الأعمال (فيا ليته حينما حكم العقل حكم العقل السليم ولم يحكم عقل نفسه الظاهر اختلاله جدا بما

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥١٩

فاه به في ذات الله وصفاته، تعالى الله عما يقول الجاهلون).
وأما مقالاته في أصول الدين فمنها أن الله سبحانه محل للحوادث، تعالى الله عما يقول علوا كبيرا، وأنه مركب مفتقر إلى (اليد والعين والوجه والساق ونحوها) افتقار الكل إلى الجزء، وإن القرآن محدث في ذاته تعالى، وأن العالم قديم بالنوع ولم يزل مع الله مخلوق دائما فجعله موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار - سبحانه ما أحلمه - ومنها قوله بالجسمية والجهة والانتقال - وهو منزّه عن ذلك - وصرح في بعض تصانيفه بأن الله بقدر العرش لا أكبر ولا أصغر تعالى الله عن ذلك، وصنّف جزءا في أن علم الله لا يتعلق بما لا يتناهى كنعيم أهل الجنّة وأنه لا يحيط بغير المتناهي وهي التي زلق فيها الإمام - يعني ابن الجويني في البرهان - ومنها أن الأنبياء غير معصومين وأن نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام ليس له جاه ولا يتوسل به أحد إلا وأن يكون مخطئا، وصنف في ذلك عدة أوراق، وأن إنشاء السفر لزيارة نبينا صلى الله عليه وسلم معصية لا تقصر فيها الصلاة وبالغ في ذلك، ولم يقل به أحد من المسلمين قبله، وإن عذاب أهل النار ينقطع ولا يتأبد (وجزء التقي السبكي في الرد عليه مطبوع) ومن أفراده أيضا أن التوراة والإنجيل لم تبدل ألفاظهما بل هي باقية على ما أنزلت وإنما وقع التحريف في تأويلهما وله فيه مصنف (هذا يخالف كتاب الله والتاريخ الصحيح، وما في البخاري عن ابن عباس من الكلام الطويل في ذلك بين صدره وعجزه كلام مدرج، ما أسنده أحد وفيه الإيهام فلا يصح أن يتمسك به أحد على خلاف كتاب الله وخلاف ما صحّ عن ابن عباس نفسه في البخاري نفسه) آخر ما رأيت وأستغفر الله من كتابة مثل هذا فضلا عن اعتقاده انتهى ما نقله ابن طولون عن الصلاح العلائي». وصاحب هذه الطامات هو الذي يرحب به النظام ويتخذه قدوة فتبا لهذا التابع وهذا =." (١)

٩٥. "فصل

قال: «ومن العجائب قولهم حشوية (١) سمى به ابن عبيد» فيه سفه.

فصل

قال: «كم ذا مجسمة، وإذا سببتم بالمحال فسبنا بأدلة وحجاج ذي برهان فحقيقة التجسيم إن يك عندكم وصف الإله بصفاته العليا فتحملوا عنا الشهادة واشهدوا في كل مجتمع وكل مكان أنا مجسمة بفضل الله وليشهد بذلك معكم الثقلان».

نقول له: أنت أبديت لنا اعتقادك ووصفت بأمور يمتحن فيها كل عاقل منصف إذا عرضت على خال من الأغراض كلها من امرأة أو صبي أو أعجمي أو عربي عامي وعموم الناس هل يفهمون من الاستواء والقعود والنزول والمجيء والإتيان والوجه (٢)

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٢٠

= المتبوع. ومما ذكره ابن رجب في مفرداته ارتفاع الحدث بالمياه المعتصرة كماء الورد ونحوه، وجواز المسح على كل ما يحتاج في نزعه من الرجل إلى معالجة باليد أو بالرجل الأخرى، وعدم توقيت المسح على الخفين مع الحاجة، وجواز التيمم خشية فوت الوقت لغير المعذور وفوت الجمعة والعيدين وأنه لا حد لأقل الحيض ولا لأكثره ولا لسن الإياس، وأن قصر الصلاة يجوز في قصير السفر وطويله، وأن البكر لا تستبرئ ولو كانت كبيرة وأنه لا يشترط الوضوء لسجود التلاوة، وأنه يجوز المسابقة بلا محلل، واستبراء المختلعة بحيضة وكذا الموطوءة بشبهة والمطلقة آخر ثلاث تطليقات وغيرها اهـ فكم له من شواذ نحو ما تقدم. وقد ذكر ابن حجر الهيثمي في الفتاوى الحديثية كثيرا من شواذ ابن تيمية وقال عنه: «عبد خذله الله وأخزاه وأصمّه وأعماه» وقد حاول الشيخ نعمان الألوسي بإشارة صديق خان الذي كان له به صلة مادية متينة الرد عليه في (جلاء العينين) متوخيا تبرئة ساحة ابن تيمية من غالب تلك الشواذ لكن سقط في يده حيث فضحت هذه المرحلة من الدعاية لابن تيمية بطبع كتب له فيما بعد تصرح بما نفى هو عنه بل ربما تطبع له كتب أخرى مثل (التأسيس في رد أساس التقديس) بالنظر إلى أن بعض صنائع الحشوية نقله حديثا فيخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المسلمين وفيما ذكرناه كفاية في لفت النظر إلى نماذج من مفرداته والشيخ نعمان المذكور ناقض نفسه حيث يناقض كلامه في الكتاب المذكور ما سطره هو في (غالية المواعظ) لكن قاتل الله المادة ما دخلت في شيء إلا أفسدته وهو ليس بأمين على طبع تفسير والده ولو قابله أحدهم بالنسخة المحفوظة اليوم بمكتبة راغب باشا بإصطنبول – وهي النسخة التي كان المؤلف أهداها إلى السلطان عبد المجيد خان – لوجد ما يطمئن إليه. نسأل الله السلامة.

(١) فهل تلقيب عمرو بن عبيد لابن عمر رضي الله عنه بالحشوي إفكا وزورا على تقدير ثبوت ذلك عنه يمنع من تلقيب الحسن البصري لطوائف المجسمة حشوية حقا وصدقا، فاضحك ثم اضحك على عقل من يأبى هذا التلقيب وهو متلبس بهذه الوصمة الشنيعة بشهادة نفسه.

(٢) ليس بخاف على ملم باللغة العربية وبمناحي الكلام في اللسان العربي المبين أن لكل كلمة مع =."
(١)

٩٦. "فصل

في حياة الأنبياء

قال:

ولأجل هذا رام ناصر قو ... لكم ترقيعه يا كثرة الخلقان

قال الرسول بقبره حي (١).

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٢١

(١) الناظم وشيخه ينفيان التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم باعتبار تفرقتهما بين حالتيه صلى الله عليه وسلم حال حياته وحال وفاته وبإخراجهما للحديث الصحيح في التوسل عن دلالته الصريحة بالرأي عن هوى، وقد أقام قاضي قضاة الشافعية العلامة علاء الدين القونوي الشافعي النكير على ابن تيمية بعنف في هذه المسألة في كتابه (شرح التعرف) وهو من مخفوظات التيمورية، وعدّ ذلك مأخوذا من اليهود مع أنه كان من المثنين عليه قبل هذه الحادثة، وفي الاطلاع على شرح التعرف هذا تنوير للمسألة. وقد أغنانا عن بسط ذلك هنا ما نقله التقي الحصني منه في كتاب (دفع الشبه) وهو مطبوع. وفي كتاب الروح للناظم كثير مما ينافي ما ذكره هنا، والناقض شأن من أصيب في عقله أو دينه، نسأل الله السلامة والمعافاة. وأما كلمة ابن حزم في الفصل فاغترار منه بتقولات الرواة من الحشوية في حق الأشعري كما بينت ذلك فيما علقته على تبيين كذب المفتري لابن عساكر.

فتيا الأئمة في إنكاره شد الرحل لزيارته صلى الله عليه وسلم

وقد بلغ بالناظم وشيخه الغلو في هذا الصدد إلى حد تحريم شد الرحل لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وعد السفر لأجل ذلك سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة فأصدر الشاميون فتيا في ابن تيمية وكتب عليها البرهان ابن الفركاح الفزاري نحو أربعين سطرا بأشياء إلى أن قال بتكفيره ووافقه على ذلك الشهاب بن جهبل، وكتب تحت خطه كذلك المالكي، ثم عرضت الفتيا لقاضي قضاة الشافعية بمصر البدر بن جماعة فكتب على ظاهر الفتوى: الحمد لله، هذا المنقول باطنها جواب عن السؤال عن قوله إن زيارة الأنبياء والصالحين بدعة وما ذكره من نحو ذلك وأنه لا يرخص بالسفر لزيارة الأنبياء باطل مردود عليه، وقد نقل جماعة من العلماء أن زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة وسنّة مجمع عليها، وهذا المفتي المذكور – يعني ابن تيمية – ينبغي أن يزجر عن مثل هذه الفتاوى الغريبة، ويحبس إذا لم يمتنع من ذلك ويشهد أمره ليحتفظ الناس من الاقتداء به.

وكتبه محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعي.

وكذلك يقول محمد بن الجريري الأنصاري الحنفي لكن يحبس الآن جزما مطلقا.

وكذلك يقول محمد بن أبي بكر المالكي ويبالغ في زجره حسبما تندفع تلك المفسدة وغيرها من المفاسد.

وكذلك يقول أحمد بن عمر المقدسي الحنبلي، راجع دفع الشبه (٤٥ – ٤٧) وهؤلاء الأربعة هم قضاة المذاهب الأربعة بمصر أيام تلك الفتنة في سنة ٧٢٦ والنهي عن شد الرحل إلى غير المساجد الثلاثة في الحديث باعتبار أنه لا مضاعفة لثواب المصلي في غيرها ولا علاقة له أصلا =." [١]

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٣٠

.٩٧ "..

....

= بمثل زيارة القبور، وهذا ظاهر جدا فمعنى الحديث النهي عن شد الرحل إلى مساجد غير المساجد الثلاثة التي يضاعف فيها الثواب حيث لا داعي إلى تجشم المشاق والاستثناء المفرغ بقدر فيه المستثنى منه بقدر أدنى ما يصحح الاستثناء لأن التقدير ضرورة فلا يزيد على القدر الضروري في تصحيح الكلام – وما زاد على ذلك ليس مما يعتبره أهل العلم كما لا يخفى على أن شد الرحل لأجل العلم أو الجهاد أو التجارة أو الاعتبار أو استعادة الصحة ونحو هذا لا يتصور أن يتناوله النهي في الحديث فلا يصح تقدير المستثنى منه من أعم ما يتناول المستثنى ومن تصور خلاف ذلك فقد غلط غلطا فاحشا واستعجم عليه الحديث.

والأحاديث في زيارته صلى الله عليه وسلم في غاية من الكثرة وقد جمع طرقها الحافظ صلاح الدين العلائي في جزء كما سبق وعلى العمل بموجبها استمرت الأمة إلى أن شذّ ابن تيمية عن جماعة المسلمين في ذلك، قال علي القاري في شرح الشفا: «وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم كما أفرط غيره حيث قال كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر ولعل الثاني أقرب إلى الصواب لأن تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفرا لأنه فوق تحريم المباح المتفق عليه ... اهـ».

فسعيه في منع الناس من زيارته صلى الله عليه وسلم يدل على ضغينة كامنة فيه نحو الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف يتصور الإشراك بسبب الزيارة والتوسل في المسلمين الذين يعتقدون في حقه صلى الله عليه وسلم «أنه عبده ورسوله» وينطقون بذلك في صلواتهم نحو عشرين مرة في كل يوم على أقل تقدير إدامة لذكرى ذلك. ولم يزل أهل العلم ينهون العوام عن البدع في كل شئونهم ويرشدونهم إلى السنة في الزيارة وغيرها إذا صدرت منهم بدعة في شيء ولم يعدوهم في يوم من الأيام مشركين بسبب الزيارة أو التوسل، كيف وقد أنقذهم الله من الشرك وأدخل في قلوبهم الإيمان وأول من رماهم بالإشراك بتلك الوسيلة هو ابن تيمية وجرى خلفه من أراد استباحة أموال المسلمين ودماءهم لحاجة في النفس ولم يخف ابن تيمية من الله في رواية عد السفر لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة عن الإمام أبي الوفاء بن عقيل الحنبلي، وحاشاه عن ذلك – راجع كتاب التذكرة له تجد فيه مبلغ عنايته بزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم والتوسل به كما هو مذهب الحنابلة – وإنما قوله بذلك في السفر إلى المشاهد المعروفة في العراق لما قارن ذلك من البدع في عهده وفي نظره.

نص ابن عقيل الحنبلي في تذكرته

وإليك نص عبارته في التذكرة المحفوظة بظاهرية دمشق تحت رقم ٨٧ في الفقه الحنبلي.

«فصل: ويستحب له قدوم مدينة الرسول صلوات الله عليه فيأتي مسجده فيقول عند دخوله باسم الله اللهم صلّ على محمد وآل محمد وافتح لي أبواب رحمتك وكف عني أبواب عذابك، الحمد لله الذي بلغ بنا هذا المشهد وجعلنا لذلك أهلا، الحمد لله رب العالمين. ثم تأتي حائط القبر فلا تمسه ولا تلصق به صدرك، لأن ذلك عادة اليهود واجعل القبر تلقاء وجهك وقم مما يلي المنبر وقل السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ... إلى آخر ما تقوله في التشهد الأخير، ثم تقول اللهم أعط محمدا الوسيلة والفضيلة =." (١)

٩٨. "وذكر أربعين نبيا في إنكار ذلك وقد صنف البيهقي (١) جزءا في حياة الأنبياء ولكن هذا المدبر بعيد عن التوفيق.

فصل

قال: «فإن احتججتم بالشهيد».

وذكر غيره أشياء من حججنا.

فصل

قال في الجواب: «إن الشهيد حياته منصوصة مع النهي عن أن ندعوه ميتا، ونساؤه حل لنا من بعده وما له مقسوم وهو مع ذلك حي فارح قلتم فالرسل أولى».

فانظر إلى قلب الدليل عليهم ما قلب شيئا قلب الله قلبه.

قال: «ورؤيته موسى مصليا في قبره في القلب منه حسيكة هل قاله؟ ولذلك

= والدرجة الرفيعة والمقام المحمود الذي وعدته، اللهم صلّ على روحه في الأرواح وجسده في الأجساد كما بلغ رسالاتك وتلا آياتك وصدع بأمرك حتى أتاه اليقين، اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النّساء: ٦٤] وإني قد أتيت نبيك تائبا مستغفرا فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي ذنوبي، اللهم إني أسألك بحقه أن تغفر لي ذنوبي، اللهم اجعل محمدا أول الشافعين

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٣١

وأنجح السائلين وأكرم الأولين والآخرين اللهم كما آمنا به ولم نره وصدقناه ولم نلقه فأدخلنا مدخله واحشرنا في زمرته وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشربا صافيا رويا سائغا هنيا لا نظمأ بعده أبدا غير خزايا ولا ناكثين ولا مارقين ولا مغضوبا علينا ولا ضالين واجعلنا من أهل شفاعته. ثم تقدم عن يمينك فقل السلام عليك يا أبا بكر الصديق، السلام عليك يا عمر الفاروق، اللهم اجزهما عن نبيهما وعن الإسلام خيرا، اللهم ﴿اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ... ﴾ [الحشر: ١٠] وتصلي بين القبر والمنبر في الروضة وإن أحببت تمسح بالمنبر وبالحنانة وهو الجذع الذي كان يخطب عليه صلى الله عليه وسلم فلما اعتزل عنه حنّ إليه كحنين الناقة، وتأتي مسجد قباء فتصلي لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقصده فيصلي فيه، وإن أمكنك فأت قبور الشهداء وزرهم وأكثر من الدعاء في تلك المشاهد حتى كأنك تنظر إلى مواقفهم واصنع عند الخروج ما صنعت عند الدخول».

ويقال عن كتاب الفنون لابن عقيل الحنبلي هذا إنه في ثمانمائة مجلد ويقول الذهبي عنه إنه لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب. ومن هو نظير ابن عقيل هذا بين الحنابلة في الجمع والتحقيق؟ وأنت رأيت نص عبارته في المسألة على خلاف ما يعزو إليه ابن تيمية.

(١) وجزء البيهقي في حياة الأنبياء مطبوع فاستغنينا به عن الكلام في ذلك.." (١)

٩٩. "فصل

قال: «ما معناه منجنيق المعطلة ما يدعونه من التركيب، وللتركيب ستة معان أحدها: التركيب من متباين كتركيب الحيوان من هذه الأعضاء وتركيب الأعضاء من الأركان الأربعة، الثاني: تركيب الجوار من اثنين يفترقان، الثالث: التركيب من متماثل يدعى الجواهر الفردة، الرابع: الجسم المركب من هيولى وصورة عند الفيلسوف والجواهر الفرد ليس ممكنا، الخامس: التركيب من ذات وأوصاف سموه تركيبا وليس بتركيب، السادس: التركيب من ماهية ووجودها، واختلفوا هل الذات الوجود أو غيره فيكون تركيبا محالا أو يفرق بين الواجب والممكن حتى أتى من أرض آمد ثور كبير (١)، بل حقير الشأن قال الصواب الوقف فقصاراه أن شك في الله».

جوابه أنه لم يشك في الله في الوجود هل هو زائد أو لا ولا يجوز أن يقال له

= ينتفع بزيارة القبور والاستغاثة بنفوس الأخيار من الأموات في استنزال الخيرات واستدفاع الملمات، فإن للنفس بعد المفارقة تعلقا بالبدن وبالتربة التي دفنت فيها، فإذا زار الحي تلك التربة وتوجهت تلقاء نفس الميت حصل بين النفسين ملاقاة وإفاضات اهـ».

وقال العلامة الشريف الجرجاني في أوائل حاشية شرح المطالع معلقا على ما ذكره شارح المطالع في صدد

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٣٢

بيان الحكمة في التوصل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: «فإن قيل هذا التوسل إنما يتصور إذا كانوا متعلقين بالأبدان وأما إذا تجردوا عنها فلا إذ لا جهة مقتضية للمناسبة، قلنا يكفيه أنهم كانوا متعلقين بها متوجهين إلى تكميل النفوس الناقصة بهمة عالية فإن أثر ذلك باق فيهم ولذلك كانت زيارة مراقدهم معدة لفيضان أنوار كثيرة منهم على الزائرين كما يشاهده أصحاب البصائر اهـ». ورأيت بخط الحافظ الضياء المقدسي الحنبلي في كتابه - الحكايات المنثورة - المحفوظ تحت رقم ٩٨ من المجاميع بظاهرية دمشق أنه سمع الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي يقول إنه خرج في عضده شيء يشبه الدمل فأعيته مداواته، ثم مسح به قبر أحمد بن حنبل فبرئ ولم يعد إليه، وفي تاريخ الخطيب (١ - ١٢٣) بسنده إلى الشافعي رضي الله عنه قال: «إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره كل يوم - يعني زائرا - فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عني حتى تقضى اهـ».

فمن الذي يستطيع أن يعد هؤلاء قبوريين يتعبدون الضرائح؟!.

(١) سيف الدين الآمدي المعروف بين الفرق ببالغ الذكاء ذنبه عند الحشوية أنه نشأ حشويا ثم هداه الله إلى مذهب الأشاعرة ولأجل ذلك يرى متقشفو الحشوية من تمام ورعهم اختلاق حكايات في حقه ويسعى ابن تيمية جهده في مناقشته في معقوله، ويقوم الذهبي بحظه في الاختلاق عليه في ميزانه. وتآليفه الخالدة في أصول الدين وأصول الفقه والجدل هي آية كونه ثورا كبيرا في نظر الناظم فليعتبر.." [1]

١٠٠. "أبصر كيف يوقع الملعون العداوة بين المسلمين.

فذكر جماعة ثم قال: «وخيار عسكرهم فذاك الأشعري الفدم» أو القرم «ذاك مقدم الفرسان».

سواء أقال الفدم أو القرم قد جعله من عسكر الملحدين.

قال: «لكنكم ما أنتم على إثباته صفوا الجيوش وعبئوها وابرزوا للحرب واقتربوا من الفرسان فهم إلى لقياكم بالشوق كي يوفوا بنذرهم من القربان، تبا لكم لو تستحون لكنتم خلف الخدور كأضعف النسوان، من أين أنتم والحديث وأهله ما عندكم إلا الدعاوى والشكاوى وشهادات على البهتان هذا الذي والله نلنا منكم قبح الإله مناصبا ومآكلا قامت على البهتان والعدوان».

أ يكون أقبح من هذا الإغراء.

فصل

في الهدنة بين المعطلة والاتحادية حزب جنكسخان

قال: «يا قوم صالحتم نفاة الذات ولأجل ذا كنتم مخانيثا لهم».

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٣٥

ينبغي أن يعرض عن كلام هذا المتخلف.

فصل

في مصارع المعطلة بأسنة الموحدين

قال: «وإذا أردت ترى مصارع من خلا من أمة التعطيل وترى وترى وترى فاقرأ تصانيف الإمام حقيقة شيخ الوجود العالم الرباني أعني أبا العباس (١) واقرأ كتاب

كلمة صاحب الدرة المضيئة في ابن تيمية

(١) وعن هذا الشيخ الذي يطريه الناظم يقول صاحب الدرة المضيئة: «قد أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد، بعد أن كان متسترا بتبعية الكتاب والسنة، مظهرا أنه داع إلى الحق هاد إلى الجنة، فخرج عن الاتباع إلى الابتداع، وشذّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسمية والتراكيب في الذات المقدسة وبأن الافتقار إلى الجزء ليس بمحال وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى وأن القرآن محدث تكلم الله به بعد أن لم يكن وأنه يتكلم ويسكت ويحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات، وتعدى في ذلك إلى استلزام قدم العالم بالقول بأنه لا أول للمخلوقات، فقال =." (١)

١٠١. "العقل، والنقل، والمنهاج (١)، والتأسيس وغيرها وقرأت أكثرها عليه فزادني - والله - في علم وفي إيمان، هذا ولو حدثت أنه قبلي يموت لكان غير الشأن وله المقامات الشهيرة أبدى فضائحهم (٢) وبين جهلهم وأصارهم تحت نعال أهل الحق، كانت نواصينا بأيديهم فصارت نواصيهم بأيدينا وغدت ملوكهم مماليكا والفدم يوحشنا وليس هنا كم فحضوره ومغيبه سيان».

وهذا الفصل تسعون بيتا ما ذا تضمن من الكذب الذي يدل على أن قائله خرق جلباب الحياء.

فصل

يزيد على مائة وعشرين بيتا مما يهيج ويوقع العداوة وليس فيه قط إفادة.

= بحوادث لا أول لها فأثبت الصفة القديمة حادثة والمخلوق الحادث قديما، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملة من الملل ولا نحلة من النحل فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاث والسبعين التي افترقت عليها الأمة وكل ذلك وإن كان كفرا شنيعا مما تقل جملته بالنسبة إلى ما أحدث في الفروع فإن متلقي الأصول

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٣٨

عنه وفاهم ذلك منه هم الأقلون والداعي إليه من أصحابه هم الأرذلون، وإذا حققوا في ذلك أنكروه.
وأما ما أحدثه في الفروع فأمر قد عمّت به البلوى .. وقد بثّ دعاته في أقطار الأرض لنشر دعوته الخبيثة وأضل بذلك جماعة من العوام ومن العرب والفلاحين ... ولبس عليهم ... اهـ».

والدرة المضية هذه مطبوعة ضمن المجموعة السبكية ونسخة مخطوطة منها موجودة في مكتبة أياصوفيا في إصطنبول. ومثل هذا الضال المضل اتخذه الناظم قدوة في فتنه عاملهما الله تعالى بعدله ولم يكن بغض علماء أهل الحق لهما إلا بغضا في الله شأنهم مع كل زائغ، ومن حمل ذلك على الحسد لم يعرف سيرة الرادين عليه ولا مبلغ زيغ الناظم وشيخه فمثل هذا القول ينبئ عن جهل قائله أو زيغه.

(١) مطبوع في هامش منهاجه، وأما التأسيس في رد أساس التقديس فقد فضح ابن تيمية به نفسه وهو في ضمن الكواكب الدراري لابن زكنون الحنبلي في المجلدات (رقم ٢٤ و ٢٥ و ٢٦) بظاهرية دمشق وقد سبق أن وصفت الكواكب فيما علقته على المصعد الأحمد لابن الجزري فلو قام بطبع التأسيس أحدهما لما بقي من أهل البسيطة أحد لم يعلم دخائل ابن تيمية. وقد نقلت منه نصوصا كثيرة فيما علقت على هذا الكتاب كما سبق في مواضع على أن مبلغ زيفه ظاهر من الكتابين المذكورين لمن ألقى السمع وهو شهيد، ويتبجح بهما هذا الزائغ كتبجحه بالتأسيس، هكذا شأن مقلدة الزائغين يثنون على الزيغ ويزدادون غواية. وقد أشرت إلى بعض ما في منهاجه ومعقوله في «الإشفاق على أحكام الطلاق» فليراجع هناك.

(٢) كلا بل فضح نفسه وأذنابه وقادته وأصارهم تحت نعال أهل الحق بجهله وخرقه ولم يزل ينقل من محبس إلى محبس ومن هوان إلى هوان حتى أفضى إلى ما عمل وخلف شواذه وصمة الأبد، لكن قاتل الله الوقاحة تحاول قلب الحقائق.." [١]

١٠٢. "..
....

= الأمة بل ثلثيها في جميع القرون مع بطلان رواية ذلك عنه بالمرة. ولأبي حنيفة كلمة في الفقه الأبسط رواية أبي مطيع عنه وهي «من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض كفر» وعلّل الأصحاب ذلك بأن هذا القائل جوّز المكان في حقه تعالى وهو كفر؟ وما طبع في الهند باسم شرح الفقه الأكبر للماتريدي إنما هو شرح أبي الليث على الفقه الأبسط مع سقم النسخة الهندية، وبدار الكتب المصرية نسخة خطية جيدة من شرح أبي الليث. وقد زاد أبو إسماعيل الهروي في الفروق على تلك الكلمة ما شاء من كيسه مما يوافق مذهبه في التجسيم كذبا وزورا بسند مركب، ونقل الذهبي في كتاب العلو جملة ذلك بدون أن

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٣٩

يذكر سند الهروي في روايته تعمية وترويجا للباطل، وكذا فعل الناظم في عزوه – راجع شرح أبي الليث وشرح البزدوي وإشارات المرام في عبارات الإمام للبياضي، ودفع الشبه للتقي الحصني وشرح الفقه الأكبر لعلي القارئ فيما نقله عن ابن عبد السلام ولم يراقب الله من زاد على الكلمة السابقة ما أشرنا إليه كما وقع في بعض نسخ الكتاب المذكور من عهد ذلك الهروي. وقد روى الذهبي في كتاب العلو أيضا عن الدار قطني الأبيات المعروفة عند المجسمة بسند يقول فيه أنبأنا أحمد بن سلامة عن يحيى بن بوش أنبأنا ابن كادش أنشدنا أبو طالب العشاري أنشدنا الدار قطني: حديث الشفاعة في أحمد، إلى أحمد المصطفى بسنده الأبيات (وآخرها كما في بدائع الفوائد لابن القيم ٤ – ٣٩):

فلا تنكروا أنه قاعد ... ولا تجحدوا أنه يقعد

فأحمد بن سلامة الحنبلي شيخ الذهبي مات سنة ٦٧٨ والذهبي ابن خمس، ويحيى بن أسعد بن بوش الحنبلي الخباز المتوفى سنة ٥٩٣ وأحمد بن سلامة ابن أربع كان أميا لا يكتب، وأبو العز بن كادش أحمد بن عبيد الله المتوفى سنة ٥٢٦ من أصحاب العشاري اعترف بالوضع ويقال ثم تاب، راجع الميزان. وحكم مثله عند أهل النقد معروف، وأبو طالب محمد بن علي العشاري الحنبلي المتوفى سنة ٤٥٢ مغفل يتقن ما يلقن، وقد راجت عليه العقيدة المنسوبة إلى الشافعي كذبا، وكل ذلك باعتراف الذهبي نفسه في الميزان وغيره، فهل يصح عزو تلك الأبيات إلى الدار قطني بمثل هذا السند؟ وقال الذهبي أيضا في العبر في ترجمة أبي يعلى الحنبلي: (صاحب التصانيف وفقيه العصر كان إماما لا يدرك قراره ولا يشق غباره وجميع الطائفة معترفون بفضله ومغترفون من بحره). وأنت علمت حال أبي يعلى مما ذكره ابن الجوزي في دفع الشبه، ومما نقلناه عن كتبه في هذا الكتاب ومما ذكره ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ٤٢٩، وترى الذهبي كثيرا ما يقول في رد ما أخرجه الحاكم في المستدرك في فضائله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته عليهم السلام: أظنه باطلا. بدون ذكر أي حجة، وقد ذكر ابن الوردي في تاريخه أنه آذى كثيرا من الأحياء بتدوين ما كان يسمعه من أحداث يجتمعون به.

وفيما ذكرنا كفاية في معرفة حال الذهبي نسأل الله السلامة، ومع ذلك هو أهون شرا من الناظم وشيخه كما سبق، وله رسالة إلى ابن تيمية ينصحه فيها ويمنعه من المغالاة، وسبق نشرها مع زغل العلم له. وترى الذهبي مع ثنائه البالغ في حق ابن تيمية في كثير من كتبه يقول عنه: «وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه وأضداده وأنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية اهـ كما في الدرر الكامنة، ويقول عنه أيضا: إنه أطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا وجسر هو عليها اهـ» نقله ابن رجب عنه في طبقاته. ويقول عنه أيضا في زغل العلم =." [1]

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٤٩

١٠٣. "قال:

«إن المعطل بالعداوة معلن ... والمشركون أخف في الكفران»

ما لمن يعتقد في المسلمين هذا إلا السيف (١).

فصل

في أسبق الناس دخولا إلى الجنة

قال: «وروى ابن ماجه أن أولهم يصافحه (٢) إله العرش ذو الإحسان فاروق دين الله».

= (ص ١٧) ... وقد تعبت في وزنه وتفتيشه حتى مللت في سنين متطاولة، فما وجدت الذي أخره بين أهل مصر والشام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذبوه وكفروه إلا الكبر والعجب وفرط الغرام في رئاسة المشيخة والازدراء بالكبار، فانظر كيف وبال الدعاوى ومحبة الظهور ... وما دفع الله عنه وعن أتباعه أكثر، وما جرى عليهم إلا بعض ما يستحقون فلا تكن في ريب من ذلك اهـ».

ويقول عنه أيضا في (ص ٢٣) من زغل العلم: « ... وقد رأيت ما آل أمره إليه من الحط عليه والهجر والتضليل والتكفير والتكذيب بحق وبباطل فقد كان قبل أن يدخل في هذه الصناعة منورا مضيئا على محياه سيما السلف ثم صار مظلما مكسوفا عليه قتمة عند خلائق من الناس، ودجالا أفّاكا كافرا عند أعدائه، ومبتدعا مضلا محققا بارعا عند طوائف من عقلاء الفضلاء، وحامل راية الإسلام، وحامي حوزة الدين ومحيي السنة عند عموم عوام أصحابه اهـ». وهذه الكلمات نقلها السخاوي عنه أيضا في (الإعلان بالتوبيخ) ومن الخطأ الفاحش عزوها إلى (قمع المعارض) للسيوطي اغترارا بوضع رقم التعليق في (القول الجلي) غلطا عند كلمة (قمع المعارض) مع تصحيف (زغل العلم) إلى (رجل العلم) بعد أسطر في الطبعتين مع أن أصل التعليق كان على (زغل العلم) المصحف إلى (رجل العلم) كما نبهت على ذلك فيما علقته على الزغل المطبوع وإن لم ينفع تنبيهي عند أناس لا يوقظهم من سباتهم العميق غير نفخة الصور ونسبة (زغل العلم) إلى الذهبي ليست بموضع ريبة أصلا، وهو من المخطوطات المحفوظة في التيمورية بدار الكتب المصرية وسنأتي إن شاء الله تعالى في آخر الكتاب بصورة رسالة الذهبي التي بعث بها إلى ابن تيمية ينصحه في شواذه ويكفي ما ذكرناه هنا في تبيين نظر الذهبي لابن تيمية مع أنه من أهل مذهبه المنخدعين به فنسجل للذهبي هذه الحسنات كتسجيلنا لسيئاته المذكورة مراعاة للعدل فيما له وفيما عليه وإيقاظا للمغترين به، والله ولي الهداية.

(١) لأن ذلك زندقة مكشوفة ومروق ظاهر وإصرار على اعتقاد الإيمان كفرا قبحه الله كيف يعتقد في المشركين أنهم أخف في الكفر من المؤمنين المنزّهين والشيخ الإمام المصنف رضي الله عنه رجل معروف

بالورع البالغ واللسان العفيف والقول النزيه لا تكاد تسمع منه في مصنفاته كلمة تشم منها رائحة الشدة، ولينظر القارئ حاله هذا مع قوله في ابن القيم «ما له إلا السيف» إنه إن فكر في هذا قليلا علم العلم القاطع أن هذا الناظم بلغ في كفره مبلغا لا يجوز السكوت عليه ولا يحسن لمؤمن أن يغضي عنه ولا أن يتساهل فيه.

(٢) قاتله الله، حديث موضوع يستدل به وشأن هذا الخبر في السقوط فوق أن يقال بين رجاله =."

(١)

١٠٤. "فصل

في عدد الجنات

قال: «سبحان من غرست يداه (١) جنة الفردوس ويداه أيضا أتقنت لبنائها، هي في الجنان كآدم لكنما الجهمي ليس لديه من ذا الفضل شيء فهو ذو نكران». إنما ينكر العضو والجارحة فإن كنت أنت تثبتها فاعرف.

قال: «ولد عقوق عقّ والده ولم يثبت بذا فضلا عن الشيطان».

ما يستحيي يكذب على الناس.

قال: «ولقد روى حقا أبو الدرداء ذاك عويمر أثرا عظيم الشأن يهتز قلب العبد عند سماعه طربا بقدر حلاوة الإيمان ما مثله أبدا يقال برأيه فيه النزول (٢). ثلاث ساعات: فإحداهن ينظر في الكتاب، الثاني: يمحو ويثبت ما يشاء بحكمة، والساعة الأخرى إلى عدن أهله هم صفوة الرّحمن والساعة الأخرى إلى هذه السماء يقول هل من تائب ندمان».

الظاهر أنه ما ساق أبوابا في صفة الجنة إلا ليذكر هذا الحديث وأيضا ليسكت الناس بسماع صفات الجنة فيقبلون على هذه القصيدة ويعكفون عليها فيفتنهم، أسأل الله العافية ويحق له اسم الحشوي لأن الباطل محشو في هذه القصيدة اللحناء.

قال: «وروى ابن ماجه مسندا عن جابر بينا هم في عيشهم إذا بنور ساطع رفعوا رءوسهم فرأوه نور الواحد وإذا بربهم تعالى فوقهم (٣) قد جاء للتسليم وقال السلام

= ضعيف بل بينهم ضعيف ومنكر الحديث وآخر قدري خلا استحالة المتن وابن كثير أهون شرا من الناظم حيث أنكره جدا في جامع المسانيد (قال المنبجي الحنبلي في إثبات المماسة): قال ابن **تيمية** والمعروف عند أئمة أهل السنة وعلماء أهل الحديث أنهم لا يمتنعون عن وصف الله أنه يمس ما شاء من خلقه بل يروون في ذلك الآثار ويردون على من نفاه. انتهى ذكره في الأجوبة المصرية). قاتله الله، ما

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٥٠

أجرأه على الله.

(١) خلق الله آدم بعناية خاصة وبدون سببية والد وأم هذا المعنى المجازي يعقله كل من عنده ذوق العربية وأما الخبر الذي يشير إليها الناظم ففي سنده ابن علي زيد بن جدعان لا يحتج به.

(٢) هذا الخبر الموقوف ليس بثابت عن أبي الدرداء فضلا عن ثبوت رفعه إليه صلى الله عليه وسلم. وفي سنده زيادة بن محمد الأنصاري، قال البخاري: هو منكر الحديث وقال ابن حبان يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك، نقله ابن الجوزي، ولعلك علمت بذلك مبلغ قيمة ما يحتج به هذا البجباج النفاج.

(٣) قال الذهبي: إسناده ضعيف، وقال ابن الجوزي: موضوع، وقال العقيلي: أبو عاصم العباداني – في سنده – منكر الحديث لا يتابع عليه. وأما فضل الرقاشي في السند فممن لا يكتب حديثه وبمثل هذا الخبر يحتج الناظم في تكييف الرؤية.." [١]

١٠٥. "عليكم جهرا ومصداقه ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (٥٨)﴾ [يس: ٥٨] من رد ذا فعلى رسول الله رد». الذي يحمله على محمل صحيح لا يرده والذي يحمله على صفات الأجسام هو الذي يرد ما يجب.

فصل

في يوم المزيد

(١) قال: «فيرون ربهم تعالى جهرة ويحاضر الرّحمن واحدهم محاضرة الحبيب يقول يا ابن فلان، هل تذكر اليوم الذي قد كنت فيه مبارزا بالذنب قالوا يحق لنا وقد كنا إذا جلساء رب العرش».

فصل

كله فيما للعبد عند ربه في الآخرة ولو كان مفردا بالتصنيف كان حسنا، ولكن إدخاله في قصيدة انتصب فيها للحكم بين الحشوي وخصومه وإسعار الحرب بينهم لأي معنى؟.

فصل

رجع فيه إلى ما كان عليه مما في نفسه وذكر خصومه وفصول معه ذكر فيها فرق المعادين له.

فصل

ختم به الكتاب فيه شيء يسير ولكن هذا آخر كلامنا في ذلك والله المستعان.

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٥١

قال المؤلف: شرعت فيه يوم السبت الرابع والعشرين من صفر سنة ٧٤٩ وفرغت منه يوم السبت مستهل ربيع الأول من السنة (٢) والحمد لله وحده

---

(١) جمع طرقه أبو بكر بن أبي داود ذلك الكذاب الزائغ وسبق بيان أن ابن عساكر ألّف جزءا في توهين طرقه فتذكر. ولفظ الجلساء لم يقع إلا في بعض الطرق الواهية لحديث يوم المزيد، راجع جزء ابن عساكر.

خاتمة السيف الصقيل

(٢) فيكون تأليف السبكي لهذا الكتاب قبل وفاة ابن القيم بنحو سنتين. هذا وكنا وعدنا عند الكلام على الذهبي أن نأتي في آخر الكتاب بصورة رسالة بعث بها الذهبي إلى ابن تيمية يحذره فيها عواقب إصراره على الشذوذ عن جمهور العلماء في مسائل أصلية وفرعية وقد ظفرنا بها بخط =." [١]

١٠٦. "وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

حسبنا الله ونعم الوكيل.

تمّ السيف الصقيل

= التقي ابن قاضي شهبة منقولا عن خط البرهان ابن جماعة المنقول من خط الحافظ أبي سعيد الصلاح العلائي المنسوخ من خط الشمس الذهبي نفسه، وخط التقي ابن قاضي شهبة معروف وتوجد كتب بخطه في دار الكتب المصرية والخزانة الظاهرية بدمشق منها قطعة من طبقات الشافعية بدار الكتب المصرية، ومنها ما انتقاه من التاريخ الكبير للذهبي مما يتعلق بتراجم الشافعية بالخزانة الظاهرية ففي إمكان الباحث الذي لا يعرف خط ابن قاضي شهبة أن يتأكد من خطه المقارنة بين الصورة الزنكوغرافية المنشورة هنا، المأخوذة عن الرسالة المذكورة المحفوظة بدار الكتب المصرية وبين خطه المحفوظ في الدار والخزانة المذكورتين وإلى تلك الرسالة أشار السخاوي حيث قال في الإعلان بالتوبيخ: «ورأيت له رسالة كتبها لابن تيمية هي في دفع نسبته لمزيد تعصبه مفيدة» وذلك في صدد الدفاع عن الذهبي ردا على من ينسبه لفرط التعصب كما ذكرت في صدر الرسالة عند نشرها مع الزغل قبل سنين.

مقدمة رسالة الذهبي إلى ابن تيمية

وقبل الرسالة لا بد من ذكر مقدمة هنا ليكون القارئ على بينة من أمر ابن تيمية وهي أن ابن تيمية

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٥٢

هذا ولد بحران ببيت علم من الحنابلة وقد أتى به والده الشيخ عبد الحليم مع ذويه من هناك إلى الشام خوفا من المغول، وكان أبوه رجلا هادئا أكرمه علماء الشام ورجال الحكومة حتى ولّوه عدة وظائف علمية مساعدة له، وبعد أن مات والده ولّوا ابن تيمية هذا وظائف والده بل حضروا درسه تشجيعا له على المضي في وظائف والده وأثنوا عليه خيرا كما هو شأنهم مع كل ناشئ حقيق بالرعاية. وعطفهم هذا كان ناشئا من مهاجرة ذويه من وجه المغول يصحبهم أحد بني العباس – وهو الذي تولى الخلافة بمصر فيما بعد – ومن وفاة والده بدون مال ولا تراث بحيث لو عيّن الآخرون في وظائفه للقي عياله البؤس والشقاء، وكان في جملة المثنين عليه التاج الفزاري المعروف بالفركاح وابنه البرهان والجلال القزويني والكمال الزملكاني ومحمد بن الجريري الأنصاري والعلاء القونوي وغيرهم، لكن ثناء هؤلاء غرّ ابن تيمية – ولم ينتبه إلى الباعث على ثنائهم – فبدأ يذيع بدعا بين حين وآخر وأهل العلم يتسامحون معه في الأوائل باعتبار أن تلك الكلمات ربما تكون فلتات لا ينطوي هو عليها، لكن خاب ظنهم وعلموا أنه فاتن بالمعنى الصحيح فتخلوا عنه واحد إثر واحد على توالي فتنه، كما سبق. والذهبي كان من أشياعه ومتابعيه إلا في مسائل، لكنه لما وجد أن فتنه تأخذ كل مأخذ ولم يبق معه سوى مقلدة الحشوية والمنخدعين به وهم شباب بدأ يسعى في تهدئة الفتنة، مرة يكتب إلى أضداده لأجل أن يخففوا لهجتهم معه – كما فعل مع السبكي على رواية ابن رجب ولم نطلع على غير صدر الجواب على تقدير صحة ذلك الصدر – ومرة يكتب هذه الرسالة إلى ابن تيمية نفسه.." (١)

١٠٧. "نص الرسالة

ولا تخلو قراءة هذا الخط من بعض صعوبة على بعض القراء فإليك الرسالة بالحروف المعتادة مع عنوانها: رسالة كتب (١) بها الشيخ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية كتبتها (٢) من خط قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة رحمه الله وكتبها هو من خط الشيخ الحافظ أبي سعيد بن العلائي وهو كتبها من خط مرسلها الشيخ شمس الدين.

الحمد لله على ذلتي، يا رب ارحمني وأقلني عثرتي. واحفظ عليّ إيماني. واحزناه على قلة حزني، وا أسفاه على السنة وذهاب أهلها. وا شوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونونني على البكاء. وا حزناه على فقد أناس كانوا مصابيح العلم وأهل التقوى وكنوز الخيرات. آه على وجود درهم حلال وأخ مونس، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس. وتبا لمن شغله عيوب الناس عن عيبه. إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك! إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك وتذم العلماء وتتبع عورات الناس مع علمك بنهي الرسول صلى الله عليه وسلم «لا تذكروا موتاكم إلا بخير، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٥٣

بلى أعرف أنك تقول لي لتنصر نفسك: إنما الوقيعة في هؤلاء الذين ما شمّوا رائحة الإسلام ولا عرفوا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو جهاد. بلى والله عرفوا خيرا كثيرا مما إذا عمل به العبد فقد فاز وجهلوا شيئا كثيرا مما لا يعنيهم، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. يا رجل بالله عليك كف عنا فإنك محجاج عليم اللسان لا تقر ولا تنام. إياكم والغلوطات في الدين كره نبيك صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال وقال: «إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان» وكثرة

---

(١) بتضمين (بعث).

(٢) والكاتب هو التقي ابن قاضي شهبة وقد ذكر في طبقات الشافعية أنه اطلع على مجاميع وفوائد بخط البرهان ابن جماعة.." [١]

١٠٨. "وهنا انتهت صورة رسالة الذهبي إلى ابن تيمية وفيها عبر بالغة. وليكن هذا آخر تكملة الرد على نونية ابن القيم وبها يكون إن شاء الله تعالى (تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم).

لما ذا يقال للناظم ابن القيم

وقد عرف الناظم بابن القيم حيث كان أبوه قيم المدرسة الجوزية الحنبلية التي أنشأها محيي الدين ابن الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي الحنبلي بسوق القمح المعروفة اليوم بالبزورية بدمشق، والغالب أن يقال له ابن قيم الجوزية لئلا يلتبس بابن القيم الكبير المصري الراوي عن الفخر الفارسي فإنه معمر مقدم، وبذلك يعلم أن من يقول عنه (ابن القيم الجوزي) واهم وهما قبيحا وإنما هو (ابن قيم الجوزية) كما قلنا – ويجد القارئ الكريم في كتابنا هذا الرد على ابن تيمية كما يجد فيه الرد على ابن القيم باعتبار أن الثاني إنما يردد صدى الأول في أبحاثه كلها دون أن تكون له شخصية خاصة بل هو ظل الأول في كل آرائه وجميع أهوائه فانتظمهما الرد ولعل فيما رددنا به عليهما كفاية للمنصف وقطعا لعذر كل متعسف. وأما من تعوّد أن يقول: (عنزة وإن طارت).

خاتمة تكملة الرد

فليس خطابي معه ﴿واللهُ يَقُولُ الحَقَّ وهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤] وكان فراغي من إعادة النظر في الكتاب بمنزلي في آخر العباسية بمصر القاهرة – حرسها الله تعالى – ضحوة يوم الخميس المصادف لليوم الثالث من رجب سنة ١٣٥٦ وأسأل الله سبحانه أن ينفع به المسلمين وأن يجعله ذخرا لي يوم

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٥٧

الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم إنه المجيب البر التوّاب الرّحيم، وأنا الفقير إلى عفو الله ومسامحته «محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري» خادم العلم بدار السلطنة العثمانية سابقا عفا الله عن سيئاته ورفع منزلته ومنازل ذويه في الآخرة وأغدق عليه وعلى قرابته ومشايخه سحب رحمته ورضوانه وغفر لهم ولسائر المسلمين أجمعين.

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.." (١)

١٠٩. "وبرع في الفنون، وتَخَرَّج به خلقٌ في أنواع العلوم، وأقرَّ له الفضلاء، وولي قضاء الشام بعد الجلال القزويني، فباشره بعفة ونزاهة، غير ملتفت إلى الأكابر والملوك، وولي مشيخة عدة مدارس، وكان محققًا، مدققًا، نظَّارًا، له في الفقه وغيره الاستنباطات الجليلة، والدقائق، والقواعد المحرَّرة، التي لم يُسبق إليها،

وكان مُنصفًا في البحث، على قَدَمٍ من الصلاح، والعفاف، وصنف نحو مائة وخمسين كتابًا، مُطولاً، ومختصرًا، وأنجب أولادًا أعلامًا.

وتُوفي بمصر، بعد أن قدم إليها من الشام، وسأل أن يُولَّى القضاء مكانه ابنُه تاج الدين، فأُجيب إلى ذلك. وكانت وفاته سنة ست وخمسين وسبعمائة، رحمه الله تعالى، وغفر له.

وقد كان بينه وبين شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم تلاميذه من بعده مُناظرات، وردود لا تخفى على طلبة العلم إن شاء الله. وكان منها ما هو بسبب الاعتقاد، ومنها ما يتعلق ببعض الفِقهيات. لكنه كان شديد التوقير لشيخ الإسلام، لغزارة علمه، وشدة زهده.

ولمعرفة المزيد عن المصنف، انظر: ((طبقات الشافعية الكبرى)) لابنه (تاج الدين)(١٠/١٣٩ _ ٣٣٩)، و((طبقات الشافعية))(لابن قاضي شُهبة)(٣/٣٧ _ ٤٢)، و((الدُّرر الكامنة))(٣/٦٣ _ ٧١)، و((شذرات الذهب))(٦/١٨٠، ١٨١) ، و((الصارم المُنْكِي))(لابن عبد الهادي) ، رحمهم الله جميعا. والرسالة التي بين أيدينا ذكرها ابنه (تاج الدين) في ((الطبقات)) (١٠/٣١١)، و(حاجي خليفة) في ((كشف الظنون))(٢/١٣٦٤) باسم " القول المحمود في تنزيه داود عليه السلام "كما هو مُثبت على الغُلاف، لكن في النسخة التي اعتمدتُ عليها في نشر الكتاب _ وهي النسخة المطبوعة بالمطبعة الدُّخَانية بمُلتان بالهند سنة ١٣٤٠ هـ " القول المحمود في تبرئة داود عليه السلام ".." (٢)

١١٠. "وإما لاشتغاله بالحكم عن العبادة تلك اللحظة. فظن أن الله تعالى فتنه، أي امتحنه واختبره، هل يترك الحكم للعبادة، أوالعبادة للحكم ؟ فاستغفر ربه. فاستغفاره لأحد هذين الأمرين المَظْنُونَين،

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ط العلمية؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٥٩

(٢) القول المحمود في تنزيه داود عليه السلام ت الحفناوي؟ السبكي، تقي الدين ص/١٠

ليجيء تَعَلُّق الظن بأحدهما. قال الله تعالى : ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ [ص : ٢٥]. فاحتمل المغفور أحد هذين الأمرين. واحتمل ثالثا، وهو ظنه أن يكون الله لم يُرد فتنته، وإنما أراد إظهار كرامته. وانظر قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآب ﴾ [ص :٢٥] كيف يقتضي رِفعة قَدْرِهِ ؟ وقوله : ﴿ يَا داودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً ﴾ [ص : ٢٦] يقتضي ذلك، ويقتضي ترجيح الحكم على العبادة. وعلى أي وجهٍ من الأوجه الثلاثة حَمَلْتَه، حَصَل تبرئة داود عليه السلام، مما يقوله القُصَّاص((١))، وكثير من الفضلاء.

---

(١) – جنايةُ كثيرٍ من القُصَّاص – وهم الوعاظ والمُذَكِّرون – على الأمة الإسلامية عظيمة، إذ أشاعوا بين المسلمين كثيرًا من الأحاديث والأخبار التي لا أصل لها، بحُجَّة حَضِّ الناس على الخير ، وبعضهم لم يكن يتَعَمَّد التحديث بالموضوعات والأباطيل، ولكنه من الزُّهاد الذين غلب زُهْدُهم على تَثَبُّتِهم في الرواية، فيُؤتى من قِبَل الوهم والخطأ. ولا يكاد يَسْلَم من ذلك منهم سوى من كان من أهل العلم، كثابت البُناني رحمه الله تعالى، وهو من أثبت الناس في أنس بن مالك رضي الله عنه. وقد صنف غير واحد من العلماء في التحذير من أخبارهم التالفة، فمنها : أحاديث القصاص لابن تيمية، والباعث على الخلاص من أحاديث القصاص للحافظ العراقي، وتحذير الخَوَاص من أحاديث القصاص للسيوطي، و الثلاثة قد طُبعوا. وأنشد أبو حيان في البحر (١٥١/٩) قول الشاعر :

ونُؤْثِرُ حُكم العقل في كل شُبهةٍ *** إذا آثر الأخبارَ جُلَّاسُ قُصَّاص." (١)

١١١. "بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن (رحمه الله١)

الحمد لله الذي أسعدنا بنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – سعادة لا تبيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الولي الحميد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الهادي إلى كل أمر رشيد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، صلاة تليق بجلاله لا تزال تعلو وتزيد، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم المزيد، وبعد:

فإن الله تعالى يعلم أن كل خير أنا فيه ومنَّ عليَّ به فهو بسبب النبي – صلى الله عليه وسلم – والتجائي إليه واعتمادي في توسلي إلى الله في كل أموري عليه، فهو وسيلتي إلى الله في الدنيا والآخرة، وكم له عليَّ من نعم باطنة وظاهرة (رحمه الله٢).

رحمه الله______________

(رحمه الله١) في (ب) وبه ثقتي. بدل: رب يسر وأعن.

(رحمه الله٢) في هذا النص أمران لا بد من التنبيه عليهما:

---

(١) القول المحمود في تنزيه داود عليه السلام ت الحفناوي؟ السبكي، تقي الدين ص/١٤

؟ ... كل خير ونعمة – باطنة وظاهرة – من الله سبحانه وتعالى، ولا تنسب لغيره – عز وجل –، فهو الخالق الرازق المنعم، ومن الغلو المذموم في محبة النبي – صلى الله عليه وسلم – أن ينسب المسلم ذلك إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –، فهو عليه الصلاة والسلام بشر لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ونصوص الكتاب تدل على ذلك وتبينه في آيات كثيرة، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً إلا ما شاءَ الله ولو كنتُ أعلم الغيبَ لاستكثرتُ من الخير وما مسَّنيَ السوءُ﴾ الأعراف: ١٨٨، وقوله: ﴿قلْ إنَّما أدعو ربي ولا أشرك به أحدًا. قلْ إنِّي لا أملكُ لكم ضرًا ولا رشدًا. قلْ إنِّي لن يجيرني من الله أحدٌ ولن أجدَ من دونه ملتحدًا إلا بلاغاً من الله ورسالاته﴾ الجن: ٢٠ – ٢٣، وقوله ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين. وإن يمسسك الله بضرٍ فلا كاشفَ له إلا هو وإن يردْك بخيرٍ فلا رادّ لفضله﴾ يونس: ١٠٦ – ١٠٧، وقوله: ﴿قلْ إنَّما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليَّ أنَّما إلهكم إلهٌ واحدٌ فمنْ كان يرجو لقاءَ ربه فليعملْ عملاً صالحاً ولا يشركْ بعبادة ربه أحداً﴾ الكهف: ١١٠.

؟ ... التوسل بالنبي – صلى الله عليه وسلم –، أو بذاته، أو بجاهه، ليس له دليل من الكتاب أو السنة، بل ثبت في السنة وفي الآثار عن السلف ما يدل على تركه ولو كان مشروعاً أو مستحباً لسبقونا إلى فعله.

؟ ... والذي دل عليه الدليل الصحيح من الكتاب والسنة النبوية مشروعية التوسل في ثلاث:

أ- توسل المؤمن بأسماء الله وصفاته، ومنه قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ الأعراف: ١٨٠.

ب-توسل المؤمن بالعمل الصالح كما في حديث الغار المشهور الذي رواه البخاري في الأدب، باب إجابة دعاء من بر والديه، برقم: ٥٩٧٤.

ج- توسل المؤمن إلى الله تعالى بدعاء أخيه المؤمن، ومنه حديث توسل الأعمى؛ إذ توسل الأعمى بدعاء النبي لا بذاته كما في الواقعة، ويدل على ذلك أن عمل الصحابة بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يكن بالتوسل به ولا بذاته ولا بجاهه، وإنما استسقوا بدعاء العباس – رضي الله عنه – . وانظر لتفصيل ذلك كتاب (التوسل والوسيلة) لشيخ الإسلام ابن **تيمية**." [1]

١١٢. "وممن رأى الاختصاص النووي – رضي الله عنه –، للإشارة [إليه] (رحمه الله١) بقوله: ((مسجدي هذا)) (رحمه الله٢)، ورأى جماعة عدم الاختصاص، وأنه لو وسع مهما وسع فهو مسجده، كما في مسجد مكة إذا وسع، فإن تلك الفضيلة ثابتة له (رحمه الله٣).

(١) تنزيل السكينة على قناديل المدينة ت منلا؟ السبكي، تقي الدين ص/٥

رحمه الله

(رحمه الله١) سقطت من الأصل والمثبت من (ب).

(رحمه الله٢) قال النووي: واعلم أن هذه الفضيلة مختصة بنفس مسجده – صلى الله عليه وسلم – الذي كان في زمانه دون ما زيد فيه بعده، فينبغي أن يحرص المصلي على ذلك. المجموع ٨/ ٢٠٩، شرح صحيح مسلم ٩/ ١٦٦. وقد أكد النووي ذلك بقوله: بخلاف مسجد مكة فإنه يشمل جميع مكة، بل يعم جميع الحرم. وانظر: الإيضاح في المناسك، ص ١٦٥.

(رحمه الله٣) وهذا رأي جمهور أهل العلم. قال السمهودي: ومتمسك من ذهب إلى التخصيص الإشارة في قوله – صلى الله عليه وسلم –: مسجدي هذا، ولعله – صلى الله عليه وسلم – إنما جاء بها ليدفع تَوَهُّمَ دخول سائر المساجد المنسوبة إليه بالمدينة غير هذا المسجد، لا لإخراج ما سيزاد فيه. ثم قال: وقد سَلَّمَ النووي أن المضاعفة في المسجد الحرام تَعُمُّ مازيدَ فيه، فليكن مسجد المدينة كذلك، كما أشار ابن تيمية، قال: وهو الذي يدل عليه كلام الأئمة المتقدمين وعملهم، وكان الأمر عليه في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما، فإن كلاً منهما زاد في قبلة المسجد، وكان مقامه في الصلوات الخمس في الزيادة وكذلك مقام الصف الأول الذي هو أفضل مايقام فيه، ويمتنع أن تكون الصلاة في غير مسجده أفضل منها في مسجده، وأن يكون الخلفاء والصفوف الأول كانوا يصلون في غير مسجده. ثم قال: وما بلغني عن أحد من السلف خلاف هذا، إلا أن بعض المتأخرين – يشير إلى قول النووي – ذكر أن هذه ليست من مسجده، وماعلمت له سلفاً في ذلك. وفاء الوفا ٢/ ٧٢، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧/ ٤١٩ – ٤٢٣.." [(١)]

١١٣. "ثم بعد هذا هل تكون بعده صدقة، ويكون لهنّ فيها حق السكنى، أو فكيف يكون الحال؟ والظاهر الأول، ويحتمل أن يقال: إنها لهن بعده، وتكون قد دخلت بالشراء أوالوقف في المسجد، كغيرها من الأماكن. وإن كان الأول فتكون أدخلت في المسجد، وإن لم يكن لها حكمه، وحكم صدقته – صلى الله عليه وسلم – جار عليها، ومن جملة صدقته انتفاع المسلمين بالصلاة والجلوس فيها.

هذا كله في غير المدفن الشريف، أما المدفن الشريف فلا يشمله حكم المسجد، بل هو أشرف من المسجد، وأشرف من مسجد مكة، وأشرف من كل البقاع، كما حكى القاضي عياض الإجماع (رحمه الله١) على ذلك؛ أن الموضع الذي ضم أعضاء النبي – صلى الله عليه وسلم – لا خلاف في كونه أفضل، وأنه مستثنى من قول الشافعية والحنفية والحنابلة وغيرهم أن مكة أفضل من المدينة، ونظم بعضهم في ذلك:

---

(١) تنزيل السكينة على قناديل المدينة ت منلا؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٦

جَزَمَ الجميعُ بأنَّ خيرَ الأرض ما ... قد حَاطَ ذاتَ المصطفى وحَواهَا

ونعم لقد صَدَقوا بسَاكِنِهَا عَلَتْ ... كالنفس حين زَكَتْ زَكَى مَأوَاهَا (رحمه الله٢)

رحمه الله_______________

(رحمه الله١) الشفا ٢/ ٦٨٢.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما التربة التي دفن فيها النبي - صلى الله عليه وسلم - فلا أعلم أحداً من الناس قال إنها أفضل من المسجد الحرام أو المسجد النبوي أو المسجد الأقصى إلا القاضي عياض فذكر ذلك إجماعاً وهو قول لم يسبقه إليه أحد فيما علمناه ولاحجة عليه، بل بدن النبي - صلى الله عليه وسلم - أفضل من المساجد. فتاوى ابن تيمية ٢٧/ ٣٧.

(رحمه الله٢) البيتان من قصيدة طويلة لأبي محمد عبد الله بن عمر البسكري. وقد ذكرها كاملة السمهودي في وفاء الوفا ٥/ ١٢٧ - ١٢٩.." [١]

١١٤. "المؤلّف:

عليّ بن عَبْد الكافي بن علي بن تمام، الأنصاريّ الخزرجيّ، أبو الحسن، تقيّ الدين، السبْكيّ المصري الشافعيّ، المولود بسُبك من أعمال المنوفيّة (ثالث صفر ٦٨٣) والمتوفّ مسمومًا، بالقاهرة (رابع جُمادى الآخِرة ٧٥٦) ودفن بها بصعيد السعداء بباب النصر.

١ - قالوا فيه:

شيخُ الإسلام (١) الإمام، القاضي، العلامة، الفقيه، المحدّث الحافظ، فخر العلماء.

كان صادقًا، متثبّتًا، خيّرًا، ديّنًا، متواضعًا، من أوعية العلم، يدري الفقه ويقرّره، وعلم الحديث ويحرّره، والاصول ويقرؤها، والعربية ويحقّقها، وصنّف التصانيف المتقنة.

---

(١) أطلقه عليه جماعة ومنهم ولده ونقله عن البرزالي أنه لم يكتب «شيخ الإسلام» إلاّ له ولابن تيمية وابن أبي عمر.." [٢]

١١٥. "الشيخ العالم الكبير، إمام من أئمة الشافعية، وعالم من كبار علماء الديار المصرية، ومن يُعترف له بالرتب العليّة، وله عدالة الأصل وأصالة القول، وإصابة النقل، ورزانة العقل، وجزالة القول والفعل، ومتانة الدين والفضل، إلى تحصيل وتفنُّن وتأصيل في المنقولات والمعقولات وتمكّن نظر راجح وحفظ راسخ، وتقدّم في الحديث والرواية عالٍ شامخ.

---

(١) تنزيل السكينة على قناديل المدينة ت منلا؟ السبكي، تقي الدين ص/٥١

(٢) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٧

كريم: شهد له العيان، وإليه يعزى البيان، ومن بحره يخرج اللؤلؤ والمرجان إلى آدابٍ غضّة، وفضائل من فضة (١).

كان أنْظر من رأيناه من أهل العلم، ومن أجمعهم للعلوم، وأحسنهم كلامًا في الأشياء الدقيقة، وأجلدهم على ذلك.

وكان في غاية الإنصاف والرجوع إلى الحق في المباحث ولو على لسان آحاد المستفيدين منه مواظبًا على وظائف العبادات، مراعيًا لأرباب الفنون (٢).

تفقّه به جماعة من الأئمة، وانتشر صيته وتواليفه، ولم يخلف بعدَهُ مثلُه (٣).

ومحاسنه ومناقبه أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر (٤).

وقد اعترف بفضله السلفية أتباع ابن تيمية:

فقال ابن كثير: الإمام العلامة ... قاضي دمشق ... برع في الفقه والاصول والعربية وأنواع العلوم ... انتهت إليه رئاسة العلم في وقته ... وله كلام في صحّة القراءات أبان فيه عن تحقيق وسعة اطلاع (٥).

---

(١) أبو البقاء القاضي خالد بن أحمد البلوي الأندلسي في رحلته، نقله الكتاني في فهرس الفهارس ص ١٠٣٥، وقال: لقاؤه في وسط أمره ... فانظر ما يقول فيه لو لقيه آخره عمره؟

(٢) الاسنوي في الطبقات، لاحظ الدرر الكامنة ٣/ ١٧٠.

(٣) الحافظ العراقي كما في الدرر الكامنة ٣/ ١٧٠.

(٤) طبقات ابن قاضي شهبة ٣/ ٤١.

(٥) البداية والنهاية ١/ ٥٥١ رقم ٢٢٥١.." [1]

١١٦. "٥ - ابنه تاج الدين:

لقد خلّف الإمام السبكيّ أولادًا فضلاء، كلّهم قضاة نابهون، إلّا أن أنبههم وأشهرهم الإمام ابن السبكيّ: تاج الدين عبد الوهاب صاحب (طبقات الشافعية) الكبرى.

ولد (٧٢٨) وختم القرآن صغيرًا وطلب العلم وهو ابن عشر سنين بدمشق، وعُنِيَ بالحديث، وأجاز له الحجّارُ، ولازم الذهبيّ، وسمع الكثير من شيوخ عصره، ومهر في الفنون، وولي قضاء دمشق بعد أبيه، وخرج له مع قصر عمره ما يتعجب منه، قاله ابن حجر في طبقات الحفاظ.

وقال الذهبي في (المعجم المختصّ): وكتب عني أجزاء نسخها وأرجو أنْ يتميّز في العلم، درّس وأفتى وعُني بهذا الشأن.

وقال البوني في ثبته: الإمام المجمع على جلالة قدره وتمام بدره، بل لو قيل: «لو قُدِّرَ إمام خامس مع

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٩

الأئمة الأربعة لكان ابن السبكي».

نقل كل هذا المحدّث العلامة الكتاني في فهرس الفهارس والأثبات ص ١٠٢٨ رقم ٥٨٦، وقال: من تأمّل ترجمة ابن السبكي هذا، بقلم الحافظ ابن حجر، مع ترجمة أبيه بقلم الحفّاظ الأعلام: الذهبي وابن ناصر والحسيني والسيوطي في طبقات الحفّاظ، يعلم عظمة الرجلين [السبكي وابنه].

لأن مَنْ ذكر - خصوصًا الذهبي وابن ناصر - كانا كالخصمين لهم، لتشيّعهما لابن تيميّة وحزبه، خصوصًا ابن ناصر: كان يُعادي بعداوته، ويحبّ بحبّه!!

ومع ذلك ما وسعهما إلّا الاعتراف للأب والابن، بما ذكر!

قال الكتاني: لتعلم، أنّ الحقَّ أحقُ بالاتّباع.

فما يتقوّله بعض مَنْ لا علم له: «بأنّ السبْكيّ إنّما مَجَّدَهُ وقدّسه ولدُه في." [1]

١١٧. "وهي (٢٥) ورقة في القالب الكبير، كتبت سنة (٧٤٩).

٣ - الاعتبار ببقاء الجنّة والنار.

كتبت (٧٤٨) تتضمّن تضليل من قال بفناء النار من أهل عصره (١).

وغير ذلك، وهي مجموعة قيّمة لا ثمن لها، من النفاسة بمكان (٢).

ب - وقال الزركلي الوهّابي في أعلامه ٤/ ٣٠٢: ورأيت مجموعة اخرى كلها بخطّه في الرباط (٣٠٦ أوقاف) تشتمل على تسع رسائل له، منها:

١ - المحاورة والنقاط في المجاورة والرباط.

٢ - مصمي الرمأه في وقف حماه.

وقال ولده: حجّ في سنة (٧١٦) ثمّ عاد، وألقى عصا السفر واستقرّ، وانتهت إليه رئاسة المذهب بمصر ... وفي هذه المدّة ردّ على الشيخ ابن تيميّة في مسألتي الطلاق والزيارة، وألّف غالب مؤلّفاته المشهورة: كالتفسير، وتكملة شرح المهذّب، وشرح المنهاج للنوويّ، وغير ذلك من مبسوط ومختصر (٣).

قائمة بأهم مؤلّفاته:

١ - النكت على صحيح البخاري، في مجلد.

قال الكتاني: وقفت عليه بمكتبة مكناسة.

٢ - ضياء المصابيح في اختصار مصابيح البغوي.

ذكره الكتاني.

٣ - السيف المسلول على مَنْ سبّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/١٥

(١) وهو ابن تيمية، راجع دفع الشبه للحصني (ص ١١٦).

(٢) فهرس الفهارس ص ١٠٢٦ آخر ترجمة رقم ٥٨٥ وقد ذكر الزركلي الوهابي هذه المجموعة وقال: رأيت مجموعة بخطه في مجلد ضخم، ولم يحدّد موقعها!

(٣) الطبقات ١٠/ ١٦٧.." [1]

١١٨. "ذكره السبكي، والكتاني، والزركلي: له نسخ في تركيا: في السليمانية ٢٤ (٣١٩) وعاشر أفندي ١٢ (١٦١) وفيض الله ١١٣ (٢١٣٢) ولا له لي ٣٨ (٣٦٥) ويكي جامع ١٢ (٢٠٩).

٤ - إبراز الحِكَم من حديث رفع القلم.

ذكره الكتاني، وذكره ولده السبكي وذكر بعده: الكلام على حديث رفع القلم، وكأنّهما واحد. ومنه نسخة في دار الكتب بالقاهرة رقم (١٦١٦) و (١٦٢٥) وله مختصر في الظاهرية رقم ٢٩٤ مجموع (٣٢).

٥ - الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم.

ذكره السبكي وذكره الزركلي، وقالا: لم يكمل، وله جهود تفسيرية متفرقة بين آيات خصّص لها أجزاء صغار، سنعدّدها، وبين آيات متفرقة جمعت في بداية (فتاوى السبكي).

٦ - إحياء النفوس في صنعة إلقاء الدروس.

ذكره السبكي ولده، وذكره الزركلي.

٧ - الإغريض في الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض.

ذكره السبكي، والزركلي.

٨ - المسائل الحلبية في الفقه.

ذكره السبكي، والزركلي.

٩ - شفاء السقام في زيارة خير الأنام.

ذكره ولده وهو كتابنا هذا، ردًّا على ابن تيمية في تحريمه زيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويسمّى (شنّ الغارة على مانع الزيارة) وسيأتي الكلام عنه مفصّلًا.

١٠ - المحاورة والنقاط في المجاورة والرباط.

قال الزركلي: وجدتها في مجموعة بخطّه في الرباط (٣٠٦ أوقاف) ضمن تسع." [2]

١١٩. "من باب الربا إلى التفليس، في خمس مجلدات، ذكره السبكي ولده.

١٩ - التحبير المُذهَب في تحرير المَذْهَب.

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/١٧

(٢) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/١٨

وهو شرح مبسوط على (المنهاج). ذكره السبكي، وقال: ابتدأ فيه من كتاب الصلاة، فعمل قطعة نفيسة.

٢٠ – الابتهاج في شرح المنهاج للنووي.

قال السبكي: وصل فيه إلى أوائل الطلاق.

ثمّ كمّله ابنه أحمد بهاء الدين، كما في كشف الظنون ص ١٨٧٣.

٢١ – الدرّة المضيئة في الردّ على ابن تيميّة.

طبعت في الرسائل السبكية، وفي (التوفيق الرباني).

٢٢ – التحقيق في مسألة التعليق.

قال السبكي: وهو الردّ الكبير على ابن تيمية في مسألة الطلاق.

٢٣ – رافع الشقاق في مسألة الطلاق.

قال السبكي: وهو الردّ الصغير على ابن تيمية.

وله رد ثالث مختصر باسم النظر المحقق، مطبوع في الفتاوى ٢/ ٣٠٩.

وذكر ولده السبكي المؤلفات التالية له:

٢٤ – أحكام «كلّ» وما عليه تدلّ.

٢٥ – بيان حكم الربط في اعتراض الشرط على الشرط.

٢٦ – الإقناع في الكلام على أنّ «لو» للامتناع.

٢٧ – وشْيُ الحُلَى في تأكيد النفي بلا.

٢٨ – الكلام على حديث «إذا مات ابن آدم انقطع عملُهُ».

٢٩ – أجوبة سؤالات حديثيّة وردت من الديار المصريّة حول بعض ما في (تهذيب الكمال) للمِزيّ.." (١)

.١٢٠ "الكتاب

١ – الردّ على ابن تيميّة في منع الزيارة.

٢ – شفاءُ السقام في نظر الأعلام.

٣ – من هو ابن عبد الهادي صاحب الصارم المنكي.

٤ – أهم ما في كتاب الصارم المنكي.

٥ – الصارم المنكي في نظر العلماء.

٦ – قاموس شتائم ابن عبد الهادي.

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٠

٧ - نصيحة للمغترين بالسلفية في عصرنا.

٨ - محتوى الكتاب ومادّته.

٩ - عملنا في الكتاب.." (١)

١٢١. "١ - الرد على ابن تيمية في منع الزيارة:

قال ابن فضل الله العمري، في ترجمة السبكي:

إمام ناضَحَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنضاله، وجاهد بجداله، ولم يلطّخ بالدماء حدّ نصاله، حمى جناب النبوّة الشريف، وبقيامه في نصره، وتسديد سهامه للذبّ عنه من كنانة مصره، فلم يُخْطِ على بُعد الديار سهمه الراشق، ولم يُخْفِ مسامّ تلك الدسائس فهمه الناشق ... قام حين خُلّطَ على ابن تيمية الأمر، وسَوَّلَ له قرينه الخوض في ضحضاح ذلك الجمر، حين سَدَّ باب الوسيلة ... وأنكر شدّ الرحل لمجرّد الزيارة.

إلى أن يقول: كيف يُزار المسجد، ويُجفى صاحبه صلى الله عليه وآله وسلم؟ أو يخفيه الإبهام، أو تُذاد عنه وهي تتراشق إليه كالسهام؟

ولولاه عليه الصلاة والسلام، لما عرف تفضيل ذلك المسجد؟ ولا يمّم إلى ذلك المحلّ تأميل المغير ولا المنجد!؟

ولولاه لما قدّس الوادي، ولا اسّس على التقوى مسجد ذلك النادي؟!

شكر الله له، قام في لزوم ما انعقد عليه الإجماع، وبعد الظهور بمخالفته على." (٢)

١٢٢. "الأطماع.

وردّ القرن وهو ألدّ خصيم، وشدّ عليه وهو يشدّ على غير هزيم، وقابله وهو الشمس تغشي الأبصار، وقاتله - وكم جهد - ما يثبت البطلُ لعليّ وفي يده ذو الفَقار.

إلى أن يقول: وانجلت غياهب ذلك العِثْيَر: تبرق فيه صفحات الحق السويّ، والحظّ السعيد النبويّ، والنصر المحمّدي إلّا أنّه بالفتوح العَلويّ، بجهادٍ أيّد صاحب الشريعة وآزره، وردّ على من سدّ باب الذريعة وخذل ناصره (١).

وقال ولده في الطبقات: ثمّ حجّ في سنة ستّ عشرة [وسبعمائة] وزار قبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وعاد، وألقى عصا السفر واستقرّ وانتهت إليه رئاسة المذهب بمصر ...

وفي هذه المدّة ردّ على الشيخ أبي العباس ابن تيمية في مسألتي الطلاق والزيارة (٢).

وذكر في الطبقات: ومما أورده ابن فضل الله [العمري] عنه في التاريخ:

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٣٣

(٢) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٣٥

في كلّ وادٍ بليلى والِهٌ شغِفٌ ... ما إن تزالُ به من مسّها وصبُ ...

ففي بني عامِر من حبّها دَنِفٌ ... ولابن تيميّةٍ من عهدها سَغَب

وكان قد قالهما وقد وجد إكثار ابن تيمية من ذكر ليلى وتمنّيها، وأراد بعهد ليلى – ظاهرًا – ما هوله، وباطنًا يمينها، واليمين: العهد (٣).

ونقل ابنه: صحّ من طرق شتّى عن الشيخ تقيّ الدين ابن تيمية: أنّه كان لا يعظّم أحدًا من أهل العصر كتعظيمه له، وأنّه كان كثير الثناء على تصنيفه في الردّ عليه (٤).

---

(١) العمري في مسالك الأبصار، لاحظ طبقات السبكي ١٠/ ١٤٩ – ١٥١.

(٢) الطبقات للسبكي ١٠/ ١٦٧.

(٣) الطبقات للسبكي ١٠/ ١٨٠.

(٤) الطبقات للسبكي ١٠/ ١٩٤.." [١]

١٢٣. "وقد ردّ الإمام السبكي على الفكر التيميّ، بكتب:

١ – الدرّة المضيئة.

٢ – شفاء السقام (وهو كتابنا الذي نتحدث عنه بتفصيل).

٣ – السيف الصقيل في الردّ على ابن زفيل – وهو ابن قيم الجوزية مقلد ابن تيمية –.

٤ – التحقيق في مسألة التعليق، وهو الردّ الكبير على ابن تيمية في مسألة الطلاق.

٥ – رافع الشقاق في مسألة الطلاق، وهو الردّ الصغير عليه.

٦ – الاعتبار ببقاء الجنّة والنار.

٧ – النظر المحقّق في الحلف بالطلاق المعلق، طبع في الفتاوى ٢/ ٣٠٩.

وسيأتي التفصيل في ذكر مؤلّفاته.

ويظهر من طبقات السبكي أن ابن تيميّة كتب كتابًا ردًّا على ما كتبه الشيخ عليه في مسألة الطلاق (١) ولكنه لم يطق أن يردّ عليه في مسألة الزيارة، بل كانَ يعظّمه – مع ان ابن تيميّة كان جَسُورًا يعتدي على جميع علماء عصره، بل السابقين – إلّا أنّه كان يقرّ بفضل الإمام السبكي، ويُعجبه ما كتبه في (شفاء السقام) ردًّا عليه في مسألة الزيارة، مع أنّه ردّ بعنف على الإمام الاخنائيّ المالكي، كما ستعرف. ولاحظ بقيّة الحديث عن موقفه من ابن تيمية في عنوان: «محتوى الكتاب» في هذه المقدّمة.

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٣٦

٢ – شفاء السقام في نظر الأعلام:

قال الحافظ أبو زرعة العراقي، وهو بصدد الكلام على المسائل التي انفرد ابن

---

(١) طبقات السبكي ١٠/ ١٩٥.." [1]

١٢٤. "تيمية بها: وما أبشع مسألتي ابن تيمية في الطلاق والزيارة وقد ردّ عليه فيهما معًا: الشيخ تقي الدين السبكي، وأفرد ذلك بالتصنيف فأجاد وأحسن (١).

وقال: وللشيخ تقي الدين ابن تيمية كلام بَشِعٌ يتضمّن منع شدّ الرحل للزيارة، وأنه ليس من القُرب بل بضدّ ذلك، وردّ عليه الشيخ تقي الدين السبكي في «شفاء السقام» فشفى صدور قومٍ مؤمنين (٢).

وأنشد الصلاح الصفدي – الذي قرأ الشفاء على مؤلّفه (٣) – في مدح الكتاب:

لقول ابن تيميةٍ زخرُفٌ ... أتى في زيارة خير الأنامْ ...

فجاءت نفوس الورى تشتكي ... إلى خير حَبْرٍ وأزكى إمامْ ...

فصنّفَ هذا، وداواهُم ... فكان يقينًا «شفاءَ السقام» (٤)

وقال الإمام ابن حجر المكّي في الفتاوى الحديثيّة، ما نصّه: ابن تيمية عبدٌ خَذله الله وأضلّه وأعماه وأصمّه وأذلّه، وبذلك صرّح الأئمّة الذين بيّنوا فساد أحواله، وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وبلاغه رتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي، وولده التاج (٥).

قال الإمام محمد بخيت المطيعي شيخ الإسلام: ولما تظاهر قوم في هذا العصر بتقليد ابن تيمية في عقائده الكاسدة وتعضيد أقواله الفاسدة ... وجدنا كتاب الإمام الجليل والمجتهد الكبير تقي الدين أبي الحسن السبكي آتيًا على ما قاله ابن تيمية، مقوّضًا لبنيانه،

---

(١) الأجوبة المرضيّة عن الأسئلة المكية ص ٩٦ – ٩٨.

(٢) طرح التثريب ٦/ ٤٣.

(٣) لاحظ طبقات الشافعية للسبكي ١٠.

(٤) الوافي بالوفيات ٢١/ ٢٥٦.

(٥) الفتاوى الحديثيّة، لابن حجر المكّي الهيتميّ صاحب الصواعق.." [2]

---

[1] شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٣٧

[2] شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٣٨

١٢٥. "مزعزعًا لأركانه، ماحيًا لآثاره، ماحقًا لأباطيله، مظهرًا لفساده، مبيّنًا لعناده (١).

وقال العلامة المعاصر المحمود السعيد الممدوح:

إن كتاب «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» الذي دبجتْهُ يراعة الإمام التقيّ السبكيّ: أنفسُ كتابٍ صُنِّفَ في هذا الباب، جمع فيه مؤلّفه بين النقل والعقل.

وزاد أبوابًا في غاية الأهمّيّة، كالتوسّل، وحياة الأنبياء، والشفاعة، وغير ذلك.

وكان عفَّ اللسان، قويّ الحجّة، ناصع البرهان:

وقد حقّق الأقوال في مسألة الزيارة وغيرها من مباحث الكتاب تحقيقًا ما عليه مزيد (٢). إلّا أنّ ابن عبد الهادي تصدّى للردّ على هذا الكتاب ومؤلّفه؟! في كتاب باسم «الصارم المنكي»؟

٣ – من هو ابن عبد الهادي صاحب الصارم المنكي:

هو، محمد بن أحمد بن عبد الهادي من آل قدامة الحنابلة، الدمشقيين: ولد ٧٠٤ ومات ٧٤٤.

ترجمه القليلون، وبالغ في ترجمته الحنابلة والشاميون المتعصبون كابن رجب فقال: «المقرئ الفقيه، المحدث الحافظ، الناقد، النحوي، المتفنّن ... ».

وأكثر فيه ابن كثير الشامي في تاريخه سنة ٧٤٤ (١٤/ ٢٤٤) وأطراه وقال: « ... كان مستقيمًا على طريقة السلف! واتباع الكتاب والسنة ... » يعني طريقة ابن تيمية وحزبه.

وذكره أبو المحاسن والذهبي وابن حجر والسيوطي، وقال: أحد الأذكياء، مهر في الحديث والاصول والعربية.

---

(١) تطهير الفؤاد عن دنس الاعتقاد للمطيعي (ص ١٣) ط مصر.

(٢) رفع المنارة ص ١٣.." [1]

١٢٦. "وقال الصفدي: «لو عاش كان آية، كنت إذا لقيتُه سألته عن مسائل أدبيّة وفوائد عربيّة، فينحدر كالسيل ... ».

وذكروا له من المؤلّفات:

العقود الدريّة في ترجمة ابن تيميّة، مطبوع.

والصارم المنكي، رآه ابن حجر، وذكر عنه في لسان الميزان ١/ ٢٠ وفي ط. الهندية ١/ ١٤ قاعدة ابن حبان في التعديل، وقال: «وقد تصرّف في عبارة ابن حبّان».

واتفقوا على ذكائه ومعرفته بطرق الحديث وحفظه لأسماء الرجال.

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٣٩

واهتمّ سلفية عصرنا بطبع الصارم، فله طبعة بتحقيق إسماعيل الأنصاري. وطبعة بمؤسسة الرّيان – بيروت عام ١٤١٢ هبعمل عقيل اليماني، وهي التي اعتمدناها هنا.

٤ – أهم ما في كتاب الصارم المنكي؟!

وبعد ما عرفنا شخصيّة ابن عبد الهادي، فلنحط بأهمّ ما احتواه كتابه حتى نعرف مدى مقولة سُفلية العصر من أنّه أهمّ كتابٍ في باب الدفاع عن آرائهم حول منع زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والردّ على شفاء السقام للإمام، فنقول: أهمّ ما في عمل ابن عبد الهادي أنه:

أولًا: يُحاول إقناع القُرّاء بأنّ «ابن تيميّة لا يمنعُ من أصل زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، بل يقول باستحبابها، وبأن قبره أفضل القبور، وإنّما ابن تيمية يمنع فقط من شدّ الرحال إلى زيارة القبر النبويّ الشريف».

ويؤكّد على: «أنّ نسبة الإمام السبكيّ إلى ابن تيميّة بأنّه يمنع زيارة المصطفى عليه السلام، غير صحيحة».." (١)

١٢٧. "ولذلك يحاول في (الصارم) إيراد عبارات طويلة ومكررة ينقلها عن مؤلّفات ابن تيميّة، ليثبت هذه المحاولة.

لكنّا:

١ – نجد نفس تلك العبارات التي نقلها ابن عبد الهادي، مليئة بجمل صريحة في أن ابن تيميّة يعتقد أن: زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير ممكنة، لأنّ القبر غير ظاهر، ولأنّ الصحابة لم ينقل عن أحدهم القيام بزيارة القبر، ولأنّ زيارة القبر ممنوعة منهيٌّ عنها لقوله صلى الله عليه وآله وسلم «لا تجعلوا قبري عيدًا» وحتى شكك في استعمال لفظ الزيارة، وقال مرادهم «السلام».

ولأن ذلك من فعل المشركين والنصارى وعبادة للقبر.

وأمثال هذه التعليلات، منثورة في كلماته التي نقلها عبد الهادي نفسه.

ومع ذلك كلّه: فإنّ عبد الهادي يدّعي – بكل وقاحة – أن ابن تيميّة لا يمنع الزيارة؟

واللطيف: أن ابن تيميّة حينما يجد في عبارة الفقهاء وإجماعهم على استحباب «زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم» يقول: المراد زيارة مسجده.

ومع هذا: فإنّ عبد الهادي يقول: لا يمنع من أصل الزيارة!!

وأمّا نسبة الإمام السبكي فتوى المنع إلى ابن تيميّة:

فهي ليست منفردة ولا محصورة بالإمام، بل كلّ من تعرّض للمسألة نسب إلى ابن تيميّة هذا القول

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٠

البشع، فانظر:

* إبراز الغيّ للإمام أبي الحسنات اللكهنوي.

* رفع المنارة للشيخ محمود ممدوح ص ٩٢.

* دفع شُبَه التشبيه للإمام الحصني.

ثانيًا: يحاول ابن عبد الهادي – تبعًا لابن تيمية نفي كل نصّ يحتوي على لفظ." (١)

١٢٨. "«الزيارة لقبر النبيّ» ويُناقش في أسانيد جميع الأحاديث والروايات، حتى يصل إلى النتيجة التي يؤكّد عليها ابن تيمية: إنّها مكذوبة بل موضوعة.

وهذا الادّعاء، لا بدّ أنّ يحكم فيه صيارفة نقد الحديث وجهابذة علم الجرح والتعديل، وقد حكموا بأنّ في أحاديث الزيارة المقدّسة ما هو صحيح وحسن، أيضًا، وإن كان فيها ما قيل فيه إنه من «قسم الضعيف» إلّا أنّ من «الضعيف» ما يُعمل به، خصوصًا في المسائل والأحكام الفرعية العمليّة، والتي عمل الزيارة منها بلا ريب، وقد عمل بذلك المحدّثون والفقهاء والاصوليون.

فما هذه المخالفات لهم منكم؟!

ثالثًا: يُحاول – تبعًا لابن تيمية – تعميم النهي في حديث: «لا تجعلوا قبري عيدًا ولا تتخذوه وثنًا ... » ليكون شاملًا لما يفعله المسلمون الموحّدون عند قبره الشريف من السلام والدعاء والتكريم والتعظيم، ناسبًا جميع أفعال المؤمنين عند القبر إلى الشرك وعبادة القبر، وما إلى ذلك من الألفاظ المهولة!

ومن الواضح لدى كل مسلم يزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه ممتلئ بالإيمان بالله ورسوله، والحبّ لهما، ولا يدعوه إلى المجيء إلى ذلك القبر إلّا محض التوحيد والإيمان، وامتلائه بالعقيدة الراسخة.

ورابعًا: حديث «لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة ... » وهو عمدة ابن تيميّة وحزبه في منع الحجّاج القاصدين بعد أداء حجّهم إلى زيارة قبر نبيّهم، وإزعاجهم في مقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعند المقصورة الشريفة بالضرب واللعن والتشريك والتكفير والدفش، والتهديد.

بدعوى: أنّ الحديث يدلّ على حرمة قصد زيارة القبر لمن يسكن بعيدًا عنه من البلاد النائية.

وقد انهالت الاعتراضات الإسلاميّة من المذاهب الفقهيّة، وعلى مستويات." (٢)

١٢٩. "أهل العلم والفكر من المسلمين على هذه الفتوى البشعة «منع السفر إلى مرقد الرسول» منذ طلوع نباتها الخبيث من رأس الشيطان في القرن الثامن أعني شيخ حرّان، الممتلئ بمعاداة هذه الشعائر الإسلاميّة التي تدلّ على عظمة الرسول ومقامه في قلوب المؤمنين برسالته.

وكثرت المؤلّفات في عصر مبتدع تلك الفتوى ابن تيميّة وإلى يومنا هذا، في الردّ عليها وتفنيدها وتزييفها،

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٤١

(٢) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٢

وقد بلغت المئات، وجمعناها في كتاب (معجم المؤلّفات الإسلاميّة في الردّ على بدع ودعاوى السلفيّة والوهابيّة).

وكتاب «شفاء السقام» للإمام التقيّ السبكيّ، هو من أهم وأقدم ما ردّ عليه في عصره.

وقد عجز ابن تيميّة من الإجابة عمّا فيه، بل كان يعظّم الإمام السبكي ويُعجبه كلامه في «شفاء السقام».

وابن عبد الهادي جرو ابن تيميّة، حاول – عبثًا – في الصارم المنكي – من مواجهة الحجج والأدلة العلمية الواردة في شفاء السقام، لكنّه أخفق! ولم يأت بطائل، بل قد أصبح ما ألّفه وكتبه في (الصارم المنكي) محلّا لنقد العُلماء، وتصدّوا له بالردّ والتنكيل، كما ستقرأ في الفقرة التالية.

٥ – «الصارم المنكي» في نظر العلماء:

قال العلامة الكتاني في ترجمة ابن تيميّة، وقوله بالمنع من زيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للمسافر إليها: انتدب للكلام معه فيها جماعة من الأئمة الأعلام، فوّقوا إليه بها السهام: كالشيخ تقي الدين السبكي، والكمال ابن الزملكاني، وناهيك بهما؟

وتصدّى للرد على السبكي: ابنُ عبد الهادي الحنبلي ولكنّه: ينقل الجرح." (١)

١٣٠. "وقال العلامة المعاصر المحدّث الشيخ محمود سعيد ممدوح: بعد النظر في «الصارم المنكي» رأيتُ الهول فيه، فتراه:

١ – يتعنّت أشدّ التعنُّت في ردّ الأحاديث.

٢ – تطويله للكلام يخرجه عن المقصود إلى اللغو والحشو مع التكرار المملّ.

٣ – يذكر أبحاثًا خارجة عن المقصود.

٤ – يُطيل الكتاب جدًّا، ولو اختصر بحذف الخارج، لجاء في جزء صغير.

٥ – أما تهجّمه على الإمام المجتهد التقيّ السبكيّ، فحدِّثْ ولا حرج!؟ (١)

٦ – وأحيانًا يأتي بتعليلات للأحاديث، خارجة على قواعد الحديث.

٧ – وقد أكثر في كتابه من الدعاوى على التقيّ السبكي، من غير برهان، وعند المحاققة نجد الحقّ مع الإمام المجتهد السبكي (٢).

٨ – يجزم الواقف عليه بأن عبد الهادي قد ظلمه بصارمه ولم يُجِبْ على كثير من مباحثه (٣).

وقال المعلّق على ذيل تذكرة الحفّاظ ص ٣٥٢ عند ذكر الصارم المنكي لابن عبد الهادي: ولقد تهوّر فيه لابن تيميّة في شذوذه، فوقع في أغلاط من حيث الكلام على الأحاديث والاستنباط منها.

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٣

«ولم تدخل الهوى شيئًا إلّا أفسدتْهُ».

---

(١) اقرأ نماذج من شتائمه في الفقرة التالية: قاموس شتائم ابن عبد الهادي!

(٢) لاحظ: رفع المنارة في تخريج أحاديث التوسل والزيارة ص ١٠ - ١١، وهو كتاب نفيس في موضوعه، واعتنى بالرد على الصارم المنكي، وحثالة حشوية العصر: بكر أبو زيد، وعثيمين، وأضرابهما من أجراء الوهابيّة، واجَرائهم.

(٣) رفع المنارة ص ١٣.." (١)

١٣١. "ردّه على أحسن وجهٍ ابنُ علّان، ورددتُ كثيرًا من مواضعه في (السعيُ المشكور) (١).

٧ - وفي عصرنا الحاضر (١٤١٨ هـ) ردّ عليه الاستاذ المحدّث الواعي الشيخ محمود سعيد ممدوح، أفضل ردّ وأحسنه في كتابه القيّم «رفع المنارة في تخريج أحاديث التوسّل والزيارة» وقد نقلنا عنه في تعاليقنا، وهو مطبوع طبعة ثانية في دار الإمام الترمذي - القاهرة ١٤١٨ هـ.

٨ - ورددنا عليه ردًّا مركّزًا مفحمًا في رسالة «زيارة القبر النبويّ المعظّم» وفّقنا الله لإصدارها.

٦ - قاموس شتائم ابن عبد الهادي:

المتتبّع في (الصارم المنكي) لا يجد فيه بعد المناقشات السنديّة المطوّلة، غير المنقول عن ابن تيميّة في (الجواب الباهر) و (الرد على الأخنائي) كلامًا من ابن عبد الهادي، غير ما أضافه من الشتائم والسباب.

ولقد تعوّد المدّعون للسلفيّة على التلفظ بألفاظ نابية ضدّ معارضيهم فهم لا يتورّعون من كلّ ما هو قذفٌ وسبٌّ وشتمٌ، يربأ المسلمُ بنفسه أن يتفوّهَ به، ويتعاطاه السلفيّة! ويدّعون مع ذلك اتّباع السنة، لكن يخالفونها حيث يجدونها تصرّح: «لا تكونوا سبّابين».

وقد أفرط ابن عبد الهادي الحنبلي التيمي - من أتباع ابن تيميّة - في مواجهة الإمام الورع التقيّ السبكيّ، بكلّ ما جرى على فمه وخرج من رأسه، يُحاول بذلك إرضاء نفسه، لمّا يجدها قاصرة من مواجهة حجج الإمام ومحكم أدلته:

---

(١) فهرس الفهارس ص ٧٣٠.." (٢)

١٣٢. "ونحن نورد هنا قائمة ببعض ما أورده في الصارم المنكي، كي يتّضح ذلك لكلّ مسلم ورعٍ، ويعرف بذاءة منطق هؤلاء المتمسلفين المدّعين لاتّباع الكتاب والسنة (١):

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٥

(٢) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٧

ونترك القرّاء ليقارنوا بين هذا وبينما قرءوه في صدر هذه المقدمة ممّا قاله العلماء في الإمام السبكي:

قال ابن عبد الهادي (الصارم ١٣) لكون مؤلّف الكتاب: رجلًا، مماريًا، معجبًا برأيه، متّبعًا لهواه، ذاهبًا في كثير ممّا يعتقده إلى الأقوال الشاذّة، والآراء الساقطة، صائرًا في أشياء مما يعتقده إلى الشبهِ المخيلة والحجج الداحضة وربما خرق الإجماع في مواضع لم يسبق إليها ولم يوافقه أحد من الأئمة عليها!

يقول (ص ١٤) ما حكاه من الافتراء العظيم والإفك المبين والكذب الصراح!

ويقول (الصارم ١٥): لكنه يُطفّف ويداهن ويقول بلسانه ما ليس في قلبه ... شتمل عليه [الكتاب] من الظلم والعدوان والخطأ والخبط والتخليط والغُلوّ والتشنيع والتلبيس.

ويقول (ص ٢١) متضمّن للتحامل والهوى وسوء الأدب والكلام بلا علم.

وقال (الصارم ص ٤٤): هذا المعترض المخذول.

وقال (الصارم ص ٦٥) ارتكب امرًا يدل على جهله، أو على أنّه رجلٌ متّبع لهواه.

وقال (الصارم ص ٦٦): كلام المعترض مشتمل على الوهم والإبهام والخبط

---

(١) لاحظ كتاب (قاموس شتائم الألْباني تأليف العلامة الورع السيد حسن السقاف) والألباني واحد من دُعاة السفليّة البذيئة في عصرنا، ويبدو من اتحاد سيرته مع إمامه ابن تيمية وابن عبد الهادي أنّهم خلقوا من طينة خبيثة واحدة، نعوذ بالله منها.." [١]

١٣٣. "لاحظناه عند تخريجاتنا لمنقولاته، فوجدنا الأمانة التامة، والمحافظة على اختلافات الألفاظ حتى في الكلمة الواحدة.

وأما في علم الرجال، وفقه الحديث، وفنون العلم الاخرى فهو علاّمة نَيْقَد بصير.

وفي «الباب الثاني» أورد الأحاديث الدالة على المراد، من دون احتوائها على لفظٍ من مادّة «زار».

فذكر ما فيه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذا «الصلاة عليه».

وذكر فصلًا في علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمن يصلّي عليه، وسماعه سلام مَنْ يسلّم عليه من قرب، وإبلا غ الملائكة إليه سلام البعيد.

وفي دلالة كلّ ذلك على المراد يورد المناقشات والاحتمالات، ويبحث بحريّة من دون تعنّت.

وعقد «الباب الثالث» لذكر «ما ورد في السفر إلى زيارته صريحًا وبيان أن ذلك لم يزل قديمًا وحديثًا».

فأثبت فيه قيام الصحابة والتابعين، ومَنْ بعدهم، بالسفر وشدّ الرحل إلى قبر الرسول الأعظم من دون تحرّج، بل بكل رغبةٍ وشوق.

رادًّا بذلك على مزعومة ابن تيمية بعدم قيام الصحابة والتابعين ومَنْ يسمّيهم السلف، بذلك.

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٨

وفي «الباب الرابع»: ذكر تقرير الفقهاء للسفر إلى زيارة القبر الشريف.

ناقلًا عن فقهاء جميع المذاهب الأربعة هذا الحكم، وما ذكروه في كتب مناسك الحجّ من استحباب الزيارة وحكاية الإجماع على ذلك.

وفي هذا الباب ذكر حديث العُتْبي، وحكاية مالك مع المنصور العبّاسي، مما هو مشهور ومذكور في المؤلّفات.." (١)

١٣٤. "وأورد ذكر فتاوى مُخْتَلَقَةً منسوبة إلى علماء بغداد أنّهم ايّدوا فتوى ابن تيمية بمنع شد الرحال إلى الزيارة الشريفة.

ثمّ إنّ المؤلّف نقل نصّ فتوى لابن تيميّة جاء فيها التصريح بمنع أصل الزيارة للقبر النبوي الشريف، ولو بغير شدّ رحلٍ ولا سفرٍ.

وأجاب عمّا فيها من الشبه:

والشبهة الثانية: عدم مشروعية أصل الزيارة، وأنّها من البدع إلى آخر ما ذكره ابن تيمية من عدم فعل الصحابة والتابعين لها.

فردّ عليها المؤلّف بورود التشريع للزيارة بالنصّ الصحيح، وعدم وجود دليل عند ابن تيمية لما نفاه من فعل الصحابة والتابعين.

والشبهة الثالثة: ربطه بين الزيارة والشرك.

فقد فصّل المؤلّف في ردّ هذا التخيّل، وأن الزيارة لا ترتبط بالشرك، ولا يقصد بها سوى التبرّك والتعظيم، والشرك لا يكون إلّا بالعبادة واتخاذ الندّ والوثن، وليس شيء من هذا متصوّرًا في زيارة القبر النبويّ.

وأما الفصل الثاني فعقده لتتبّع كلماته.

فنقل أولًا نصّ الفتيا الرسمية التي كتبها ابن تيميّة، ووصلت إلى قضاة المذاهب الأربعة في مصر، فحاكموه على أساسها وسجنوه من أجلها، وكتب القضاة أحكامهم عليها.

ثمّ بدأ بالردّ عليها فقرةً، فقرةً، بما لم يبق لها قيمة علمية.

ثمّ عقد الباب الثامن في التوسل والاستغاثة والتشفّع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ذكر جواز التوسّل بالنبيّ، وأنّه على ثلاثة أنواع:

قبل خلقه، كتوسّل آدم وعيسى عليهما السلام به.

والتوسّل به بعد خلقه، وذكر حديث الأعمى المتوسّل به صلى الله عليه وآله وسلم.." (٢)

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٣

(٢) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٥٥

١٣٥. "السابع: في دفع شُبَه الخصم وتتبّع كلماته.

الثامن: في التوسّل والاستغاثة.

التاسع: في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

العاشر: في الشفاعة؛ لتعلّقها بقوله: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

وضمّنت هذا الكتاب الردّ على من زعم: أنّ أحاديث الزيارة كلّها موضوعة؟! (١) وأنّ السفر إليها بدعة غير مشروعة؟!

وهذه المقالة أظهر فسادًا من أن يردّ العلماء عليها، ولكنّي جعلت هذا الكتاب مستقلًّا في الزيارة وما يتعلّق بها، مشتملًا من ذلك على جملة يعزّ جمعها

---

(١) أوّل من ابتدع هذا القول، واجترأ على الحكم بالوضع على أحاديث الزيارة، هو أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية الحرّاني، وسيأتي نقل كلامه ص ١٠٩، ولاحظ: العقود الدريّة ص ٣٣٦، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧/ ١٨٩ قال بحروفه: «وما ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله فكلّها ضعيفة!، باتفاق أهل العلم بالحديث!! بل هي موضوعة!!!

لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئًا منها، ولم يحتج أحدٌ من الأئمة بشيء منها!!!» انتهى كلامه.

وكلّها دعاوى باطلة وكذب على أهل الحديث والأئمة وأهل السنن، كما سيتّضح لك في هذا الكتاب، فراجع (ص ٧٩ - ٨٠)، وراجع الباب (٧) منه خاصة.

وكذلك عمل جروه ابن عبد الهادي فقال: وجميع الأحاديث التي ذكرها ... في هذا الباب ليس فيها حديث صحيح بل كلّها ضعيفة واهية، وقد بلغ الضعف ببعضها!! إلى أن حكم عليه الأئمة الحفاظ بالوضع! كما أشار إليه شيخ الإسلام! الصارم المنكي ص ٢١.

وقد بدا تحريفه في كلمة (بعضها) مع أن شيخ إسلامه ابن تيمية أظهر الحكم فيها كلّها بقوله: «بل هي موضوعة!!».

وقد غفل ابن عبد الهادي عن هذه الحيلة، وعادَ، وصرّح كشيخه - بانّها كلها موضوعة في الصارم ص ١١٤ فظهر بذلك دَجَلُهُ وسوء صنيعه!

وكتب السيّد." (١)

١٣٦. "وقد صرّح الخصم بذلك في الكتاب الذي صنّفه في (الردّ على البكريّ) بعد عشر كراريس منه، قال: إنّ القائلين بالجرح والتعديل من علماء الحديث نوعان:

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٦٠

منهم من لم يرو إلّا عن ثقة عنده، كمالك، وشعبة، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمان بن مهديّ، وأحمد بن حنبل، وكذلك البخاريّ وأمثاله (١).

وقد كفانا الخصم بهذا الكلام مئونة تبيين أنّ أحمد لا يروي إلّا عن ثقة، وحينئذٍ لا يبقى له مطعن فيه.

وأمّا قول العقيليّ: إنّه لا يتابع عليه، وقول البيهقيّ: سواء قال: عبيد الله، أم عبد الله، فهو منكر عن نافع عن ابن عمر، لم يأتِ به غيره.

فهذا وما في معناه يدلّك على أنّه لا علّة لهذا الحديث عندهم إلّا تفرّد موسى به، وأنّهم لم يحتملوه له؛ لخفاء حاله، وإلّا، فكم من ثقة يتفرّد بأشياء ويُقبل منه؟!

وأمّا بعد قول ابن عديّ فيه ما قال، ووجود متابع، فإنّه يتعيّن قبوله، وعدم ردّه.

ولذلك - والله أعلم - ذكره عبد الحقّ رحمه الله (٢) في «الأحكام الوسطى» و «الصغرى» وسكت عنه.

وقد قال في خطبة «الأحكام الصغرى»: إنّه تخيّرها صحيحة الإسناد، معروفة عند النقّاد، قد نقلها الأثبات، وتداولها الثقات.

وقال في خطبة «الوسطى» وهي المشهورة اليوم ب «الكبرى»: إنّ سكوته عن الحديث دليل على صحّته فيما يعلم، وإنّه لم يتعرّض لإخراج الحديث المعتلّ كلّه،

---

(١) الرد على البكري، لابن تيمية، لم نعثر عليه في ما طبع لابن تيمية من مجموع الفتاوي وغيره، لكن ذكر اسمه في عداد (مجموع مؤلفاته ص ٦١ رقم ٢) وقال المؤلف: قطعة منه، ومصدره: برلين الغربية رقم (٣٩٦٨) وقال يعرف بالاستغاثة.

(٢) هو عبد الحقّ الاشبيلي، لاحظ رفع المنارة (ص ٢٨٠)..". [1]

١٣٧. "جاؤُكَ ...) الآية، وإنّي قد أتيت نبيّك مستغفرًا، فأسألك أن توجب لي المغفرة، كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهمّ إنّي أتوجّه إليك بنبيّك صلى الله عليه وآله وسلم ... وذكر دعاء طويلًا.

ثمّ قال: وإذا أراد الخروج عاد إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فودّع.

وانظر هذا المصنّف من الحنابلة - الذين الخصم متمذهب بمذهبهم (١) -، كيف نصّ على التوجّه بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم!

وكذلك أبو منصور الكرمانيّ من الحنفيّة قال: إن كان أحد أوصاك بتبليغ السلام تقول: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان، يستشفع بك إلى ربّك

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٧٦

(١) دعوى ابن تيميّة أنّه على المذهب الحنبلي مشهورة، لكنّه مخالف له في عقائده بأصول الدين وأحكامه في فروع الدين، لاحظ للتوسع:

كتاب «دفع شُبَه من شَبَّه وتمرّد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد» للإمام تقي الدين الحِصْنِيّ، وهو مطبوع.

وكتاب «صلح الإخوان في الردّ على من قال على المسلمين بالشرك والكفران» للعلّامة داود بن سليمان النقشبندي العاني البغدادي، وهو مطبوع.

وانظر الصارم المنكي (ص ١٤٥) فقد نقل الأثرم عن أحمد بن حنبل: قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُلمس ويتمسّح به؟ قال: ما أعرف هذا، قلت: فالمنبر؟ قال: أما المنبر، فنعم.

وقد جاء عن ابن عمر انّه مسح على المنبر، ومن سعيد بن المسيب: في الرمانة.

قلت: انّهم يلصقون بطونهم بجدار القبر ورأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسّونه ويقومون ناحية فيسلّمون، فقال: نعم.

وهكذا صدّق أحمد بأنّ الناس كانوا يفعلون بجدار القبر، ولم يستنكره، ولم يكرهه ولم يكفر القائمين بمسح بطونهم بجدار القبر، كما يفعل السلفية المدعون للحنبلية في عصر ابن تيمية والوهابية اليوم! قطع الله أيديهم، وكفى القبر الشريف وزائريه الكرام شرورهم.

وانظر رفع المنارة (ص ٥٧ هـ) فقد نقل نصًّا قاطعًا عن الحافظ الذهبي في معجم الشيوخ (١/ ٧٣ – ٧٤) فيه عن أحمد انّه لم يرَ بأسًا بلمس القبر النبوي. وفيه كلام عجيب تكفّره عليه السلفيّة الأجلاف!."

(١)

١٣٨. "بالرحمة والمغفرة، فاشفع له.

وسنعقد لذلك بابًا في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وقال نجم الدين بن حمدان الحنبليّ في «الرعاية الكبرى»: ويسنّ لمن فرغ من نسكه زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقبر صاحبيه رضي الله عنهما، وله ذلك بعد فراغ حجّه، وإن شاء قبل فراغه.

وقد عقد ابن الجوزيّ في كتابه المسمّى «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» (١) بابًا في زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وذكر فيه حديث ابن عمر وحديث أنس رضي الله عنهم.

وقال الشيخ موفّق الدين بن قدامة المقدسيّ في كتاب «المغني» (٢) وهو من أعظم كتب الحنابلة التي يعتمدون عليها: فصل: يستحبّ زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر حديث ابن عمر من طريق الدارقطنيّ ومن طريق سعيد بن منصور عن حفص، وحديث أبي هريرة رضى الله عنه من طريق أحمد: «ما من أحد يسلّم عليّ عند قبري ... » (٣).

وكذلك نصّ عليه المالكيّة، وقد تقدّم حكاية القاضي عياض الإجماع.

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/١٥٨

وفي كتاب «تهذيب المطالب» (٤) لعبد الحقّ الصقليّ عن الشيخ أبي عمران المالكيّ: أنّ زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واجبة (٥).

---

(١) مثير العزم الساكن لابن الجوزي.

(٢) المغني لابن قدامة (٣/ ٥٥٨).

(٣) المغني لابن قدامة (٣/ ٥٨٨) وقد مرّ سابقًا.

(٤) في معجم المؤلفين (٥/ ٩٤) سمّاه: تهذيب الطالب! فلاحظ.

(٥) وجوب الزيارة نقله الأخنائي المالكي في ردّه على ابن تيمية كما في (الصارم ص ١٥٧). قال رحمه الله: وعُنِيَ السادة العلماء المجتهدين بالحضّ على ذلك والندب إليه وعلى ذلك والندب." [١]

١٣٩. "أنبيائهم مساجد» انتهى كلام ابن رشد.

وانظر كيف جعل عليه أن يأتيه للوداع، وبطريق الأولى السلام، وإنّما كراهة الإكثار لما ذكره، وأصل الاستحباب متّفق عليه.

[مناظرة الإمام مالك وأبي جعفر المنصور]

وقد روى القاضي عياض في «الشفاء» (١) قال: حدثنا القاضي أبو عبد الله محمّد ابن عبد الرحمن الأشعريّ، وأبو القاسم أحمد بن بقيّ [الحاكم]، وغير واحد فيما أجازوا به (٢)، قالوا: حدثنا أحمد بن عمر بن دلهاث، حدثنا عليّ بن فهر، حدثنا محمّد بن أحمد ابن الفرج، حدثنا عبد الله بن المنتاب، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا ابن حميد قال:

ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكًا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد؛ فإنّ الله تعالى أدّب قومًا فقال: (لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ...) الآية، ومدح قومًا: (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ...) الآية، وذمَّ قومًا، فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ ...) الآية، وإنّ حرمته ميّتًا كحرمته حيًّا.

فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

---

(١) الشفاء للقاضي عياض (٢/ ٢٠١ - ٢٠٦) فصل ٩.

ونقلها في الصارم (٢٦٣) عن اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٣٩٣ - ٣٩٤، وقد حاول

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/١٥٩

تضعيفها والحكم بأنها مغيّرة! وببطلان ذيلها!!!

وهكذا يُحاول فيما لا يوافق هواه!

(٢) في الصارم (٢٥٩): أجازوا فيه.." (١)

١٤٠. "وقال دعلج: هذا الحديث في «الموطّأ» (١) عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، وأنا به إسحاق بن النحّاس من طريق آخر إلى سعيد بن منصور حدثنا مالك به.

وروي عن ابن عون قال: سأل رجل نافعًا: هل كان ابن عمر يسلّم على القبر؟

قال: نعم، لقد رأيته مائة مرّة أو أكثر من مائة مرّة؛ كان يأتي القبر فيقوم عنده فيقول: السلام على النبيّ، السلام على أبي بكر، السلام على أبي.

وفي «الموطّأ» من رواية يحي بن يحيي الليثيّ عن ابن عمر: كان يقف على قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيصلّي على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أبي بكر وعمر.

وعن ابن القاسم والقعنبيّ: ويدعو لأبي بكر وعمر.

وقال في رواية ابن وهب: يقول المسلّم: السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته.

قال في «المبسوط»: ويسلّم على أبي بكر وعمر.

قال القاضي أبو الوليد الباجي: وعندي أنّه يدعو للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ «الصلاة» ولأبي بكر وعمر؛ لما في حديث ابن عمر من الخلاف.

وقال عبد الرزاق في مصنّفه: باب السلام على قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم (٢)، وروى فيه

---

(١) الموطأ لمالك.

أقول لم أجده فيه، ولعلّ نسخه مختلفة كرواياته، وقد نقل السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٣٧) قال: أخرج البيهقي عن ابن عمر أنه كان يأتي القبر فيسلّم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يمسّ القبر، ثمّ يسلّم على أبي بكر ثمّ على عمر.

(٢) المصنّف لعبد الرزاق (٣/ ٥٧٦) ح ٦٧٢٥. ويلاحظ ان القبر هنا لا يمكن تأويله بالمسجد كما يُحاول ابن تيمية! لأنّه لا معنى للسلام على المسجد، إلّا أن يدّعي أن المراد: السلام على باب المسجد، يعني السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على باب المسجد، فانّه مستحب، وليس مثل هذه التأويلات البعيدة بعيدًا عن عمل ابن تيمية وأتباعه!." (٢)

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/١٦٣

(٢) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/١٦٧

١٤١. "ولم أجد شيئًا يمكن أن يتعلّق به الخصم غير هذين الأثرين (١)، ومثلهما لا يعارض الأحاديث الصريحة الصحيحة، والسنن المستفيضة المعلومة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

بل لو صحّ عن الشعبيّ والنخعيّ التصريح بالكراهة، لكان ذلك من الأقوال الشاذّة التي لا يجوز اتّباعها والتعويل عليها؛ فإنّا نقطع ونتحقّق من الشريعة بجواز زيارة القبور للرجال، وقبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم داخل في هذا العموم.

ولكن مقصودنا إثبات الاستحباب له بخصوصه؛ للأدلّة الخاصّة، بخلاف غيره ممّن لا يستحبّ زيارة قبره لخصوصه، بل لعموم زيارة القبور، وبين المعنيين فرق كما لا يخفى.

فزيارته صلى الله عليه وآله وسلم مطلوبة بالعموم والخصوص.

بل أقول: إنّه لو ثبت خلاف في زيارة قبر غير النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يلزم من ذلك إثبات خلاف في زيارته؛ لأنّ زيارة القبر تعظيم، وتعظيم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واجب.

وأمّا غيره فليس كذلك.

---

(١) لاحظ استدلال ابن تيمية على منع الزيارة بأسخف من هذين، وهو أنّ مالكًا كره أن يُقال «زرت قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم» مجموع فتاوى (٢٧/ ٢٦) والصارم (ص ٣٢٨).

وأمثال ذلك من الحكايات التي (ينطبق عليها قوله في موضع آخر:) قد تكون صدقًا، وقد تكون كذبًا، وبتقدير أن تكون صدقًا فإنّ قائلها غير معصوم ومَنْ يعارض النقل الثابت عن المعصوم (في مشروعية الزيارة) بنقلٍ (من هذه الحكايات) غير ثابت حتى عن غير المعصوم؟ إلّا مَنْ يكون من الضالّين (المنحرفين عن تقديس الرسول وصحابته كالسلفية والوهابية) إخوان الشياطين.

وهذا من أسباب الشرك وتغيير الدين! بحكم ابن تيمية في مجموع فتاواه (٢٧/ ١٧١).." [1]

١٤٢. "يفعلون ذلك على وجه التقرّب به إلى الله عزوجل.

ومن تأخّر عنه من المسلمين فإنّما يتأخّر بعجز، أو تعويق المقادير، مع تأسّفه عليه، وودّه لو تيسّر له.

ومن ادعى أنّ هذا الجمع العظيم مجمعون على خطأ، فهو المخطئ.

فإن قلت: إنّ هذا ليس ممّا يسلّمه الخصم؛ لجواز أن يكون سفرهم ضمّ فيه قصد عبادة اخرى إلى الزيارة، بل هو الظاهر، كما ذكر كثير من المصنّفين في المناسك: أنّه ينبغي أن ينوي مع زيارته التقرّب بالتوجّه إلى مسجده صلى الله عليه وآله وسلم والصلاة فيه.

والخصم ما أنكر أصل الزيارة، إنّما أراد أن يبيّن كيفيّة الزيارة المستحبّة، وهي أن تضمّ إليها قصد المسجد، كما قاله غيره.

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/١٨٥

قلت: أمّا المنازعة فيما يقصده الناس (١)، فمن أنصف من نفسه، وعرف ما الناس عليه، علم أنّهم إنّما يقصدون بسفرهم الزيارة من حين يعرجون إلى طريق المدينة، ولا يخطر غير الزيارة من القربات إلّا ببال قليل منهم، ثمّ مع ذلك: هو مغمور بالنسبة إلى الزيارة في حقّ هذا القليل، وغرضهم الأعظم هو الزيارة، حتّى لو لم يكن ربّما لم يسافروا، ولهذا قلّ القاصدون إلى بيت المقدس مع تيسّر إتيانه وإن كان في الصلاة فيه من الفضل ما قد عرف.

فالمقصود الأعظم في المدينة الزيارة، كما أنّ المقصود الأعظم في مكّة الحجّ أو العمرة، وهو المقصود - أو معظم المقصود - من التوجّه إليها.

وإنكار هذا: مكابرة، ودعوى كون هذا الظاهر أشدّ.

وصاحب هذا السؤال إن شكّ في نفسه، فليسأل كلّ مَنْ توجّه إلى المدينة، ما

---

(١) لاحظ تدخّل ابن تيميّة في تحميله أغراضه ومقاصده، على الناس، واتهامهم بها، والرد على ذلك. ص ٢٥٨، ٢٦٠ و ٢٧٧.." (١)

١٤٣. "الزيارة فقط، والسفر المباح، والسفر لغيرهما، ولا حاجة بنا إلى الكلام في ذلك.

وأمّا قولك في القسم الثاني من أقسام السفر: «ما يقصد به قصره على قصد الزيارة لا غير» فهذه العبارة تحتمل أمرين:

أحدهما: أن يقصد الزيارة، ويقصد أن لا يفعل معها قربة اخرى من تحيّة المسجد ولا غيرها، وهذا الأمر لا يقصده عاقل غالبًا، وليس هو المسئول عنه، فإنّ الناس إنّما يسألون عن الواقع منهم، وبهم حاجة إلى معرفة حكمه، فذكر هذا القسم هوس، وإرادته في فتيا العامّة بعبارة يفهمون منها العموم تضليل.

ثمّ إنّا نقول: ولو فرض ذلك، كان سفره قربة؛ لأنّه قصد به قربة، ولكن قصده ترك غيرها من القربات ليس بقربة.

الأمر الثاني: أن يقصد الزيارة، ولا يخطر بباله أمر آخر بنفي ولا إثبات، ولا وجه للتوقّف في كون ذلك قربة بعد العلم بكون الزيارة قربة، ووسيلة القربة قربة.

والظاهر من صاحب هذا السؤال أنّه أراد هذا الأمر الثاني، فإنّه الذي قال: إنّ الخصم إنّما أراد أن يبيّن كيفيّة الزيارة المستحبّة، وهي أن تضمّ إليها قصد المسجد، كما قاله غيره، وقدّمنا الكلام على ذلك.

ففي هذه القطعة من كلامه بيان أنّ شرط الاستحباب في الزيارة عند الخصم (١) وغيره، ضمّ قصد المسجد إليها، ومقتضى ذلك أنّ عند عدم الضمّ ينفي الاستحباب؛ سواء أراد عدم ما سواها من القرب أم لا؟

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢١٢

وهو يبيّن أنّ مراده فيما تقدّم – «بما يقصد قصره على قصد الزيارة لا غير» – المعنى الثاني الذي قدّمناه، وهو عدم قصد سواها، لا قصد عدمه، وقد

---

(١) لاحظ كلام ابن تيمية في حكم الزيارة وشرطها: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٧ / ص ٢٦ – ٣٤) وقد نسب فيه إلى الفقهاء أحكامًا لم يقولوا بها، واستفاد من الأحاديث معاني لا تفيدها، فراجع.." (١)

١٤٤. "وفيه فصلان:

[الفصل] الأوّل: في شبهه

وله ثلاث شبه:

[الشبهة الأولى حديث: «لا تشدّ الرحال ... » ألفاظه ومصادرها]

إحداها: فهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تُشَدُّ الرحالُ إلّا إلى ثلاثة مساجد»

فتوهّم الخصم أنّ في هذا منع السفر للزيارة (١).

وليس كما توهّمه، ونحن نذكر ألفاظ الحديث، ثمّ نذكر معناه إن شاء الله.

فنقول: هذا الحديث متّفق على صحّته عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وورد بألفاظ مختلفة:

أشهرها: «لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد

---

(١) عن استدلال ابن تيمية بهذا الحديث راجع مجموع فتاواه (ج ٢٧ ص ٢٦) ومواضع عديدة في هذا الجزء الخاص بالزيارة وشدّ الرحال إليها.." (٢)

١٤٥. "وليس هذا المقصود هنا، فإنّا نذكره إن شاء الله تعالى في موضع آخر (١).

وإنّما المقصود هنا أنّ الحضور عند القبر لسبب زيارة من فيه والدعاء مطلوب، وليس ذلك من باب قصد الأمكنة، ولا دلّ الحديث على امتناعه، ولا قال به أحد من العلماء.

[فتاوى مُخْتَلَقَة مزوّرة باسم علماء بغداد (٢)]

وقد أحضر إليّ بعض الناس صورة فتاوى منسوبة لبعض علماء بغداد في هذا الزمان، لا أدري هل هي مختلقة من بعض الشياطين الذين لا يحسنون؟ أو هي صادرة ممّن هو متّسم بسمة العلم، وليس من

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٢٧

(٢) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٣٣

أهله؟:

فأوّلها: فتيا مالكيّ قال فيها: قد نصّ الشيخ أبو محمّد الجويني في كتبه على تحريم السفر لزيارة القبور، وهو اختيار القاضي الإمام عياض في إكماله (٣).

---

(١) يأتي.

(٢) نسب هذه الفتاوى ولفظها السلفيّ محمد بن عبد الهادي الذي انتصر لابن تيميّة، وقد نقل نصّ فتواه، ثمّ عقّبها بقوله: وقد وصل ما أجاب به الشيخ في هذه المسألة إلى «علماء بغداد» فقاموا في الانتصار له، وكتبوا بموافقته، ورأيتُ خطوطهم بذلك، وهذه صورة ما كتبوا، العقود الدرية (ص ٣٤٢) ونقله في مجموع فتاوى ابن تيميّة (٢٧/ ١٩٣).

ثمّ أوردها، وهي كما عرفت بلا سَنَدٍ ولا صادرة عن اناسٍ معروفين بل كلّها أسماء نكرات، ومنقولاتهم فيها مزيّفة وكاذبة، واستدلالاتهم باطلة، كما ستعرف.

ولقد أغرق ابن عبد الهادي في التعصّب لما ادّعى في (الصارم ص ١٥) أن هذه الفتاوى مشهورة! ممّا شاع خبرها وذاع واشتهر أمرها وانتشر! وهي صحيحة ثابتة، متواترة!

ولاحظ المقارنة بين قوله (مشهورة) و (متواترة)!!

(٣) هذا النص في مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ١٩٧) وهو الجواب الثاني، كتبه محمد بن عبد الرحمن البغدادي الخادم للطائفة المالكية بالمدرسة الشريفة المستنصرية.." [1]

١٤٦. "ولقد كذب في هذا النقل عن الشيخ أبي محمّد والقاضي عياض جميعًا ... ثمّ أطال الكلام بما لا فائدة فيه.

وثانيها: فتيا شافعيّ قال فيها: إنّ المفهوم من كلام العلماء ونظّار العقلاء، أنّ الزيارة ليست عبادة وطاعة بمجرّدها (١).

فإن أراد المفهوم عنده فلا علينا منه، ونقول له: المفهوم عند العلماء خلافه.

ثمّ قال: إنّ من اعتقد جواز الشدّ إلى غير ما ذكر أو وجوبه أو ندبه، كان مخالفًا لصريح النهي، ومخالفة النهي معصية إمّا كفرا وغيره؛ على قدر المنهيّ عنه ووجوبه وتحريمه.

ويكفي هذا الكلام ضحكةً على ما قاله أن يجعل المنهيّ عنه منقسمًا إلى وجوب وتحريم، دع سوء فهمه للحديث.

وثالثها: فتيا آخر شارك فيها الأوّل في النقل عن الشيخ أبي محمّد والقاضي عياض.

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٤٤

وقد تقدّم جوابه، وأساء الفهم في الحديث، كما أساءه غيره.

ورابعها: فتيا آخر ليس فيها طائل.

وكلّهم خلط مع ذلك ما لا طائل تحته، والأقرب أنّها مختلقة، وأنّ مثلها لا يصدر عن عالم، وإنّما ذكرتها هنا لتضمّنها النقل عن الشيخ أبي محمّد والقاضي عياض الذي تعرّضت هنا لإفساده.

---

(١) هذا النص في مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ١٩٦) وهو الجواب الأول لمحرّره ابن الكتبي الشافعي.." (١)

١٤٧. "[ابن تيميّة يمنع الزيارة مطلقًا، لا شدّ الرحل إليها فقط] (١)

تنبيه: قد يتوهّم من استدلال الخصم بهذا الحديث: أنّ نزاعه قاصر على السفر للزيارة، دون أصل الزيارة.

وليس كذلك، بل نزاعه في الزيارة أيضًا؛ لما سنذكره في الشبهتين الثانية والثالثة، وهما:

كون الزيارة على هذا الوجه المخصوص بدعة.

وكونها من تعظيم غير الله المفضي إلى الشرك، وما كان كذلك كان ممنوعًا.

وعلى هاتين الشبهتين بنى كلامه، وأصل الخيال الذي سرى إليه منهما لا غير، وهو عامّ في الزيارة والسفر إليها.

---

(١) لقد كذّب ابن عبد الهادي هذه النسبة، ونفى أن يكون ابن تيمية منع عن مطلق الزيارة، وهو عمدة عمله في الصارم المنكي، لكن ما نقله المصنّف من كلام ابن تيميّة واضح الدلالة على ذلك، وقد أفردنا له كتاب «الزيارة» فراجع.

ثمّ أورد ابن عبد الهادي أجوبة اخرى بعنوان: «ووقفت على كتاب ورد مع أجوبة أهل بغداد وصورته: ... »، وقد ذكر هذا مكررًا، وذكر أجوبة ليس فيها طائل، كما ذكر المؤلّف الإمام السبكي.

وهكذا يعتمد على الرقاع والمكاتيب التي لا سند لها ولا خطم ولا أزمّة، ويعتبرها شيئًا، بينما لو فعل غير السلفية هذا، لأقامت الدنيا وما أقعدتها؟ باعتبار اعتماد شيء لا سند له، وهي الرقاع، والمكاتيب، إلى آخر حملاتهم الشنعاء على أهل العلم وكتب العلم، وأنهم صحفيون!!

ثمّ ما حجّة كلام هؤلاء، أمام الحجج الشرعية والنصوص الإلهية والنبوية الدالّة على مشروعيّة أعمال العباد القاصدين بها القربة وامتثال أوامر الرسول والأئمّة الامناء على الناس دينًا ودنيًا.

ثمّ لما ذا خصّت بغداد وعلماؤها الأعلام! بهذا النقض للأحكام الصادرة من سلطان مصر؟ أليس

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٤٥

يستشم منها رائحة السياسة التي يسير في فلكها السلفية الأميريّون أتباع الحكّام الظلمة والامراء الفسقة في كل عصر ومصر!." (١)

١٤٨. "ولهذا يدّعي هو: أنّ الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كلّها ضعيفة، بل موضوعة (١).

ويستدلّ بقوله: «لا تتخذوا قبري عيدًا» وبقوله: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

وبأنّ هذا كلّه محافظة على التوحيد، وأن اصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد، كما سنذكر ذلك في نصّ كلامه المنقول عنه.

وقد رأيت أيضًا فتيا بخطّه، ونقلت منها ما أنا ذاكره، قال فيها – ومن خطّه نقلت –:

[نصّ فتوى قديمة لابن تيمية]

وأمّا السفر للتعريف عند بعض القبور، فهذا أعظم من ذلك، فإنّ هذا بدعة وشرك، فإنّ أصل السفر لزيارة القبور ليس مشروعًا، ولا استحبّه أحد من العلماء، ولهذا لو نذر ذلك لم يجب عليه الوفاء به بلا نزاع بين الأئمّة.

ثمّ قال: ولهذا لم يكن أحد من الصحابة والتابعين – بعد أن فتحوا الشام، ولا قبل ذلك – يسافرون إلى زيارة قبر الخليل عليه السلام ولا غيره من قبور الأنبياء التي بالشام، ولا زار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك ليلة اسري به.

والحديث الذي فيه: «هذا قبر أبيك إبراهيم فانزل فصلّ فيه، وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى، انزل فصلّ فيه» كذب لا حقيقة له.

وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين سكنوا الشام، أو دخلوا إليه ولم يسكنوه، مع عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه وغيره، لم يكونوا يزورون شيئًا من هذه

---

(١) لاحظ مواضع هذه العبارة في كلام ابن تيميّة وجروه ابن عبد الهادي في أول تعليقة لنا على هذا الكتاب (ص ٦٠).." (٢)

١٤٩. "انتهى ما أردت نقله من كلام ابن تيمية رحمه الله من خطّه، وأنا عارف بخطّه (١).

وهو يدلّ على ما ذكرناه: من أنّ نزاعه في السفر والزيارة جميعًا، غير أنّه كلام مختبط؛ في صدره ما

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٤٦

(٢) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٤٧

يقتضي منع الزيارة مطلقًا، وفي آخره ما يقتضي أنّها إن كانت للسلام عليه والدعاء له جازت، وإن كانت على النوع الآخر الذي ذكره لم يجز.

وبقي قسم لم يذكره: وهو أن تكون للتبرّك به من غير إشراك به.

فهذه ثلاثة أقسام:

أوّلها: السلام والدعاء له.

وقد سلّم جوازه، وأنّه شرعيّ، ويلزمه أن يسلّم جواز السفر له، فإن فرّق في هذا القسم بين أصل الزيارة وبين السفر – محتجًّا بالحديث المذكور – فقد سبق جوابه.

والقسم الثاني: التبرّك به والدعاء عنده للزائر.

وهذا القسم يظهر من فحوى كلام ابن تيمية رحمه الله أنّه يلحقه بالقسم الثالث، ولا دليل له على ذلك، بل نحن نقطع ببطلان كلامه فيه، وأنّ المعلوم من الدين وسير

---

(١) هذه الفتوى لم ينقلها أحد من أتباع ابن تيميّة، والظاهر أنّها الفتوى القديمة في مسألة الزيارة التي قال عنها ابن عبد الهادي في (العقود ص ٣٢٧) «وكان للشيخ في هذه المسألة كلام متقدّم أقدم من الجواب المذكور بكثير، وذكره في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» وغيره وفيه ما هو أبلغ من هذا الجواب الذي ظفروا به.

أقول: وقد ذكرنا أن الإمام السبكي إنّما ألّف كتاب (شفاء السقام) في مصر حوالي سنة (٧١٦) واعتمد كما يقول هنا، على هذه الفتوى، وهي صريحة في منع ابن تيميّة لمطلق زيارة القبر المعظّم، مضافًا إلى منعه لشدّ الرحال إلى زيارته، كما أثبته السبكي هنا.

ونفس هذه المقاطع الدالّة على منعه لمطلق الزيارة، مبثوثة في كتبه، ومجموع فتاواه، وفي النقول عنه، فلاحظ كتابه: الجواب الباهر – وهو الذي كتبه بعد تكفير علماء الامّة له – وطبع في مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤١٤ – ٤٤٤) و (ج ١٧ ص ٤٦١) وانظر (١٥/ ١٥٤ و ١٤٣ – ١٤٤) والردّ على الأخنائي ومختصره في المجموع (٢٧/ ١١٤ – ٢٨٨) واقتضاء الصراط، وغيرها.." [١]

١٥٠. "الجهل محمود على زيارته وسفره، مذموم على جهله وبدعته (١).

وأمّا طلب الحوائج عند قبره صلى الله عليه وآله وسلم، فسنذكره في باب الاستغاثة بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم (٢):

ولنتكلّم على الشبهة الثانية والثالثة اللتين بنى ابن تيمية رحمه الله كلامه عليهما:

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٤٩

[مشروعية الزيارة]

أمّا الشبهة الثانية:

وهي كون هذا ليس مشروعًا، وأنّه من البدع التي لم يستحبّها أحد من العلماء؛ لا من الصحابة، ولا من التابعين ومن بعدهم.

فقد قدّمنا سفر بلال من الشام إلى المدينة لقصد الزيارة.

وأنّ عمر بن عبد العزيز كان يجهّز البريد من الشام إلى المدينة للسلام على النبيّ عليه الصلاة والسلام.

وأنّ ابن عمر كان يأتي قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيسلّم عليه وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهم.

وكلّ ذلك يكذّب دعوى: أنّ الزيارة والسفر إليها بدعة.

ولو طولب ابن تيمية رحمه الله بإثبات هذا النفي العامّ، وإقامة الدليل على صحّته، لم يجد إليه سبيلًا.

فكيف يحلّ لذي علم أن يُقْدِمَ على هذا الأمر العظيم بمثل هذه الظنون، التي مستنده فيها أنّه لم يبلغه، وينكر به ما أطبق عليه جميع المسلمين شرقًا وغربًا في سائر الأعصار؛ ممّا هو محسوس خلفًا عن سلف، ويجعله من البدع؟!

---

(١) لاحظ ما ذكره الذهبي، ونقلناه (ص ١٧٤).

(٢) سيأتي في الباب الثامن.." [1]

١٥١. "فإن قلت: إنّ الذي كان يفعله السلف من النوع الأوّل؛ وهو السلام والدعاء له، دون النوع الثاني والثالث.

قلنا: أمّا الثالث فلا استرواح إليه؛ لأنّا نبعد كلّ مسلم منه.

وأمّا النوع الأوّل والثاني، فدعوى كون السلف كلّهم كانوا مطبقين على النوع الأوّل؛ وأنّه شرعيّ، وكون الخلف كلّهم مطبقين على الثاني؛ وأنّه بدعة، من التخرّص الذي لا يقدر على إثباته، فإنّ المقاصد الباطنة لا يطّلع عليها إلّا الله تعالى.

فمن أين له أنّ جميع السلف لم يكن أحد منهم يقصد التبرّك، أو أنّ جميع السلف لا يقصدون إلّا ذلك؟!

ثمّ إنّه قال فيما سنحكيه من كلامه: «إنّ أحدًا لا يسافر إليها إلّا لذلك»؛ يعني لاعتقاده أنّها قربة، وأنّه متى كان كذلك كان حرامًا.

ولا شكّ أنّ بلالًا وغيره من السلف – وإن سلّمنا أنّهم ما قصدوا إلّا السلام – فإنّهم يعتقدون أنّ ذلك

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٥١

قربة.

فلو شعر ابن تيمية رحمه الله أنّ بلالًا وغيره من السلف فعل ذلك، لم ينطق بما قال، ولكنّه قام عنده خيال: أنّ هذه الزيارة فيها نوع من الشرك، ولم يستحضر أنّ أحدًا فعلها من السلف، فقال ما قال وغلط رحمه الله فيما حصل له من الخيال، وفي عدم الاستحضار.

ودعواه: «أنّه لو نذر ذلك، لم يجب عليه الوفاء به بلا نزاع من الأئمّة».

نحن نطالبه بنقل هذا عن الأئمّة.

وتحقيق أنّه لا نزاع بينهم فيه.

ثمّ بتقرير كون ذلك عامًّا في قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وغيره.

ليحصل مقصوده في هذه المسألة التي تصدّينا لها.." (١)

١٥٢. "ذلك من إطلاق القول: بأنّ الصلاة قربة أو واجبة.

فهكذا أيضًا الزيارة من حيث هي قربة؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «زوروا القبور» وإن كان بعض أنواعها يقع على وجه منهيّ عنه، فيكون ذلك الوجه منها منهيًّا عنه وحده، والحكم بالابتداع على هذا النوع لا يضرّنا، ونحن نسلّمه، ونمنع من يفعله، والحكم بالابتداع على المطلق عين الابتداع.

[القبور والشرك]

وأمّا الشبهة الثالثة: وهي أنّ من الشرك بالله تعالى اتخاذ القبور مساجد، كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى: (قالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُواعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا).

قالوا: كان هؤلاء قومًا صالحين في [عهد] نوح، فلمّا ماتوا عكفوا على قبورهم، ثمّ صوّروا على صورهم تماثيل، ثمّ طال عليهم الأمد فعبدوها.

وتخيّل ابن تيمية: أنّ منع الزيارة والسفر إليها من باب المحافظة على التوحيد، وأنّ فعلها ممّا يؤدّي إلى الشرك.

وهذا تخيّل باطل؛ لأنّ اتخاذ القبور مساجد، والكعوفَ عليها، وتصويرَ الصور فيها، هو المؤدّي إلى الشرك، وهو الممنوع منه، كما ورد في الأحاديث الصحيحة، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» (١) يحذّر ممّا صنعوا.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا أخبر بكنيسة بأرض الحبشة: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا، ثمّ صوّروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٥٢

(١) صحيح البخاري (١/ ١١٠ و ١١٢ و ١١٣) و (٢/ ٩١ و ١٠٦) و (٤/ ١٤٤) و (٥/ ١٣٩ و ١٤٠) و (٧/ ٤١) وصحيح مسلم (٢/ ٦٧).." [١]

١٥٣. "الفصل الثاني:

في تتبّع كلماته

وقد سبق تتبّع ما نقلته من خطّه في فتيا لم يسأل فيها عن الزيارة قصدًا، بل جاء ذكرها تبعًا للكلام في المشاهد.

والذي اتصل عنه بالدولة نسخة فتيا نقلت من خطّه، وعلى رأسها بخطّ قاضي القضاة جمال الدين ما صورته:

قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب دونه، في هذه الورقة، على خطّ تقيّ الدين ابن تيمية، فصحّ، سوى ما علّم عليه بالأحمر، فإنّ مواضعه من الورقة التي بخطّه وجدتها واهية، وليس ذلك بمحزّ، إنّما المحز جعله زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقبور سائر الأنبياء عليه السلام معصية بالإجماع، مقطوعًا بها.

وكتب محمّد بن عبد الرحمن القزوينيّ الشافعيّ.." [٢]

١٥٤. "وقد علّم عليها الآن بالأسود في هذه النسخة (١):

بسم الله الرحمن الرحيم

ما يقول السادة العلماء أئمّة الدين – نفع الله بهم المسلمين – في رجل نوى زيارة (قبر نبيّ من الأنبياء) (٢) مثل نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وغيره، فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة؟ وهل هذه الزيارة شرعيّة أم لا؟

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «من حجّ ولم يزرني فقد جفاني» و «من زارني بعد موتي كمن زارني في حياتي».

وقد روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «لا تشدّ الرحال إلّا [إلى ثلاثة مساجد] المسجد الحرام، والمسجد الأقصى (٣)، ومسجدي هذا».

أفتونا مأجورين.

[صورة فتوى ابن تيميّة التي استنكرها علماء الملّة الإسلاميّة]

صورة ما وجد بخطّ تقي الدين بن تيمية رحمه الله مكتوبًا تحت هذا السؤال، جوابًا عنه:

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٥٧

(٢) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٦١

الحمد لله [ربّ العالمين].

أمّا من سافر لمجرّد زيارة قبور الأنبياء والصالحين، فهل يجوز له قصر الصلاة؟ على قولين معروفين:

---

(١) أورد هذه الفتوى ابن عبد الهادي في (العقود الدرية) ص (٣٣٢ – ٣٤٠) ونقلها في مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٧/ ١٨٢) وقد قابلنا المطبوع في كتابنا بما فيهما، ووضعنا ما أُضيف بين المعقوفين.

(٢) في المجموع: (قبور الأنبياء والصالحين).

(٣) فيه تأخير (والمسجد الأقصى).." [(١)]

١٥٥. "أحدهما: – وهو قول متقدّمي العلماء الذين لا يجوّزون القصر في سفر المعصية، كأبي عبد الله بن بطة، وأبي الوفاء بن عقيل، وطوائف كثيرة من العلماء المتقدّمين – أنّه لا يجوز القصر في مثل هذا السفر؛ لأنّه سفر منهيّ عنه.

ومذهب مالك والشافعيّ وأحمد: أنّ السفر المنهيّ عنه في الشريعة لا يقصر فيه.

والقول الثاني: أنّه يقصر فيه، وهذا قول من يجوّز القصر في السفر المحرّم، كأبي حنيفة رحمه الله، ويقوله بعض المتأخّرين من أصحاب الشافعيّ وأحمد ممّن يجوّز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين، كأبي حامد الغزاليّ، وأبي الحسين بن عبدوس الحرّاني، وأبي محمّد بن قدامة المقدسيّ، وهؤلاء يقولون: إنّ هذا السفر ليس بمحرّم؛ لعموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «زوروا القبور».

وقد يحتجّ بعض من لا يعرف الأحاديث بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كقوله: «من زارني بعد مماتي فكأنّما زارني في حياتي» رواه الدارقطنيّ وابن ماجة (١).

وأمّا ما يذكره بعض الناس من قوله: «من حجّ ولم يزرني فقد جفاني» فهذا لم يروه أحد من العلماء، وهو مثل قوله: «من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد، ضمنت له على الله الجنة» فإن هذا أيضًا باطل باتفاق العلماء لم يروه أحد، ولم يحتجّ

---

(١) سنن الدارقطني

وهكذا نقله ابن تيميّة عن ابن ماجة، وسيأتي (ص ٢٧٢) ردّ المصنّف عليه أنّه ليس في سنن ابن ماجة، وهو كذلك، ولكن المحقّق السلفيّ (الأمين!) للعقود الدرية حذف كلمة (وابن ماجة) فلاحظ (ص ٣٣٣)!! والغريب ان ابن عمّه جامع (مجموع فتاوى ابن تيميّة) أثبته فيه (٢٧/ ١٨٥) فلاحظ الجمع

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٦٢

بين الخيانة والغباء.

وقد مرّ نقله عن العقيلي في الضعفاء في الحديث (١٣) من الباب الأول، فراجع.." [1]

١٥٦. "والله سبحانه أعلم، كتبه أحمد بن تيمية.

هذا صورة خطّه من أوّل الجواب إلى هنا (١).

[الردّ على فتوى ابن تيميّة]

قلت: أمّا قوله: «من سافر بمجرّد زيارة قبور الأنبياء والصالحين، فهل يجوز له قصر الصلاة؟ على قولين معروفين».

فيرد عليه فيه أسئلة:

أحدها: أنّ زيارة قبور الأنبياء والصالحين إمّا أن تكون عنده قربة، أو مباحة، أو معصية.

فإن كانت معصية فلا حاجة إلى قوله: «مجرّد» فإنّ القولين في سفر المعصية سواء تجرّد قصد المعصية، أم انضمّ إليه قصد آخر.

وإن كانت قربة لم يجر فيها القولان، بل يقصر بلا خلاف.

وإن كانت مباحة، فالمسافر لذلك له حالتان:

إحداهما: أن يسافر معتقدًا أنّ ذلك من المباحات المستوية الطرفين، فيجوز القصر أيضًا بلا خلاف، ولا إشكال في ذلك، كالسفر لسائر الأُمور المباحة.

والثانية: أن يسافر معتقدًا أنّ ذلك قربة وطاعة، وهذا سيأتي الكلام فيه.

وعلى تقدير أن يسلّم له ما يقول، يكون كلامه هنا مطلقًا في موضع التفصيل، فهو على التقديرين الأوّلين خطأ صريح، وعلى التقدير الثالث خطأ بالإطلاق في موضع التفصيل.

السؤال الثاني: أنّه بنى كلامه في ذلك على أنّ هذا السفر مختلف في تحريمه،

---

(١) قابلناه على النسخة المطبوعة في مجموع فتاوى ابن تيميّة (٢٧ / ص ١٨٤ - ١٩٢) وأثبتنا الفوارق هنا باسم (المجموع).." [2]

١٥٧. "فقد قدّمنا إنكار هذا الخلاف، وأنّه لم يتحقّق صحّته إلّا ما وقع في كلام ابن عقيل، وقد قدّمنا الكلام عليه.

وعلى تقدير صحّته وعدم تأويله، لم يتعرّض فيه لقبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولا يجوز أن ينقل

---

[1] شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٦٣

[2] شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٧٠

عنه فيه بخصوصه شيء، من إطباق الناس على السفر إليه.

وابن تيمية رحمه الله نقل المنع من القصر فيه عن ابن بطة، وابن عقيل، وطوائف كثيرين من العلماء المتقدّمين.

وهو مطلوب بتحقيق هذا النقل؟ وتبيين هؤلاء الطوائف الكثيرين من المتقدّمين؟

السؤال الثالث: أنّه جعل المنع من القصر قول متقدّمي العلماء، كابن بطة، وابن عقيل، فجعل ابن عقيل من المتقدّمين.

ثمّ جعل القول بجواز القصر قول أبي حنيفة رحمه الله وبعض المتأخّرين من أصحاب الشافعيّ وأحمد، كالغزاليّ وغيره.

والغزالي في طبقة ابن عقيل، بل تأخّرت وفاته عنه، فإنّ وفاة الغزاليّ في سنة خمس وخمسمائة، ووفاة ابن عقيل في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، فكيف يجعل ابن عقيل من المتقدّمين، والغزالي من المتأخّرين؟!

وليس ابن تيمية رحمه الله ممّن يخفى عنه طبقتهما، فإن كان مراده بجعله ابن عقيل من المتقدّمين أن [يقوّيَ] قوله عند العوام لاختياره إيّاه، وبجعله الغزاليّ من المتأخّرين أن يضعّف قوله عند العوامّ، فليس ذلك صنيع أهل العلم!

وقوله: إن «من زارني بعد مماتي فكأنّما زارني في حياتي» رواه ابن ماجة، ليس كذلك؛ لم أره في «سنن ابن ماجة» (١).

---

(١) لم يخرجه ابن ماجة. وقد مرّ أنّ هذا من جهل ابن تيميّة بالحديث وهذا من موارد جهل ابن." [١]

١٥٨. "هذا من البهت الصريح، وقد قدّمنا من فعل ذلك من الصحابة والتابعين، ومن استحبّه من علماء المسلمين وأئمّتهم، فجحد ذلك مباهتة.

ثمّ قوله: «قالوا»

وجعله ذلك على لسان غيره، إن كان مراده به أن يخلص من تبعته عند المخالفة، فليس ذلك من دأب العلماء.

ثمّ هو مطلوب بنقل هذا القول برمّته عن المتقدّمين الذين نسبه إليهم، أو عن بعضهم!

ثمّ نسبة ذلك إلى غيره لا تخلّصه؛ لأنّه إنّما حكاه حكاية من يرتضيه وينتصر له، ويفتي به العوامّ، ويغريهم على اعتقاده، ولا يفرّق العاميّ الذي يسمع هذه الفتيا بين أن يذكره عن نفسه، أو حاكيًا عن غيره.

وقوله: «وهذا ممّا ذكره أبو عبد الله بن بطة في «إبانته الصغرى»».

قلنا: قد ذكرنا عن ابن بطة في الإبانة ما يخالف هذا في حقّ قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٧١

ورأيت من يذكر أنّ لابن بطة إبانتين، وأنّ الذي نقله ابن **تيمية** رحمه الله من الصغرى، والذي نقلناه من الكبرى، فإن صحّ ذلك، وصحّ ما نقله ابن بطة في الصغرى، فيحمل على غير قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم توفيقًا بين الكلامين.

وإن قال ابن بطة خلاف ذلك، لم يُلتفت إليه.

وقد ذكر الخطيب ابنَ بطة في «تأريخ بغداد» (١) وحكى كلام المحدّثين فيه من جهة دعوى سماع ما لم يسمع، وقول أبي القاسم الأزهريّ فيه: إنّه ضعيف، ضعيف، ضعيف، ليس بحجّة.

وذكر عنه، عن البغويّ، عن مصعب، عن مالك، عن الزهريّ، عن أنس،

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب." (١)

١٥٩. "عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم» وقال: إنّه باطل من حديث مالك ومن حديث مصعب عنه، ومن حديث البغويّ عن مصعب، وهو موضوع بهذا الإسناد، والحمل فيه على ابن بطة، هكذا قال في التاريخ.

وحكى مع ذلك أيضًا: أنّه كان شيخًا صالحًا مستجاب الدعوة، فالله تعالى يسلّمنا من اثمِهِ.

وإنّما أردنا أن نبيّن حاله ليعلم الناظر: أنّه على تقدير صحّة النقل عنه ليس ممّن يبعد في كلامه الخطأ.

وقوله: «إنّ قول أبي محمّد المقدسيّ: إنّ قوله: «لا تشدّ الرحال» محمول على نفي الاستحباب، يحتمل وجهين: أحدهما: أنّ هذا تسليم منه أنّ هذا السفر ليس بعمل صالح، ولا قربة، ولا طاعة، ولا هو من الحسنات، فإذن من اعتقد في السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين أنّها قربة وعبادة وطاعة، فقد خالف الإجماع.

واعلم: أنّ هذا الكلام في غاية الإيهام والفساد.

أمّا الإيهام، فلأنّ بعض من يراه يتوهّم: أنّه استنتج ممّا سبق انعقاد الإجماع على أنّ ذلك ليس بقربة، ونحن قد قدّمنا عن الليث بن سعد وبعض المالكيّة ما يقتضي؛ أنّ السفر إلى غير المساجد الثلاثة قربة، فبطل التعرّض لدعوى الإجماع، وإنّما مقصود ابن **تيمية** رحمه الله إلزام أبي محمّد المقدّسي على قوله: إنّ «لا تشدّ الرحال» محمول على نفي الاستحباب.

وعلى تقدير أنّ هذا تسليم منه، لأنّ هذا السفر ليس بعمل صالح، فغاية ما يلزم من هذا أنّ هذا السفر ليس بقربة، وأنّ من اعتقد أنّه قربة فقد خالف أبا محمّد.

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٧٣

وأين ذلك من مخالفة الإجماع؟!

وأمّا فساده، فلأنّ أبا محمّد إنّما تكلّم في جواز القصر، ومقصوده إثبات." [1]

١٦٠. "الإباحة، فإنّها كافية فيه، فنفى توهّم التحريم بحمل الحديث على نفي الفضيلة؛ أي لا يستحبّ شدّ الرحال إلى مكان إلّا إلى الثلاثة.

ومع هذا لا بدّ فيه من تأويل؛ لأنّ السفر مستحبّ لطلب العلم وغيره إلى غيرها.

فالمقصود لا يستحبّ إليها من حيث هي، وقد يكون هناك أمر آخر يقتضي الاستحباب أو الوجوب، ولا مانع بكون قصد زيارة شخص مخصوص أو أشخاص، ممّا يقتضي الاستحباب، ولم يتعرّض أبو محمّد لذلك؛ لأنّه لم يتكلّم فيه، وإنّما تكلّم في جواز القصر، فاقتصر على ما يكفي فيه؛ وهو إثبات الإباحة.

وقوله: «وإذا سافر لاعتقاده أنّها طاعة، كان ذلك محرّمًا بإجماع المسلمين، فصار التحريم من الأمر المقطوع به».

هذا أيضًا موهم وفاسد:

أمّا إيهامه، فلأنّ كثيرًا ممّن يسمعه يظنّ أنّ هذا كلام مبتدأ، ادعي فيه انعقاد الإجماع على التحريم، وأنّ ذلك مقطوع به، وكأنّ ابن تيمية أراد ذلك، وجعله معطوفًا على إلزام الشيخ أبي محمّد، حتّى إذا حوقق فيه يتخلّص من دركه بجعله معطوفًا.

وليس هذا دأب من يبغي الإرشاد، بل من يبغي الفساد.

وأمّا فساده، فلأنّا لو سلّمنا أنّ السفر ليس بطاعة بالإجماع، فسافر شخص معتقدًا أنّه طاعة، كيف يكون سفره محرّمًا بإجماع المسلمين، أو على قول عالم من علماء المسلمين؟!

فإنّ من فعل مباحًا معتقدًا أنّه قربة لا يأثم، ولا يوصف ذلك بكونه محرّمًا، بل إن كان اعتقاده ذلك لما ظنّه دليلًا، وليس بدليل، وقد بذل وسعه في ذلك، كان مثابًا عليه بمقتضى ظنّه، وإلّا كان جهلًا، ولا إثم عليه فيه، ولا أجر، وفعله." [2]

١٦١. "فهذا الكلام من ابن تيمية رحمه الله يقتضي تضليل الناس كلّهم، القاصدين لزيارة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومعصيتهم.

وهذه عثرة لا تقال، ومصيبة عظيمة، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

وقوله: «وأمّا إذا قدّر أنّ الرجل يسافر إليها لغرض مباح، فهذا جائز، وليس من هذا الباب».

مفهوم هذا الكلام أنّ غرض الزيارة ليس بمباح.

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٧٤

(٢) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٧٥

وقوله: «الوجه الثاني: أنّ النفي يقتضي النهي، والنهي يقتضي التحريم».
ظاهر صدر كلامه أنّ كلام أبي محمّد يحتمل وجهين هذا ثانيهما، وإنّما يتّجه هذا الوجه الثاني على سبيل الردّ لقول أبي محمّد؛ يعني أنّ حمله على نفي الاستحباب خلاف الظاهر؛ لأنّه نفي، والنفي يقتضي النهي، والنهي يقتضي التحريم.
وجواب هذا بالدليل المانع من حمله على التحريم، وتعيّن المصير إلى المجاز.
على أنّ هذه العبارة فاسدة؛ لأنّ النفي لا يقتضي النهي، وإنّما يستعمل فيه على سبيل المجاز، نعم قد يقال: بأنّ النهي يقتضي النفي على العكس ممّا قال، أمّا كون النفي يقتضي النهي فلا يقول به أحد، وإنّما مراده أنّه نفي بمعنى النهي.
وإذا عرف هذا، فلأبي محمّد أن يقول: لا شكّ أنّ حقيقة النفي خبر؛ لا يقتضي تحريمًا، ولا كراهة.
والنهي له معنيان؛ أحدهما: هو فيه حقيقة؛ وهو التحريم، والآخر: هو فيه مجاز؛ وهو الكراهة.
فإذا صرف النفي عن حقيقة الخبريّة إلى معنى النهي، احتمل أن يستعمل في التحريم أو الكراهة، وأيّا ما كان فاستعماله فيه مجاز؛ لأنّ الخبر غير موضوع له، فإنّ رجح استعماله في التحريم لبعض المرجّحات، كان ذلك من باب ترجيح بعض المجازات على بعض، وقد يكون ذلك الترجيح معارضًا بترجيح آخر.." (١)

١٦٢. "القبلة، ولا يستقبل القبر» فهل لهذا مدخل في الزيارة؟!
ولفظة [مكذوبة] (١).
مَنْ كان من العوام يربأ بنفسه عن هذا الكلام، فضلًا عن علماء الإسلام!؟!.
وقد طالعت عدّة كتب من كتب المالكيّة، فلم أرَ فيها عن أحد المنع من استقبال القبر في الدعاء، ولا كراهة ذلك، ولا أنّه خلاف الأولى، غير ما قدّمته عن «المبسوط» وليس ذلك في أنّه يدعو غير مستقبل، كما ادعاه ابن تيمية!
والذي ادعى ابن تيمية أنّه مذهب مالك، ومذهب جميع العلماء، وأنّه إذا سلّم مستقبل القبر، وأراد الدعاء استدبر القبر، ولأجله ردّ الحكاية المذكورة عنه، لم نلقه في شيء من كتب المالكيّة! ولا من كتب غيرهم.
وقد قدّمت في الباب الرابع من كلام المالكيّة في الزيارة جملة، وبقيت جملة أذكرها هاهنا:
قال أبو الحسن اللخميّ في «التبصرة» في باب من جاء مكّة ليلًا أو بعد العصر أو الصبح: ويبتدئ في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بركعتين - تحيّة المسجد - قبل أن يأتي القبر ويسلّم، وهذا قول مالك.

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٧٧

وقال ابن حبيب: يقول إذا دخل: «بسم الله، وسلام على رسول الله»؛ يريد أنّه يبتدئ بالسلام من موضعه، ثمّ يركع، ولو كان دخوله من الباب الذي بناحية القبر ومروره عليه، فوقف فسلّم، ثمّ تمادى إلى موضع يصلّي فيه لم يكن ضيّقًا، انتهى كلام اللخميّ.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من النسخ ومحله في الهندية: (؟) علامة استفهام بين القوسين، والظاهر أن الإمام السبكي انتقد ابن تيميّة في إطلاقه هذه اللفظة على حكاية مالك، كما في نص فتواه التي سبق نقلها في ص ٢٨١ ولاحظ ٢٦٨ و ٢٨٢.." [١]

١٦٣. "اعلم: أنّه يجوز ويحسن التوسّل، والاستغاثة، والتشفّع بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى ربّه سبحانه وتعالى.

وجواز ذلك وحسنه من الامور المعلومة لكلّ ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، والعلماء والعوامّ من المسلمين.

ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان، ولا سمع به في زمن من الأزمان، حتّى جاء ابن تيمية، فتكلّم في ذلك بكلام يلبّس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار.

ولهذا طعن في الحكاية التي تقدّم ذكرها عن مالك؛ فإنّ فيها قول مالك للمنصور: «استشفع به».

ونحن قد بيّنا صحّتها، ولذلك أدخلنا الاستغاثة في هذا الكتاب لّما تعرّض إليها مع الزيارة.

وحسبك أنّ إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسّل، قول لم يقله عالم قبله، وصار بين أهل الإسلام مُثْلةً!!." [٢]

١٦٤. "وقد وقفت له على كلام طويل (١) في ذلك رأيت من الرأي القويم أن أميل عنه إلى الصراط المستقيم، ولا أتتبّعه بالنقض والإبطال؛ فإنّ دأب العلماء القاصدين لإيضاح الدين وإرشاد المسلمين، تقريب المعنى إلى أفهامهم، وتحقيق مرادهم، وبيان حكمه، ورأيت كلام هذا الشخص بالضدّ من ذلك، فالوجه الإضراب عنه.

وأقول: إنّ التوسّل بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جائز في كلّ حال: قبل خلقه، وبعد خلقه، في مدّة حياته في الدنيا، وبعد موته، في مدّة البرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة والجنّة، وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأوّل: أن يتوسّل به؛ بمعنى أنّ طالب الحاجة يسأل الله تعالى به، أو بجاهه، أو ببركته.

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٨٧

(٢) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٩٣

فيجوز ذلك في الأحوال الثلاثة، وقد ورد في كلّ منها خبر صحيح:

[حديث توسّل آدم عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم]

أمّا الحالة الاولى: قبل خلقه، فيدلّ على ذلك آثار عن الأنبياء الماضين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، اقتصرنا منها على ما تبيّن لنا صحّته؛ وهو ما رواه الحاكم أبو عبد الله بن البيّع في «المستدرك على الصحيحين أو أحدهما» (٢) قال:

(١) كلام ابن تيمية في الاستغاثة والتوسل.

في مجموع فتاوى ابن تيمية الجزء الأول صفحات عديدة منها (١٤٠ – ١٤١) و (٣١٥ – ٣٢٢) و (٣٤٢ – ٣٤٣) وغيرها، وله كتاب باسم (التوسل والوسيلة) مطبوع.

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم (٢/ ٦١٥)، ورواه الآجري في الشريعة (ص ٤٢٧) وانظر ص ٤٢٢، ولاحظ الدر المنثور للسيوطي (١/ ٦٠).

وقد ذكر الإمام ابن الصدّيق في الرد المحكم المتين (ص ١٣٨ – ١٣٩) شاهدًا للحديث، أخرجه ابن الجوزي في الوفا بفضائل المصطفى كما في فتاوى ابن تيمية (٢/ ١٥٠) نقل ذلك الاستاذ المحمود في رفع المنارة (ص ٧ – ٢٤٨).." [1]

١٦٥. "[توسّل عيسى عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم]

وذكر الحاكم مع هذا الحديث أيضًا: عن عليّ بن حمّاد (١) العدل، حدثنا هارون ابن العبّاس الهاشميّ، حدثنا جندل بن والق، حدثنا عمرو بن أوس الأنصاريّ، حدثنا سعيد ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيّب، عن ابن عبّاس قال: أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: «يا عيسى، آمن بمحمّد، وأمر من أدركه من امّتك أن يؤمنوا به، فلولا محمّد ما خلقتُ آدم، ولولاه ما خلقتُ الجنّة والنار، ولقد خلقتُ العرش على الماء فاضطرب، فكتبتُ عليه: «لا إله إلّا الله» فسكن» (٢).

قال الحاكم: هذا حديث حسن صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، انتهى ما قاله الحاكم.

والحديث المذكور لم يقف عليه ابن تيمية بهذا الإسناد، ولا بلغه أنّ الحاكم صحّحه.

فإنّه قال – أعني ابن تيمية –: «أمّا ما ذكره في قصّة آدم من توسّله، فليس له أصل، ولا نقله أحد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بإسناد يصلح الاعتماد عليه، ولا الاعتبار، ولا الاستشهاد».

ثمّ ادعى ابن تيمية أنّه كذب، وأطال الكلام في ذلك جدًّا بما لا حاصل تحته، بالوهم والتخرّص، ولو بلغه أنّ الحاكم صحّحه لما قال ذلك، أو لتعرّض للجواب عنه (٣).

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٩٤

(١) في (هـ) حمشاد.

(٢) المستدرك للحاكم (٢/ ٦١٥).

(٣) لا، بل هو متعمّد الكذب في مثل هذا المجال، وقد تفطّن له الحافظ ابن حجر حيث قال في ترجمته في لسان الميزان: طالعت ردّ ابن تيميّة على الحلّي، فوجدته كثير التحامل في ردّ الأحاديث التي يوردها الحلّي، ورد [ابن تيميّة] في ردّه كثيرًا من الأحاديث الجياد، لسان الميزان (٦/ ٣١٩) من الطبعة الهندية. وانظر الدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ٧١).." [١]

١٦٦. "وكأنّي به إن بلغه بعد ذلك: يطعن في «عبد الرحمن بن زيد بن أسلم» راوي الحديث.

ونحن نقول: قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم، وأيضًا: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، لا يبلغ في الضعف إلى الحدّ الذي ادعاه.

وكيف يحلّ لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يردّه عقل ولا شرع؟

وقد ورد فيه هذا الحديث؟!

وسنزيد هذا المعنى صحّة وتثبيتًا بعد استيفاء الأقسام.

[وسّل نوح وإبراهيم وسائر الأنبياء بنبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم]

وأمّا ما ورد من توسّل نوح وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء:

فذكره المفسّرون، واكتفينا عنه بهذا الحديث؛ لجودته وتصحيح الحاكم له.

[التعبير عن التوسّل والاستغاثة]

ولا فرق في هذا المعنى بين أن يعبّر عنه بلفظ «التوسّل» أو «الاستغاثة» أو «التشفّع» أو «التجوّه».

وقال الاستاذ عبد الفتاح أبو غدّة: ولشيخنا الكوثري الإمام الحسن بن زاهد رحمه الله: «التعقّب الحثيث لما ينفيه ابن تيميّة من الحديث» لا يزال مخطوطًا، كذا في الرفع والتكميل في الجرح والتعديل للكهنوي ص ١٩٩ هامش.

وقال: وانظر لزامًا: الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة (ص ١٧٤ - ١٧٦) للمؤلّف اللكهنوي.

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٩٦

أقول: وانظر رفع المنارة (هـ ص ٢٠ – ٢١) وقد ذكر مؤلّفه الفاضل: أن له جزءًا في الأحاديث التي ينكرها ابن تيمية، لشططه!." [١]

١٦٧. "الشيخ السديد أبو الحسن عبيد الله بن محمّد بن أحمد البيهقيّ، أنا جدّي الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ، أنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسيّ قالا: أخبرنا أبو عمر بن مطر، حدثنا إبراهيم بن عليّ الذهليّ، حدثنا يحي بن يحيى، أنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن مالك الدار قال: أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، استسق الله لأمّتك فإنّهم قد هلكوا.

فأتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال: «ائت عمر فأقرئه السلام، وأخبره أنّهم مسقون، وقل له: عليك الكيس، الكيس».

فأتى الرجل عمر فأخبره، فبكى عمر رضى الله عنه ثمّ قال: يا ربّ ما آلو إلّا ما عجزت عنه (١).

ومحلّ الاستشهاد من هذا الأثر طلبه الاستسقاء من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته في مدّة البرزخ، ولا مانع من ذلك؛ فإنّ دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لربّه تعالى في هذه الحالة غير ممتنع، وقد وردت الأخبار على ما ذكرنا، ونذكر طرفًا منه.

وعلمه صلى الله عليه وآله وسلم بسؤال من يسأله ورد أيضًا.

ومع هذين الأمرين فلا مانع من أن يسأل الله صلى الله عليه وآله وسلم الاستسقاء، كما كان يسأل في الدنيا.

---

(١) دلائل النبوّة للبيهقي (٧/ ٤٧) وقد أورده ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ٣١ – ٣٢) وابن حجر في الإصابة (٣/ ٤٨٤) والقرطبي في الاستيعاب (٢/ ٤٦٤). وانظر فتح الباري (٢/ ٤٩٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٠١)، وجامع المسانيد – مسند عمر – (١/ ٢٢٣)، وقد أقر ابن تيمية بثبوته في اقتضاء الصراط له (ص ٣٧٣).

وقد فصل الاستاذ المحمود السعيد الممدوح في رفع المنارة (ص ٢٦٢ – ٢٧٨) في الكلام عليه وعلى إسناده، وردّ في نحر الألباني المتسلف في تضعيفه، فراجع.." [٢]

١٦٨. "الباب السادس

في كون السفر إليها قربة

وذلك من وجوه: أحدها: الكتاب العزيز: ٢٠٩

---

[١] شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٢٩٧

[٢] شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٣١٢

الثاني: السنّة: ٢٠٩
والثالث: من السنّة أيضًا: ٢١٠
الرابع: الإجماع: ٢١١
ونبدأ أوّلًا بالكلام على كون هذا السفر مأمورًا به أمرَ ندبٍ: ٢٢٠
بين المقدمة والوسيلة ٢٢١
اعتبارات السفر في مسألة الزيارة ٢٢١
الباب السابع
في دفع شُبَهِ الخَصْم وتتبُّع كلماتِهِ
وفيه فصلان: الأوّل: في شبهه ٢٣٣
وله ثلاث شبه:
الشبهة الاولى حديث: «لا تشدّ الرحال ... » ألفاظه ومصادرها ٢٣٣
دلالة الأحاديث ومعناها ٢٣٤
محط البحث عند الفقهاء ٢٣٧
عنوان المسألة في كتب الفقه ٢٤١
فتاوى مختلفة مزوّرة باسم علماء بغداد ٢٤٤
ابن تيميّة يمنع الزيارة مطلقًا، لا شدّ الرحل إليها فقط ٢٤٥
نصّ فتوى قديمة لابن تيمية ٢٤٦
الردّ على ابن تيمية فقرة فقرة ٢٤٩
مشروعية الزيارة ٢٥١
القبور والشرك ٢٥٧
الفصل الثاني: في تتبّع كلماته ٢٦١
صورة فتوى ابن تيميّة التي استنكرها علماء الملّة الإسلاميّة ٢٦٢
الردّ على فتوى ابن تيميّة ٢٧٠." [1]

١٦٩. "والثالث: أني أقول: إذا سميت بمضاف ومضاف إليه فتارة تقطع النظر عن المفردين والإضافة بالكلية، ويكون ذلك كالأعلام المرتجلة، وليس أصول الفقه من هذا القبيل فإنا لم نقطع النظر عن معنى الأصول، والفقه، والإضافة كلية، بل لاحظنا كل واحد منها، وتارة تلاحظ، وذلك على قسمين:

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ط المعارف؟ السبكي، تقي الدين ص/٤٣٠

أحدهما: أن تلاحظ تلك المعاني وتبقيها على حالها ولا تعمل شيئاً إلاَّ زيادة صيرورتها علماً، وهذا لم نعتمده في أصول الفقه، لأنا لم نبق شيئاً من المعاني الثلاثة على حاله.

والثاني: أن تلاحظ أدنى ملاحظة، فتلاحظ مثلاً معنى الأصل لغة والفقه، وأصل الإضافة، وتكون هذه الملاحظة هي العلاقة المسوغة لإطلاق هذا اللفظ، الذي هو مضاف ومضاف إليه، على هذا العلم، وهذا هو المقصود، ويشبه العلم الذي لمحت فيه الصفة كالحسن والحسين عند النحاة، والحقيقة الشرعية عند المحققين من أصحابنا فإنها مجاز لغوي لم يقطع الشارع النظر فيها عن اللغة، خلافاً للقاضي، وحينئذٍ فليس الأصل والفقه من حيث خصوصهما مفردين لهذا المركب، بل لا يتطلب لهذا المركب مفردات لأنا قطعنا النظر عن مفرديه وصيرناه علماً، فإن قلت: قد ذكرتم أنكم لم تقطعوا النظر بالكلية، قلت: نعم، بمعنى أنا راعينا أصل المعاني الثلاثة فقط؛ ولكنا قطعنا النظر عن خصوصيتها فافهم ذلك، وبه تعرف أنا لم نقدم تعريف المركب على مفرديه فإنه لا تركيب إلاَّ في الصورة واللفظ، لا في الحقيقة والمعنى. وهنا ننبهك على بحث شريف، وهو: أن الأسماء الموضوعة للعلوم كالفقه، والنحو، والطب والأصول، وما أشبهها، هل هي مما صار علماً بالغلبة؟ أو هي من المنقولات العرفية؟ فيه للوالد رحمه الله تعالى احتمالان ذكرهما في (شرح المختصر)، قال والثاني أقوى لأن العلم بالغلبة يتقيد بما إذا كان معرفاً بالألف واللام كالعقبة، أو بالإضافة كابن عمر.

ونحن نجد في العرف أنه لو قال القائل: (فلان يعرف فقهاً ونحواً وطباً) فهم منه معانيها الخاصة، فدل على أنها موضوعة لها مع التنكير كما يفهم من دابة مع التنكير ذوات الأربع، قال: ثم إذا ثبت أنها منقولة فهي أسماء أجناس، لا أعلام أجناس؛ لوجهين:

أحدهما: أنها تقبل الألف واللام، ولو كانت أعلاماً لما قبلتها.

والثاني: أنه قد ثبت ذلك في دابة، إذ ليست بعلم فلتكن هذه مثلها.

(العموم)

ومنها: على قولنا في العام: (والصحيح دخول النادرة، وغير المقصودة، تحته، وأنه قد يكون مجازاً، وأنه من عوارض الألفاظ ... إلى آخره)، طلب تقرير ذلك.

فقلت: هذه أربع مسائل:

الأولى: أن الصورة النادرة، هل تدخل تحت العموم؟ فيه خلاف حكاه أبو إسحاق الشيرازي وغيره، ويبنى عليه مسألة المسابقة على الفيل، وفيها وجهان: القائل بالجواز يستند إلى قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا سبق إلاَّ في نصل أو خف أو حافر))، والمانع يدعي أنه نادر ولم يرد باللفظ.

والثانية: أن غير المقصودة هل تدخل في العموم؟ وفيه خلاف منقول عن حكاية القاضي عبد الوهاب المالكي ممن نقله عنه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في تعليقه له ولوالده وجده تسمى بالمسودة: وليست

(غير المقصودة) هي النادرة كما توهمه بعض من بحث معي، بل النادرة هي التي لا تخطر غالباً ببال المتكلم، لندرة وقوعها، وغير المقصودة قد تكون مما يخطر بالبال ولو غالباً، فربَّ صورة تتوفر القرائن على أنها لم تقصد، وإن لم تكن نادرة، ورب صورة تدل القرائن على أنها مقصودة وإن كانت نادرة، فافهم ذلك فبين المسألتين بون تام.." (١)

١٧٠. "هل العبرة بالملفوظ أم بالمقصود؟:

إذا عرفت هذا فإذا ذكر اللافظ لفظاً عامًّا وهناك صورة لم تقصد، ولكنها داخلة في دلالة اللفظ، وكثيراً ما يقع هذا في ألفاظ الواقفين، فهل يعتبر لفظه وتدخل تلك الصورة، وإن لم يقصدها، أو يقتصر على المقصود؟ الأصح الأول، والحنابلة يميلون إلى ترجيح الثاني، ويبنون عليه أصولاً عظيمة في باب الوقف، واستنبط ابن الرفعة من كلام الغزالي في الفتاوى أن المقاصد تعتبر، أعني مقاصد الواقفين فيخصص بها العموم ويعمم بها الخصوص.

ولنا في مقاصد الواقفين تحقيق لسنا له الآن لخروجه عن صناعة الأصول، وإنما كان غرضنا تقرير المسألة وقد وضح، ووجه دخول غير المقصودة: أن المراد إنما هو اللفظ فلا مبالاة بصورة لم تقصد فإن المقاصد لا انضباط لها، والرجوع إلى منضبط أولى، على ما تقرر، فكان اعتبار اللفظ وإدارة الحكم عليه وجوداً وعدماً أولى، ولست أدعي أن المقصود إخراجها تدخل، وإنما أقول غير المقصودة تدخل، وفرق بين غير المقصودة والمقصودة الإخراج؛ فمقصودة الإخراج لا سبيل إلى القول بدخولها، غير أنا نقول لا اطلاع على قصد الإخراج إلاَّ بدليل، وذلك الدليل مخصص لهذا اللفظ، فلا يمنع دخول الصورة في مدلوله، لأن التخصيص إخراج من الحكم لا من المدلول.

ومسألة (جمع الجوامع)، إنما هي غير المقصودة، سواء أقصد إخراجها أم لا؟ فإن لم يقصد دخلت لفظاً وحكماً، وإن قصد إخراجها دخلت لفظاً وخرجت حكماً، كسائر المخصصات، ونظير غير المقصودة المخاطِب بكسر الطاء هل يدخل في عموم خطابه؟ فإن المخاطب لا يقصد نفسه غالباً، ولذلك تقول: من شتمك فاشتمه، فلو قال لك أأشتم السلطان إذا شتمني؟ لقلت: هذا لم أقصده، وأمثلته تكثر: وربَّ غير مقصودة تدل القرائن على خلاف ما دلَّ فيه اللفظ كما وقع عندي في المحاكمات: واقف وقف على الفقراء والمساكين، وقال: تقدم عتقاء الواقف على غيرهم. فافتقر أقاربه، فهل يعطون؛ لكون الإحسان إليهم أولى من العتقاء، والقرائن تدل أنه لو استحضرهم معهم لقدمهم في الإعطاء، وأنه إنما رجح جانب العتقاء ترجيحاً لمن هو أولى ببره من غيره، والأقارب بذلك من العتقاء أولى، لأن اللفظ لا يدل إلاَّ على تقديم العتقاء، وليسوا إياهم، فهذا موضع نظر واحتمال، فيستبعد استبداد العتقاء بالوقف، وإذا خرج من هم في نظر الشرع والواقف فيما يظهر أولى، فيبعد إعطاء من لا دلالة للفظه على إعطائه

(١) منع الموانع عن جمع الجوامع ص/٦٩

ولذلك نصَّ الشافعي على إعطائهم مقدمين على العتقاء والصورةُ هذه.

ومرت في دخول غير المقصود حكاية لطيفة ونكتة بديعة، استحسنها مني الشيخ الإمام رحمه الله فأصفها لك قائلاً: جرت مناظرة بين يدي ذلك الحبر العظيم، وجرى ذكر قول الحريري صاحب (المقامات):

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

فقال بعض الحاضرين يحكى أن الحريري لما قال هذا البيت سمع قائلاً يقول من وراء جدار:

محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط

فقلت: أما كان للحريري أن يجيب فيقول:

وذاك فرد نادر أعذر فيه بالغلط

فاستحسن مني الشيخ الإمام ذلك جدًّا، فهذا الحريري لم يقصد النبي صلى الله عليه وسلم قطعاً، وكان إيراده عليه في حكم النقض بصورة نادرة. وقد يقال: ذكر هذه الحكاية مثالاً للمقصودة أولى من ذكرها لغير المقصودة.

واعلم أن الخلاف في الصورة النادرة حكاه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رضي الله عنه وغيره. وفي غير المقصودة قد قلنا لك إنه منقول عن حكاية القاضي عبد الوهاب، ممن نقله الشيخ تقي الدين بن **تيمية** رحمه الله في تعليقة له ولوالده وجده تسمَّى بالمسودة.." (١)

---

(١) منع الموانع عن جمع الجوامع ص/٧٠